بسم الله الرحمن الرحيم

أثر خطب النبي صلى الله عليه وسلم في نهج البلاغة

ISBN 978-9922-9467-8-8

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ٣٥٧٩ لسنة ٢٠٢٢

BP193.1.A2 I2 2020

إبراهيم، شهاب جمعة - مؤلف.

اثر خطب النبي (ﷺ) في نهج البلاغة : دراسة فنية = The Effect Of Prophets Speeches (P.b.u.h) On Nahj Al-Balagha (Technical study) / شهاب جمعة إبراهيم. - الطبعة الاولى. - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٠ / ١٤٤٢ للهجرة.

٢٣٢ صفحة ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٧٨٧)، (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ٢١٦، سلسلة دراسات السيرة النبوية ؛ ٣).

يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٢٠٣_٢٢٩).

١. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩ - ٤٠٦ للهجرة -- نهج البلاغة. ٢. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة -- حديث. ٣. محمد (ﷺ)، النبي، ٥٣ قبل الهجرة - ١١ للهجرة -- خطب تأثير ٤. الخطب الدينية الاسلامية (الشيعة الامامية) ٥. البلاغة العربية أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة -- جهة مصدرة. ب. العنوان.

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

سلسلة دراسات السيرة النبوية (٣)
وحدة الدراسات التاريخية

أثر خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نهج البلاغة

دراسة فنية

تأليف
شهاب جمعة إبراهيم

مراجعة وضبط
اللجنة العلمية في مؤسسة علوم نهج البلاغة

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الاولى

١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة
مؤسسة علوم نهج البلاغة
www.inahj.org
Email: inahj.org@gmail.com
موبايل: ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣ - ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

الإهداء

إلى أملي وذخري

وشفيعتي

سيدتي ومولاتي

فاطمة الزهراء (عليها السلام)

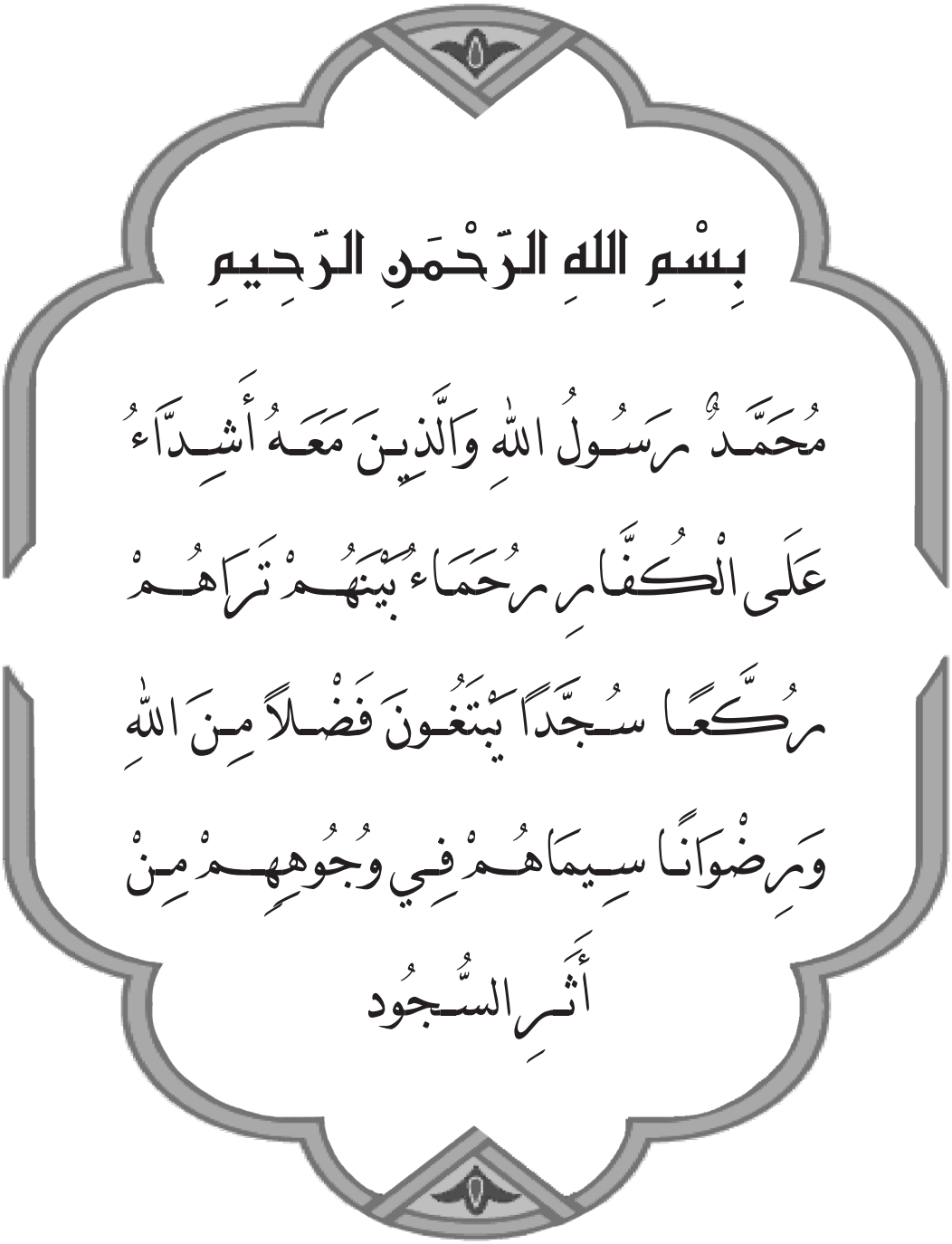

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ
رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ
وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ
أَثَرِ السُّجُودِ

سورة الفتح/ آية ٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة:

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية، بل وغيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾، كذا نجده يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات الجامعية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية) التي يتم عبرها طباعة هذه الرسائل وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه، بغية إيصال هذه العلوم الأكاديمية إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والانتهال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وما هذه الدراسة الجامعية التي بين أيدينا لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الآداب في التاريخ الإسلامي إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبها للغوص في بحر علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد أذن له بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية بيان أثر تلك النصوص العلوية في الإثراء المعرفي والتأصيل العلمي في بيان أثر خطب النبي الأكرم في نهج البلاغة، لانهما من معين واحد، وقد أجاد الباحث في داسته للموضوع تحليلا ونقدا، وتوضيحا لموطن الجمال في كلام النبي والوصي (صلوات الله عليهما وآلهما)، فكان للقرآن الأثر الكبير في خطبهما لعلاقتهما الوثيقة به، التي لا انفصام لها، فجزى الله الباحث على جهده وعمله هذا خير الجزاء، وسدد خطاه في قادم الأعمال.

السيد نبيل الحسني الكربلائي
رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

المقدمة

الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها، والحمد لله في اللّيل إذا يغشى وفي النّهار إذا تجلّى، والصّلاة والسّلام على خير خلق الله محمّد رسول الله وعلى آله الطيّبين الطّاهرين وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد:

ما يزال التراث العربي معيناً يستقي، ويتزّود منه الباحثون والدَّارسون من دون أنْ ينضبَّ هذا المعين الثرّ، وآثرتُ أنْ انتقيَ من هذا التراث أغناه وأنفعه وأشرفه ولبابه، فكان منطلق الرسالة من عنوان (أثر خطب النبي ﷺ في نهج البلاغة)، ويرجع سبب اختياري هذا الموضوع لشغفي بكتاب نهج البلاغة منذ صغري؛ ولأنّ هذا الموضوع يجمع خطب النبي (ﷺ) ونهج البلاغة، إذ لم أعثرْ على دراسةٍ قائمةٍ تكفّلتْ هذا الموضوع على الرّغم من وجود عشرات الدّراسات في نهج البلاغة غير أنّي لمْ أجدْ دراسةً جامعةً بين خطب النبي (ﷺ)، ونهج البلاغة في آنٍ واحدٍ، وكان منهجي الذي اتّبعته في هذه الدّراسة هو أنْ تكون الدّراسة فنيّة، لاستيعابها التحليل، والنقد، وبيان القيم الجماليّة لدلالة النّصوص الشّريفة، وذلك من خلال اتّكائي على علوم البلاغة، لأنّي رأيتُ الدّراسة الفنيّة أشمل المناهج العربيّة؛ لقدرتها الاحتواء بالدّراسات القديمة، والحديثة.

وقد اقتضت طبيعة البحث، وبعد أخْذِ الملاحظات السّديدة للمشرف الأستاذ الدكتور خليل عبد السادة إبراهيم - سدّد الله خطاه وأيّده - أن يقسّم

البحث على ثلاثةِ فصول مسبوقة بتمهيد تناولتُ فيه أثر القرآن الكريم في خطب النبي (صلى الله عليه وآله) ونهج البلاغة، وكانت غايتي هي كشف العلاقة الوثيقة التي لا انفصام لها بين القرآن الكريم والرسول (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام).

أمّا الفصل الأول فقد كان بعنوان «أساليب الخبر والإنشاء» في خطب النبي (صلى الله عليه وآله) وأثرها في نهج البلاغة، ولم يكنْ هذا الفصل -كما يبدو من العنوان- دراسة أساليب الخبر والإنشاء فحسبْ، بل تجاوزت على أساليب التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والقصر، والتعريف والتنكير، المذابة في الفصل، ويرجع سبب تسميتي هذا الفصل بأساليب الخبر والإنشاء لكون البلاغيّون يرون أنّ الكلام كله في العربية إمّا خبر وإمّا إنشاء وما سوى ذلك من تقديمٍ وتأخيرٍ، وفصلٍ ووصلٍ، وتعريفٍ وتنكير، وغير ذلك من المباحث البلاغيّة تنضوي كلها تحت أساليب الخبر والإنشاء، وكانت انطلاقة دراستي في الفصل من النّصوص الشّريفة لكون الدراسة فنيّة إذ لمْ أتقيّدْ بموضوعٍ معيّن.

وكان الفصل الثاني بحكم طبيعة خطّة البحث «التصوير الفني» وفيه درستُ ثلاث صور فنيّة:

الأولى: الصّورة القائمة على فنِّ التشبيه وتضمّنتْ محوريين، الأوّل: صورة الدّنيا، والثّاني صورة الموت، وقد اخترتُ هاتين الصّورتين من نهج البلاغة لسببين أحدهما: أنّ الإمام (عليه السلام) كان كثيراً ما يركّز على هاتين القضيّتين (الدّنيا - الموت)، لأنّ كُلاً منهما لها علاقة بالثّانية، ولهما الارتباط الكامل بالإنسان، لأنَّ بالدّنيا والموت يقرّر الإنسان مصيره الأُخروي، ومآله إلى الجنّة أو إلى النّار، والسّبب الثاني: وجدتُ في هاتين الصورتين أثر خطب النبي (صلى الله عليه وآله) كثيراً.

الثانية: الصّورة القائمة على فنِّ الاستعارة، وفي هذا المبحث درستُ مدى تأثّر الإمام (عليه السلام) في بناء صوره الاستعاريّة بخطب النبي (صلى الله عليه وآله) وإبداعاته (عليه السلام) الفنيّة بتقليبه الصّورة التشبيهية للنبي (صلى الله عليه وآله) إلى الصّورة الاستعارية، وتوليده صوراً جديدة محاكياً صور النبي (صلى الله عليه وآله) الفنيّة، وجمْعه (عليه السلام) أكثر من صورة فنيّة للنبي (صلى الله عليه وآله) في خطبةٍ واحدةٍ، أو استحضاره (عليه السلام) صورتين متباينتين من خطبتين مختلفتين وجمْعهما في خطبةٍ واحدةٍ له (عليه السلام)، وفي كلِّ هذا كان يكشف لنا (عليه السلام) تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن إبداعاته الفنيّة .

الثالثة: الصّورة القائمة على فنِّ الكناية، وكان بروز أوّل أثرٍ لخطب النبي (صلى الله عليه وآله) في نهج البلاغة في هذا المبحث هو قلّة استعمال الإمام (عليه السلام) هذه الصّورة كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله)، وفيه بيّنتُ سبب قلّة ورود هذه الصّورة في خطب النبي (صلى الله عليه وآله) ونهج البلاغة، كما درستُ فيه الصّور الكنائيّة التي تأثّر بها الإمام (عليه السلام) بالصّور الكنائيّة للنبي (صلى الله عليه وآله) فنيّاً.

وأمّا الفصل الثّالث فقد تكفّل بدراسة الإيقاع القائم في الخطب النبويّة الشّريفة وأثره في نهج البلاغة، وكانت مباحث الدّراسة في هذا الفصل دارتْ حول السجْع والتوازن، والجناس، والتكرار، فضلاً عن الطباق والمقابلة اللذين يخلقان جوّاً إيقاعيّاً في النصّ، ولم أعدّ كلَّ طباق ومقابلة ظاهرة إيقاعيّة كما كان يفعل الباحثون قبلي إلّا ضمن شروط وأسس يجب أن تتوفر فيهما حتى يشكّلا مظهراً إيقاعياً في النصّ، وفي مبحث السجْع درستُ السجْع الطويل، والمعتدل، والقصير فنيّاً ودلالتهما في الخطب النبوية الشريفة، وأثرهما في نهج البلاغة، كما عددتُ مبحث التوازن من ضمن مبحث السجْع كما

يراه البلاغيون، وأمّا الجناس فقد درستُه بوصفه مبحثاً خاصّاً، كما خصصتُ للتّكرار مبحثاً، وفيه درستُ تكرار اللّفظة، وتكرار الجملة، وتكرار الأداة كُلاًّ منها في محورٍ معيّنٍ، فضلاً عن دراسة تكرار الحرف إذا ما وجد في النصّ النّبويّ الشّريف وأثره في نهج البلاغة .

والجدير بالذكر أنّ في هذا الفصل والفصلين السابقين كانت انطلاقة دراستي من النّصوص الشّريفة، إذ كانت الدراسة محكومةً بحكم النصّ لبيان الأثر النّبويّ في الكلام العلوي المجموع في نهج البلاغة، أمّا ما سوى ذلك فكان من باب الإشارة إلى إبداعات الإمام (عليه السلام) الفنيّة التي تولّدت أيضاً من تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله) عامّةً .

ثم خلصتْ الرّسالة إلى خاتمة تمخّضتْ عن أهم النتائج التي توصّل إليها الباحث وبعدها كانت قائمة المصادر والمراجع التي حفظتْ جهود العلماء والباحثين قديماً، وحديثاً وكانت هذه المصادر متنوّعة منها لغويّة، ونحويّة، وأسلوبيّة، وبلاغيّة وغيرها.

وإنْ كان هناك شيء اسمه الصّعوبة في أثناء كتابة البحث فقد كانتْ الصّعوبات التي تعترضني عديدة منها، علاقة الموضوع بالمصادر التأريخيّة، فالخطب النبويّة الشريفة كانت بحاجة إلى الرّجوع إلى المصادر التاريخيّة القديمة وتوثيقها من أقدم المصادر المعتبرة، ومن الصعوبات أيضاً، قلّة الدراسات التي تكفّلت بدراسة الخطب النبويّة الشّريفة من تلك الدراسات الرّسالة الأكاديميّة التي درستْ تحت عنوان: خطب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، دراسة توثيقيّة تحليلية للباحث مصعب نوري محمود العزاوي، والرّسالة التي

درستْ تحت عنوان: خطب النبي (صلى الله عليه وآله)، دراسة لغويّة للباحث أحمد صبر كعيد الكلابي، فضلاً عن وجود كتب اعتنى أصحابها بجمع الخطب النبويّة الشريفة بين دفّتي كتاب مثل «مدينة البلاغة في خطب النبي وكتبه ومواعظه ووصاياه واحتجاجاته وأدعيته وقصار كلماته» تأليف الشيخ موسى الزنجاني، وكتاب «صحيح خطب الرسول» جمع وتحقيق: إبراهيم أبو شادي، وكتاب «خطب ومواعظ الرسول» إعداد الأستاذ عبد الله سنده.

ومن الصعوبات التي كانت تعيقني أيضاً، انحصار موضوع الرّسالة بالخطب النبويّة الشّريفة، وهذا أدّى إلى شحّة الدّراسة؛ لأنّ الدّراسة كانت محكومة بتتبّع أثر الخطب النبويّة الشّريفة فنيّاً فحسبْ، والخطب النبويّة كما هي معلومة مختلفٌ عليها؛ فمن الخطب ما عدّها الرّواة أحاديث، كما لا نستبعد ضياع قسم منها مع ما ضاع من التّراث العربي في سالف العصور، وإلّا فالنبي (صلى الله عليه وآله) كما هو معلوم عاش أكثر من عقدين من الزّمن في الدّعوة الإسلاميّة، والرّسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في هذه المدة كان يخطب في كلّ صلاة جمعة، ويخطب في الحروب، والأعياد، ويخطب للوفود، فالخطب الموجودة بين أيدينا الآن قليلة جدّاً قياساً بالمدّة التي عاشها النبي (صلى الله عليه وآله)، هذا وفضلاً عن أنّ اهتمام الرّواة بالأحاديث النبويّة الشريفة كان أكثر من عنايتهم بالخطب النبويّة الشّريفة كما يبدو.

إنّ كلّ هذه الصّعوبات كانت تهون حينما كنتُ أتذكّر بأنّني أقدِّم خدمةً متواضعةً لسيّدي وحبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووصيّه المرتضى (عليه السلام) وأنّ الأجر على قدر المشقّة بإذن الله تعالى، هذا وفضلاً عن أنّ كلمة مشرفي الأستاذ

الدكتور خليل عبد السادة إبراهيم - أطال الله في عمره - كانت تدفعني إلى تحمّل المسؤوليّة أكثر، والاندفاع والجديّة في البحث عندما كان يقول: عملك هذا إحياء أمر محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم)، فجزى الله أستاذي ومشرف رسالتي عنّي خير الجزاء فقد كان لي معلّماً وأباً ومقوّماً، فلا أنسى فضله ولا أقدر أن أحصي فضله، و أصف رعايته الأبويّة، فلا يسعني إلّا أنْ أدعو له بالتوفيق والسداد.

ولا أدّعي عِلماً وكَمالاً في هذا العمل فالكمال لله وحده، اللهمّ ما بنا من نعمةٍ فمنك، اللهمّ أنت العالم وأنا الجاهل وهل يرحم الجاهل إلا العالِم، اللهمّ تقبّل منّي هذا القليل بكرمك الكثير، يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير.

والحمد لله رب العالمين

التمهيد

أثر القرآن الكريم في خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونهج البلاغة

لا يولد أيُّ نصٍّ ولاسيما الأدبيّ منه مجرّداً أو منسلخاً عن بيئته؛ لأنّ كلَّ نصٍّ كائنٌ عن حصيلةِ أثر[1] سواءً أكان ذلك الأثر للبيئةِ المعاصرةِ، أم الموروثةِ[2]، أم غير ذلك، وهذا النصّ نظمًا كان أم نثراً يخضع لهذهِ المؤثّرات، وقولنا بالنصّ يعني (أن الكلمة الواحدة لا تشجو، ولا تحزُن، ولا تتملك قلب السامع، إنما ذلك فيما طال من الكلام، وأمتع سامعيه بعذوبة مستمعه، ورقة حواشيه)[3]، وهذه المزايا أليق ما تكون بكلام العرب إذ أنّ (العرب في الجاهلية عنوا بمنطقهم واستظهار ضروب من الجمال فيه، سواء ضربوا

---

(١) الأثر لغة: يقال لبقية الشيء إذا حصل ما يدل عليه أثر و(أثر) مفرد والجمع (أثار، وأثور)، وجئت على أثره أي عقبهِ وتأثّرته: أي تتبّعت أثره، والتأثير إبقاء الأثر في الشيء، ويقال للطريق المستدلّ آثار كما ورد في قوله تعالى ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ الصافات / ٧٠، ظ. جمهرة اللغة: ٤٦، ظ. المفردات في غريب القرآن:١٩، ظ. لسان العرب: مادة (أثر)، ظ. المعجم الوسيط: ٥، وقال الفرّاء: معنى(أثارة) في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الأحقاف/ ٤ بقيّة العلم، وقال الزجاج: معناها علامة، ظ. تهذيب اللغة:١٥/ ٨٦، وقد سُمّي الأجل أثراً أيضاً كونه يتبع العمر؛ ولذا قال الشاعر:

والمرءُ ما عاش ممدودٌ له أملُ ❊❊❊ لا ينتهي العمرُ حتى ينتهي الأثرُ

أي حتى ينتهي الأجل، ظ. تهذيب اللغة:١٥/ ٩٠ .

(٢) ظ. الإسلام والأدب:٣٠٩.

(٣) الخصائص:٢٧.

أمثالهم أو تحدثوا أو خطبوا... وكأنما أصبحت القدرة البيانية عندهم سليقةً من سلائقهم، ولذلك لم يكنْ عجباً أنْ تكون آية الرسول (صلى الله عليه وآله)على صدق رسالته معجزة بلاغية لا يستطيعون أن يجاروها هي القرآن الكريم)[١]، ولعلّ هذا ما دفع الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)إلى القول: (ونحن _أبقاك الله _ إذا ادّعينا للعرب أصنافَ البلاغة من القصيد والأرجاز، ومن المنثور والأسجاع، ومن المزدوج وما لايزدوج، فمعَنا العلم أنّ ذلك لهم شاهدٌ صادق من الدِّيباجة الكريمة، والرَّونق العجيب، والسَّبْك والنَّحت، الذي لا يستطيع أشعَرُ الناس اليومَ ولا أرفعهُم في البيان أن يقول مثلَ ذلك إلا في اليسير، والنُّبْذ القليل)[٢].

إذن تعدّ (الميزة الكبرى التي كانت للعرب في العصر الجاهلي براعتهم في الشعر والخطابة، وخاصة الشعر الذي بلغ حينذاك ذروة ازدهاره)[٣]، وللعرب في العصر الجاهلي شعراء أغنى من أنْ يعرّفوا كما لهم حظّ عظيم من الخطباء كما يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): (ولإيادٍ وتميمٍ في الخطب خَصلةٌ ليست لأحدٍ من العرب؛ لأنّ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) هو الذي رَوَى كلام قُسِّ بن ساعدةَ وموقفَه على جمله بعُكاظ وموعظتَه، وهو الذي روَّاه لقريشٍ والعرب، وهو الذي عجَّبَ من حُسْنه وأَظْهَر من تصويبه)[٤]، إذ قال (صلى الله عليه وآله) عنه: (رأيته بسوق عُكَاظ على جمل أحْمر يقول: أيُّها الناس اجتمِعُوا واسمعُوا وعوا. مَن

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ٤٠٩.
(٢) البيان والتبيين: ٣/ ٢٩.
(٣) تاريخ الإسلام من العصر الجاهلي إلى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله): ٥٠.
(٤) البيان والتبيين: ١/ ٥٢.

عاش مات، ومن ماتَ فَاتْ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ)[١]، فيبدو من إعجاب الرّسول (ﷺ) أنّ العرب كانوا بارعين في الكلام، ومتفنّنين في المقال وحوكه، وكانت تسعفهم ملكاتهم البيانيّة، وقد اختصّوا بالفصاحة وبديهة الارتجال من بين الأمم وأشعارهم وخطبهم وسائر فنونهم الأدبيّة تشهد لهم بذلك، ولعلّ هذا السحر البلاغي في كلام العرب أثّر في نفسيّة الجاحظ فجعله يقول: (وكلُّ شيءٍ للعرب فإنّما بديهةٌ وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناةٌ ولا مكابدة، ولا إجالةُ فكر ولا استعانة... وكانوا أمِّيِّين لا يكتبون، ومطبوعِين لا يتكلَّفون، وكان الكلام الجيِّد عندهم أظهرَ وأكثر، وهم عليه أقدر، وله أقهرَ، وكل واحدٍ في نفسه أنطَق، ومكانه في البيان أرفع وخطباؤهم للكلام أوجَد والكلام عليهم أسهل وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفُّظ، ويحتاجوا إلى تدارس)[٢].

يتّضح ممّا تقدّم أنّ الخطابة في العصر الجاهلي لم تكنْ أقلّ شأناً من الشعر وما (يدل دلالة واضحة على أن الخطابة كانت مزدهرة في الجاهلية، فقد كانوا على حظ كبير من الحرية، وكانوا يخطبون في كل موقف: في المناظرات وفي الدعوة إلى السلم أو الحرب وفي النصح والإرشاد وفي الصهر والزواج. وابتغوا دائماً في كلامهم أن يؤثر في نفوس سامعيهم بما حققوا له من ضروب بيان وبلاغة)[٣]. كلّ هذه الألوان الأدبيّة سواءً أكانت خطابةً أو شعراً أو قصصاً أو أمثالاً كانت في حال تطور وازدهار، وفي حال من الأثر والتأثّر

(١) م. ن:١/ ٣٠٨، ٣٠٩.
(٢) م. ن: ٣/ ٢٨.
(٣) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ٤١٩.

الذي يجعل بعضها يتولّد من بعض ممّا كان يؤدّي إلى ظهور نوع أدبيّ جديد[١].

بلغ هذا التطور ذروته آنذاك، وكان ينتظر انقلاباً جديداً في حياة العرب، وكان هذا التقدّم في الفصاحة والبلاغة التي كانت تتمتّع بها العرب يعد إرهاصاً لتحوّلٍ قادمٍ في حياتهم إذ (لم تلبث المعجزة الباهرة أن استعلت ولم تلبث أضواؤها أن انتشرت في الجزيرة العربية، وسرعان ما بزغت على دروب العالم ومسالكه من أواسط آسيا إلى جبال البرانس مما هيّأ لانقلاب واسع في تأريخ اللغة العربية وآدابها)[٢]، وهو مجيء الإسلام ونزول القرآن إذ يعدّ انعطافة تأريخيّة كبرى في حياة العرب و(حدثاً كبيراً ضخماً من أهم الأحداث العالمية، وأكبرها إثارة وجليل أثر، وكبير خطر في الحياة)[٣].

يستشف من هذا أنّ الإسلام استطاع أنْ يغيّر مسيرة العالم، ولاسيّما حياة العرب فقد طرأت تغييرات شتّى على جميع مناحي الحياة ومجالاتها ومنها اللغة والأدب، وقد علّق الدكتور زكي مبارك على تطوّر الأدب في حياة العرب بعد مجيء الإسلام قائلاً: (لما جاء الإسلام فأيقظ العرب وأثار ماسكن من نشاطهم وحياتهم وحبب إليهم القوة والجاه والملك، فانطلقت ألسنتهم وظهر فيهم الكتاب والخطباء والشعراء، وكان من دواعي ذيوع البلاغة عندهم حاجتهم إلى الدِّفاع عن صدق النبوّة)[٤]، ويلاحظ (أن كل انقلاب كبير في أية أمة يرجع إلى دعوة دينية، ودعوة سياسية، ومثل هذه الدعوة

(١) ظ. م. ن: ١٣.
(٢) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي): ٣٠، ٣١.
(٣) الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام: ٧٩ .
(٤) النثر الفني في القرن الرابع: ٥٧.

تستدعي بطبيعة الحال أن يهبَّ ذوو الفصاحة المؤمنون بها لتأييدها ونشرها والرد على دعاوى خصومها وأعدائها)[١]. مما جعل الخطابة تبرز بشكل ملحوظ، يزاد على ذلك أنّ (من يريد الاحتجاج على أهل الملل والنحل لا بد له من خطب طوال، وهذا لا يمكن بدون بيان، والبيان يحتاج إلى تمييز وفصاحة وترتيب للكلام وبلاغة)[٢]، وعلى هذا الأساس كما يبدو جاءت الآية القرآنية ﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾[٣]، فالكلام البليغ (الجميل يوقع تأثيراً كبيراً في نفوس المتلقين، مما يؤثر على بنائهم الفكري وتوجيههم الديني والاجتماعي والسياسي)[٤] إلى أنْ بلغ الأمر أن يقولَ الله عز وجل حكاية عن لسان المشركين: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَر﴾[٥].

نستخلص من ذلك أنّ الإسلام قد أحدث في حياة العرب انقلاباً منقطع النظير بعد (أن كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث إبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أَحْوالٌ، ونُسِخَت ديانات، وأبطلت أمورٌ، ونقلِت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أُخر بزيادات زيدت، وشرائع شُرِعت، وشرائط شُرطِت، فعفَّى الآخر الأول، وشُغل القوم - بعد المُغَاوَرَات والتجارات وتَطَلَّب الأرباح والكدح للمعاش في رحلة الشتاء والصيف)[٦].

(١) في الأدب الإسلامي والأموي: ٢٧٢.
(٢) فصاحة الرسول المصطفى وبلاغته: ٩٠.
(٣) سورة النساء: آية ٦٣.
(٤) فصاحة الرسول المصطفى وبلاغته: ٩٢.
(٥) سورة المدثر: آية ٢٤.
(٦) الصاحبي (باب الأسباب الإسلامية): ٧٨، المزهر: ٢٣٥.

يتّضحُ ممّا سبق أنّ الإسلام أثّر في جميعِ مفاصل الحياة العربية، والاجتماعيّة والاقتصاديّة، والسياسيّة، والدينيّة (ولم يكن بد من أن يتأثر الأدب بالحياة الجديدة وأن يكون صدى لأحداثها واتجاهاتها، وكانت مظاهر التطور في النثر أوضح منها في الشعر)[١].

بعد أنْ أخذ كلّ شيء - بعد مجيء الإسلام - نصيبه من التطوّر، ولاسيّما اللغة والأدب فـ (كان للخطابة بطبيعة الأمر نصيبها من هذا التطور الذي أصاب النثر)[٢]؛ بل كان للخطابة الحظ الأوفر لما عليه في الشعر، بل حتى قيل أنّ الشعر ضعُف ولانَ بعد مجيء الإسلام كما ذهب الأصمعي إلى هذا الرأي[٣].

إنّ تأثّرَ العرب بالقرآن الكريم وتطورهم به لم يأتِ من فراغ، إذ أصبح (القرآن الكريم دستور المسلمين الأعظم، وكتاب اللغة العربية الأكبر، إليه يفزع المؤمنون... وكان منذ نزوله على النبي الكريم محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّم) حجّة بلاغية كبرى، ومعجزة أدبية عظمى وقف العرب أمامها مبهورين لا يعرفون لذلك سبباً ولا يستطيعون لأمره رداً)[٤].

وتأسيساً على ما سبق أنّ للقرآن الكريم جُملة آثار تركها في حياة العرب، ولاسيّما في اللغة والأدب(وأول ما كان من آثار القرآن الكريم أنه جمع العرب على لهجة قريش)[٥].

---

(١) الخطابة العربية في عصرها الذهبي: ٢٩.
(٢) م. ن: ٢٩.
(٣) ظ. فحولة الشعراء: ٢٠.
(٤) التفسير الأدبي للقرآن الكريم: (مجلة الرسالة الإسلامية): العدد١٨: ١٠.
(٥) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي): ٣١.

والدليل على أنّه وحّد اللهجات أو على أقلّ التقادير أنّه حاوَل التوحيد، فبعد انتشار الإسلام بدأ القرآن الكريم يُتلى في كلِّ الأمصار خاصّة بعد أنْ أصبحت تلاوته تعبداً، فشرع المسلمون - من كل قبيلة - ذوو اللهجات المتباينة والمتزايلة يقرؤون القرآن الكريم وهذا ما زاد من تأثّر الناس بلغته والاحتذاء به بعدما انبهروا ببلاغته وعجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، (وثاني آثاره أنه حول العربية إلى لغة ذات دين سماوي باهر، وبذلك أحلَّ فيها معاني لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها)[1]، إذ جاء بألفاظٍ ابتدأها بمعاني جديدة مثل القرآن، والكفر، والإيمان، والإشراك، والإسلام، والنفاق، والصوم، والصلاة، والزكاة[2].

يقول صاحب «المزهر» (ت ٩١١ هـ): (فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن، والمسلم، والكافر، والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان هو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سُمِّي المؤمن بالإطلاق مؤمناً. وكذلك الإسلام والمُسْلم، إنما عَرَفَت منه إسلام الشيء، ثم جاء من أوصافه ما جاء؛ وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والسِّتْر فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه وكان الأصل من نافقاء اليَرْبوع)[3]، من هذا الكلام نستنتج أنّ القرآن الكريم أثّر على اللغة على مستوى الشّكل والمضمون إذ منح للألفاظ دلالات غير معهودة في الجاهلية، بدليل (أن القرآن لو كان قد أثر في ألفاظ

(١) م. ن: ٣٢.
(٢) ظ. م. ن: ٣٢، ظ. الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام: ٧٥.
(٣) المزهر: ٢٣٥.

اللغـة وحدهـا وأبقـى أغراضهـا ومعانيهـا عـلى مـا كانـت عليـه في جاهليتهـا، فـلا يقـال إن هـذا تأثـير في اللغـة عـلى الإطـلاق وإنـما يقـال: هـو تأثـير في ألفـاظ اللغـة)[١]، ومـن جمُلـة آثـار القـرآن الكريـم في اللغـة العربيـة أيضـاً (أنـه قـد أحـدث فيهـا علومـاً جمـة، وفنونـاً شـتى لـولاه لم تخطـر عـلى قلـب. ولم يخطّهـا قلـم منهـا اللغـةُ، والنحـو، والـصرف، والاشـتقاق، والمعـاني، والبديـع، والبيـان، والأدب، والرسـم، والقـراءات، والتفسـير، والأصـول، والتوحيـد، والفقـه)[٢]، وهـذه كلها بصـمات القـرآن الكريـم عـلى مسـتوى اللغـة، وأمّـا في مجـال الأدب لم يكـنْ أثـر القـرآن الكريـم بأقـلّ مـن اللغـة (فعـلى هديـه أخـذ الخطبـاء والكتـاب والشـعراء يصوغـون آثارهـم الأدبيـة مهتديـن بديباجتـه الكريمـة وحسـن مخـارج الحـروف فيـه، ودقـة الكلـمات في مواضعهـا مـن العبـارات بحيـث تحيـط بمعناهـا، وبحيـث تجـلى عـن مغزاهـا، مـع الرصانـة والحـلاوة)[٣]، وقـد علّـق الدكتـور طـه حسـين عـلى التأثّـر الأدبي بالقـرآن الكريـم بقولـه: (فنحـن نعلـم إلى حـد بُعـد التأثـير الأدبي للقـرآن في نفـوس العـرب حتـى أصبـح المثـل الأعـلى الـذي يحتذيـه الكاتـب والمحـاور والخطيـب والشـاعر أيضـاً)[٤]، فيظهـر واضحـاً للعيـان أنّـه (منـذ أن نـزل القـرآن الكريـم وأعجـز العـرب ببلاغتـه أصبـح معينـاً للأدبـاء ينهلـون منـه ويقتبسـون ويسـعون إلى محـاكاة أسـلوبه)[٥]، فأقبـل الشـعراء يسـتقون مـن هـذا المعـين الثـرّ، (وقـد كثـرت محـاكاة الشـعراء والكتـاب والخطبـاء لعبـارات القـرآن

(١) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية: ٢٧.
(٢) جواهر الأدب: ٣٦٩.
(٣) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي): ٤٠، ٤١.
(٤) في الأدب الجاهلي: ٣٣٠.
(٥) الخطابة العربية في عصرها الذهبي: ٢٩.

في ألفاظه وأساليبه)[١]، ولا شكّ في أنّ السبب الذي جعل الشعراء وغيرهم يهرعون إلى القرآن الكريم وينهلون من معينه هو أنّ الشعر العربي كان يفتقر للمعاني الإسلامية، والمضمون الغزير على الرّغم من جماليّة القصائد التي وصلتنا، إلا أنّ العرب كانوا يفتقرون إلى الحضارة والمدنيّة والثراء الفكري، إذ لم تكنْ أغراض تلك الأشعار يتجاوز موضوعها الغزل، والشراب، والمرأة، والحماسة، والفخر[٢]، فهذا حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، والحارث بن عبد المطلب، وغيرهم تراهم متأثرين بالقرآن الكريم حيال ألفاظه وأساليبه وكناياته وتشبيهاته ومجازاته بشكل عام[٣]، ففي شعر حسان مثلًا، يبدو الأثر القرآني جليّا من ذلك ما قاله في مدح الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم):

عزيزٌ عليْهِ أنْ يحيدوا عن الهدَى حَريصٌ على أنْ يَسْتَقِيموا وَيهتَدوا[٤]

فالشاعر في هذا البيت يبدو متأثّراً بالآية القرآنية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٥].

يبقى القرآن الكريم معجزةً خالدةً لا تضاهيه معجزةٌ، ويظلّ يضخّ للعالم نبضَ الحياة، ويستفيد منه الأديب، والعالم، فمن معاجزه أنّك ترى كيف يصوّر الإنسان مراحل عمره بأدقّ تفاصيل ومزاجه، وينقل أخبار

(١) الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام: ٧٦.
(٢) ظ. تاريخ الإسلام من العصر الجاهلي إلى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ٥١.
(٣) ظ. الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام: ٧٦.
(٤) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: ٥٦.
(٥) سورة التوبة: آية ١٢٨.

الأمم الخالية، وحججاً دامغةً، ومع ذلك لا يمكن عدّه كتابُ قصصٍ، أو أدبٍ، أو تاريخٍ، ولا هو شعرٌ، ولا نثرٌ، ولا سجعٌ، ولا خطابةٌ، بل هو خارج عن المعهود من كلام العرب[١]، وقد قال الوليد بن المغيرة المخزومي: (لقد سمعتُ من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق وإنّه يعلو وما يعلى)[٢]، وقد تحدّى الله عز وجل العرب بقوله: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[٣]، وعلى هذا الأساس كان حقّاً على الشعراء، والخطباء، والكتّاب وغيرهم أنْ يقتصّوا أثره.

أما أثر القرآن الكريم في مجال الخطابة فقد كان (واضحاً قوياً، سواءً من حيث الأسلوب والصياغة، أو من حيث الأفكار والمعاني، أو من حيث الصور والأخيلة. هذا فضلاً عن اقتباس آيات منه وتوشيح الخطبة بها)[٤]، و(قد أضفى القرآن والإسلام على الخطابة روحاً إسلامياً تباين الروح الجاهلية التي كان تتسم بها الخطابة قبل الإسلام)[٥]، ولعلّ مثل هذه الرؤية دفعتْ الدكتور طه حسين إلى القول: بأنّ الخطابة العربية فنٌّ إسلاميٌّ خالصٌ، وأنّ

(١) ظ. الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام: ٨٦، ٨٧.
(٢) تفسير الكشاف: ٤/ ٦٣٧، ظ. تفسير القرطبي: ١٩/ ٤٩، ظ. تفسير البيضاوي: ٢/ ٥٤٣، ظ. الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ١٠٠.
(٣) سورة الإسراء: آية ٨٨.
(٤) الخطابة العربية في عصرها الذهبي: ٤١.
(٥) م. ن: ٤٢.

الخطابة الجاهلية لم تكنْ شيئاً ولم تكنْ غنيّة[١]، ولستُ أميلُ إلى هذا الرأي، لأنّ العرب ذوو بيان وسليقة، وكانت تنقاد إليهم اللغة انقياداً، وكِلا الفنّين الشعر، والخطابة أداتهما اللغة، فليس من المعقول أنْ يكونوا قد برعوا في فنٍّ وأخفقوا في آخر والأداة واحدة، ولكنّ الحاجة كما أرى لم تدعهمْ إلى أن يتفوهوا بالخطابة كما دعتهم الحاجة إلى إنشاد الشعر، ولكنّ يمكن القول: بأنّ (تأثر النثر بالإسلام أقوى قوة، فقد نزل فيه الذكر الحكيم المعجز ببلاغته، وألقى به الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّم) أحاديثه وخطبه الرائعة وبذلك تحولت العربية من لغة وثنية ساذجة إلى لغة ذات دين سماوي باهر، تخوض في معان جديدة من عبادة الله الواحد الأحد ووصف الكون في طرفيه من النشأة والدُّثور ورسم الكمالات الروحية ووضع التشريعات المحكمة التي تحقق للناس السعادة في الدارين)[٢].

من خلال ذلك نلحظُ أنّ القرآن الكريم لطالما أثّر في نفوس سامعيه ممّا جعلهم ينهلون من مناهله الرويّة، فالأجدر إنّ أحقّ النّاس تأثّراً به هو الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله)؛ لأنه أوّل من تلقّى القرآن الكريم ونزل به الرّوح الأمين على قلبه الطاهر، وقد أحسنَ أحمد حسن الباقوري عندما علّق بقوله على تأثّر النّبي (صلى الله عليه وآله) بالقرآن الكريم يقول: (وإن كنا لا نشك في أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّم) بلغ الغاية في الفصاحة لأنه نبت من قريش وهم أفصح العرب واسترضع في بني سعد وهم من الفصاحة بمكان؛ إلّا أنّ ذلك لا يمنع من أن يظاهر القرآن الوراثة والبيئة؛ بل إني لا أشكّ في أنّ للقرآن

(١) ظ. في الأدب الجاهلي: ٣٣١.
(٢) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي): ٤٨٠، ٤٨١.

الأثر الأكبر في فصاحته، فلولاه لكانت فصاحته عليه السلام في حدود بيئته فلا نسمع منه هذه المعاني الإسلامية في تلك الأساليب القرآنية)[١].

إذن (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أول من تأثر بالقرآن المجيد، لأنه على صدره الواعي تنزل، وفي ذهنه الصافي تمثل، وعلى لسانه الطاهر جرى، فكان من خصائص أسلوبه (صلى الله عليه وآله وسلم) سهولة اللفظ ووضوح المعنى وبلوغ المرام بأقصر السُبل وأيسرها، بعيداً عن الصناعة اللفظية والتكلف الممقوت، مع ميل إلى الإيجاز، حينما لا يستدعي الأمر التوسع والإطالة)[٢]، ونقول أيضا أنّ أثر القرآن الكريم في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكنْ على فصاحته وبلاغته، فحسبْ وإنْ كان هذا مقصدنا، بل على جميع حركاته وسكناته (صلى الله عليه وآله وسلم)، أمّا في مجال كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) يصفه الرافعي بقوله: (مسدد اللفظ محكم الوضع جزل التركيب. متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات: فخم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضريبه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً، ولا لفظة مُستدعاة لمعناها أو مستكره عليه؛ ولا كلمةً غيرها أتم منها أداةً للمعنى وتأتيّاً لسرّه في الاستعمال)[٣].

يتبيّن هذا الوصف من ناحية لغته (صلى الله عليه وآله وسلم)، أمّا من جهة بيانه (صلى الله عليه وآله وسلم)، يضيف الرافعي قائلاً: (ورأيته في الثانية حسن المعرض، بيّن الجملة، واضح التفضيل، ظاهر الحدود جيّد الرصف، متمكن المعنى؛ واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراها،

(١) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية: ١٣٠.
(٢) الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين: ٢٦.
(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٣٥٩.

ولا ترى اضطراباً ولا خطلاً، ولا استعانة من عجز، ولا توسعاً من ضيق، ولا ضعفاً في وجه من الوجوه)[١].

لا أشكّ في أنّه لو سُئل الرافعي أنْ يصفَ القرآن الكريم لردّد الكلام نفسه في وصفه اللغوي والبياني، إذ إنّ هذه النعوت متأتية إلى كلام النبي (ﷺ) من القرآن الكريم.

إذن لطالما يستقي النبي (ﷺ) من القرآن الكريم؛ لذلك تظلّ (البلاغة النبوية لا يسمو إليها بيان ولا ينافسها كلام بشر ولم يعل عليها إلا كلام الله سبحانه)[٢].

هذا فإن الفصاحة والبلاغة التي عُرف بها الرسول (ﷺ) منشؤها التأديب الإلهي الذي أدبه فأحسن تأديبه الذي خُصّ بالبيان المتميّز من دون سائر الأنبياء والرسل، وهو معجزته التي لم يُؤتَ مثله أحدٌ، ولم يُعرف أحدٌ من العرب من فصحائهم، وبلغائهم، وشعرائهم بلغ ما بلغه (ﷺ)؛ لأن كلَّ واحدٍ منهم عُرف بتعثّره في نظمه الكلام، ولا يكاد أحد منهم يترشف من مناهل اللغة إلا النزر القليل[٣]، فكان (ﷺ) أفصح العرب خطاباً (وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب ولو عرف لقد كانوا نقلوه، وتحدثوا به واستعاض فيهم)[٤]، بل إنّه (ليس في العرب قاطبة من جمع الله فيه هذه الصفات، وأعطاه الخالص منها وخصه بجملتها، وأساس له مآخذها وأخلص له أسبابها - كالنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّم) فهو صنعه

(١) م. ن: ٣٥٩.
(٢) قضايا إسلامية معاصرة: ١٣٩.
(٣) ظ. فصاحة الرسول المصطفى (ﷺ) وبلاغته: ٩٦.
(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٣١٥، ٣١٦.

لوحيه، ونصبه لبيانه، وخصه بكتابه، واصطفاه لرسالته)[١]، وكأنّه (صلى الله عليه وآله) (وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه. ولوهم اطلعوا منه على غير ذلك، أو ترامى كلامه إلى شيء من أضداد هذه المعاني، لقد كانوا أطالوا في رد فصاحته وعرّضوا، ولكان ذلك مأثوراً عنهم دائراً على ألسنتهم، مستفيضاً في مجالسهم ومناقلاتهم، ثم لردوا عليه القرآن... ثم لكان فيهم من يعيب عليه في مجلس حديثه ومحاضرة أصحابه، أو ينتقص أمره ويغُضَّ من شأنه، فإن القوم خُلّصٌ لا يستجيبون إلا لأفصحهم لساناً، وأبينهم بياناً)[٢].

ومن الأدلة التي يمكن أن نستدل بها على أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أفصحُ وأبلغُ وأبينُ العرب قاطبةً هي أنّ الله عزّ وجلّ (جعل نبيه أمياً لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ولا يقرض الشعر، ولا يتكلف الخطابة ولا يتعمد البلاغة)[٣]، وإنْ كانت قضيّة أميّةّ النبي (صلى الله عليه وآله) كونه لا يقرأ ولا يكتب محطّ خلاف بين العلماء عند الوقوف على الآية القرآنية الكريمة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٤] إذ يرى بعض العلماء أن النبي (صلى الله عليه وآله) لا يقرأ، ولا يكتب، ومنهم من يرى أنّ المقصود بالأميّة نسبة إلى أمّ القرى[٥] بينما كانت العرب على عكس ذلك تماماً فرغم أميّته (صلى الله عليه وآله) (كان إذا احتاج إلى البلاغة

(١) م. ن : ٣١٩.
(٢) م. ن: ٣١٩.
(٣) البيان والتبيين: ٤/ ٢٠.
(٤) سورة الجمعة: آية ٢.
(٥) ظ. بصائر الدرجات: ٢٩٧، ظ. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٨/ ٢٣٣، ظ. النبي الأمي: ٣٤ - ٤٣ .

كان أبلغ البلغاء، وإذا احتاج إلى الخطابة كان اخطب الخطباء وأنسب من كل ناسب وأقوف من كل قاف)[١]، وهو (ﷺ) كما قال يونس بن حبيب: (ما جاءنا من أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله (ﷺ))[٢].

من صور تأثّر النبي (ﷺ) في خطبه بالقرآن الكريم احتذاؤه أسلوب الإيجاز والأطناب فنراه (ﷺ) في خطبه تارة يوجز وتارة يطيل من دون إخلال، إذ لا يمكن الحكم على خطب الرسول (ﷺ) القصيرة بالقليلة، والغضاضة من شأنها فإذا كان الأمر هكذا فهل يصحّ القول بأنّ سورة الكوثر أقلّ شأناً، وأقلّ بياناً، وأقلّ إعجازاً من سورة البقرة لكونها قصيرةً -معاذ الله- إنّما هذه المسالة بطبيعة الحال مردّها إلى مقتضى الحال فمن (فرائد الإيجاز في كلام النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّم) ما رواه سفيان بن عبد الله -رضي الله عنه- قال قلت لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّم): يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»)[٣]، فهذا كلامه (ﷺ) الذي يصفه الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) بقوله: (وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجَلَّ عن الصَّنعة، ونُزِّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد):[٤] ﴿وَمَا أَنَا مِنْ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٥]، وأحياناً أخرى يُطيل الرّسول الكريم (ﷺ) في

(١) البيان والتبيين: ٤/ ٢٠.
(٢) م. ن: ٢/ ١١.
(٣) البيان المحمدي: ٧١٨.
(٤) البيان والتبيين: ٢/ ١٦،١٧ .
(٥) سورة ص: آية ٨٦.

خطبه إذا ما دعت الضرورة كما في خطبة الوداع. إذن فالقياس الفنّي ليس بالكثرة والقلّة، بل (رُبَّ قليلٍ يُغني عن الكثير، كما أنْ رُبَّ كثيرٍ لا يتعلَّق به صاحب القليل. بل ربَّ كلمةٍ تُغْنِي عن خطبة، وتنوب عن رسالة. بل ربَّ كنايةٍ تربي على إفصاح، ولحظٍ يدلُّ على ضمير)[١]، و(إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار هَدَراً)[٢].

بهذا يمكن القول: إنّ خُطَبَ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تكون من حيث الطول والقصر بحسب مقتضى الحال فلكلّ مقام مقالاً[٣].

من الأدلّة اللافتة للنظر على تأثر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرآن، ولاسيما من ناحية البناء الفنّي لخطبه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي افتتاحات خطبه بالحمد، والثناء، والاستعانة بالله، إذ يقول ابن قتيبة (ت ٢١٦هـ): (تتبعت خطب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّم) فوجدت أوائل أكثرها: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه...»)[٤]، فيبدو هنا أنّ أثر سورة الفاتحة المباركة قد انساب إلى خطبه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأرى أنّ احتذاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبه سورة الفاتحة كان قصديّاً وهذه القصديّة بالنسبة لي توحي إلى شيئين:

الأوّل: أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء بدين التوحيد؛ لذا حرص أنْ يوشّح خطبه دوماً بالثناء على الله والاستعانة به.

الثاني: تدلّ على شدّة علاقته (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرآن الكريم، ولاسيما سورة الفاتحة

(١) البيان والتبيين: ٢/ ٧ .
(٢) كتاب نقد النثر: ٩٦.
(٣) ظ. النثر الفني في القرن الرابع: ٥٨، ٥٩.
(٤) عيون الأخبار: ٢/ ٢٣١ .

التي تقرأ في كلّ ركعة من ركعات الصلاة فلا شكّ في أنّ هذا يترك أثراً، وعليه جاء مفاتيح خطبه مستوحاة من سورة الفاتحة، ويزاد على ذلك أنّه كما القرآن الكريم يُفتتح بسورة الفاتحة فكأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) استثمر هذا العنوان ومضمون هذه السورة ليكون مفتتحاً لخطبه الشريفة، وممّا تجدر الإشارة إليه بأنّ هذا الشيء لم يكنْ معهوداً حتى استنّه الرّسول (صلى الله عليه وآله) فعلى أثره اقتدى المهتدون، وأصبح الافتتاح بالحمد والثناء والاستعانة سُنّةً من سُنن الخطب حتى قال الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ): (على أنّ خطباء السّلَف الطيب، وأهَل البيان من التابعين بإحسان، ما زالوا يسمُّون الخطبةَ التي لم تبتَدَأ بالتحميد، وتُستَفتَح بالتمجيد: «البَتراء»، ويسمُّون التي لم توشّح بالقرآن، وتزيَّنْ بالصَّلاة على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِه) وَسَلَّم)، «الشَّوهاء»)[1]، وهذا دليل على تأثره (صلى الله عليه وآله) بالقرآن الكريم وذلك توشيح خطبه (صلى الله عليه وآله) بالآيات القرآنية، والدليل الآخر على أثر القرآن الكريم في خطاب النبي (صلى الله عليه وآله) بشكلٍ عام وفي خطبه بشكلٍ خاص هو أنّك ترى كلَّ ما في كتاب الله العزيز من فنون بلاغيّة متضمناً في كلامه (صلى الله عليه وآله) من اقتباس إلى تضمين إلى استشهاد بآياته، إلى محاكاة أسلوبه، إذ (كان الاستشهاد بالآيات القرآنية من أبرز الملامح الفنيّة للخطابة النبويّة، إذ كان الرّسول العظيم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّم) هو الرائد الأول في تضمين جل خطبه - آيات بينات- من القرآن الكريم)[2]، وهذا دليل على تأثره (صلى الله عليه وآله) بالقرآن الكريم؛ وذلك توشيح خطبه بالآيات القرآنية.

---

(١) البيان والتبيين: ٢/ ٦.

(٢) خطب الرسول الكريم (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآله) وَسَلَّم)، دراسة توثيقية تحليلية (رسالة ماجستير): ٩٥.

أما اقتباساته (صلى الله عليه وآله) في خطبه كثيرة فمن هذه ما قاله (صلى الله عليه وآله) في خطبته في فتح مكة بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال (صلى الله عليه وآله): (... **يا معشر قريش، إن الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء، والناس من آدم وآدم خلق من تراب**)[1]، ثم تلا (صلى الله عليه وآله) هذه الآية ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[2]، وفي خطبة الوداع يقول (صلى الله عليه وآله): «**ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها**»[3]، فـ(هذا التوجيه النبوي مستمد من التوجيه القرآني في قوله عز وجل)[4]﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾[5].

ومن جُملة استشهاداته (صلى الله عليه وآله) بالآيات القرآنية ما قاله (صلى الله عليه وآله) بيوم بدر في خطبةٍ له (صلى الله عليه وآله) بعد الحمد والثناء على الله عز وجل: «... **فاستحيوا اليوم أن يطلّع الله عزّ وجل على شيءٍ من أمركم يَمقُتكم عليه**»[6]، فإنّ الله يقول: ﴿**لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾[7]، وفي الوقت نفسه ثمّة في الخطبة محاكاة لأسلوب القرآن وذلك في (يمقتكم عليه).

ويمكن إيراد شواهد كثيرة من خطب الرسول (صلى الله عليه وآله) وبيان أثر القرآن الكريم فيها من ناحية محاكاته (صلى الله عليه وآله) أسلوب القرآن الكريم، إذ تعدّ محاكاة

(١) السيرة النبوية: ٤/ ٣٤.
(٢) سورة الحجرات: آية ١٣.
(٣) تاريخ الطبري: ٣ / ٦١.
(٤) البيان المحمدي: ٣١١.
(٥) سورة النساء: آية ٥٨.
(٦) كتاب المغازي: ١ / ٥٩.
(٧) سورة غافر: آية ١٠.

أسلوب القرآن الكريم، واحتذاء عباراته، وألفاظه، وتنوع تعابيره، وأساليبه، واستلهام بما فيه شكلاً ومضموناً صورةً واضحة للتأثير القرآني[١]، وكان هذا الأثر بارزاً وقوياً في خطب النبي (صلى الله عليه وآله) بحيث يدلّ على شدة امتزاجه وعمق غوره في كتاب الله العزيز، وقد أشرنا إليها في المثال السابق كما أشرنا بتأثّره (صلى الله عليه وآله) في افتتاحيات خطبه بالقرآن الكريم فكلّ هذا محاكاة لأسلوب القرآن الكريم، لكن اختصرت بهذا القدر كي لا أثقل من كاهل البحث.

وفيما يخصّ أثر القرآن الكريم في نهج البلاغة فإنّه أغنى من أن أفصّل فيه في تمهيدي هذا؛ لأنّ هذا الموضوع قد حظي باهتمام الباحثين والدارسين ولعل كتاب «الأثر القرآني في نهج البلاغة» دراسة في الشكل والمضمون، للدكتور عباس الفحّام، يأتي من ضمن مقدّمة البحوث، ولكني سأركّز هنا على الأسباب الناشئة وإثبات الحجّة الدامغة على تأثر الإمام (عليه السلام) بالقرآن الكريم أكثر من إيراد أمثلةٍ على تأثّره (عليه السلام)، كي لا يكون الكلام كله معاداً فيصبح مملًّا، ولولا أنّ الكلام يُعاد لنفد.

إنّ أولى الأسباب التي أدّتْ إلى تأثّر الإمام (عليه السلام) بالقرآن الكريم هو نشأته في بيت الوحي فاستفاد من تجربة الوحي الإلهية مع الرّسول (صلى الله عليه وآله)، فقد (جمعت بينه وبين الرسول (صلى الله عليه وآله) قرابة مضاعفة، ومحبة أوثق من محبة القرابة، فقد كان ابن عمه الذي نشأ في بيته ونعم بعطفه وبره، واستفاد من علمه وتربيته، يجمع بينهما جدٌّ واحد وبيت واحد، وجميل معروف فقد تكفّل به تخفيفاً عن أبيه، وكان أول من أجاب إلى الإسلام من الصبيان،

(١) ظ. النثر الفني في ثورة التوابين وإمارة المختار، دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير): ٣٦.

وأول من صلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعاش في بيت الدعوة الإسلامية فنشأ على الفضيلة والتقى والورع وخشية الله تعالى)[١]، وهذا ما صّرح به الإمام (عليه السلام) بنفسه حينما قال: «**أَنَا عَبدُ اللهِ وأَخُو رَسُولِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِه) وَسَلَّم) وأَنَا الصَّدِّيقُ الأَكْبَرُ لا يَقُولُهَا بَعْدِي إلا كَذَّابٌ صَلَّيْتُ قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِ سِنين**»[٢].

ولا أظن أنّ مسلماً منصفاً يشكّ في أنّ الإمام (عليه السلام) هو أعرف النّاس بكتاب الله بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقوله (عليه السلام) يوحي بذلك: (**سلوني عن كتاب الله فانه ليست آية إلا وقد عرفت أبليل نزلت أم بنهار، في سهل أو جبل**)[٣]، ويقول (عليه السلام) في موضعٍ آخر: «**والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً**»[٤]، فالذي يعرف أنّ أيّة آية نزلت ليلاً كانت أم نهاراً، في سهل نزلت أم في جبل، ومتى وفيم وأين ولماذا نزلت؟ ألا يدلّ أنه أعرف الناس بكتاب الله، ويدلّ على شدّة علاقته وتأثّره بالقرآن الكريم، فمن شبّ على شيء شاب عليه.

من الأسباب التي تدلّ أيضاً على تأثّر الإمام (عليه السلام) بالقرآن الكريم هو أنّه (قد ولد مسلماً على التحقيق إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح، لأنه فتح عينيه على الإسلام ولم يعرف قط عبادة الأصنام)[٥]، وهذا من نِعَم الله

(١) تراجم آل بيت النبوة رضي الله عنهم: ٥٧.
(٢) سنن ابن ماجة: ١/ ٨٩ .
(٣) كتاب جمل من أنساب الأشراف: ٢/ ٣٥١.
(٤) م. ن: ٢/ ٣٥١.
(٥) عبقرية الإمام (عليه السلام): ٣٨.

التي أنعم بها علي بن أبي طالب(عليه السلام) خاصّة نشأته في بيت رسول الله في عُمْر كان سبع سنين، ولا شكّ في أنّ الطفل في هذا العمر يكون (في مرحلة حساسة تتبلور فيها الشخصية وتكون مستعدة لقبول التربية)[١]، وهذا يعني أنّ المعلّم عامل مهم في الحياة التعليمية للطفل، وتجدر الإشارة هنا إلى أن النبي (صلى الله عليه وآله) هو المعلّم الأوّل للإمام (عليه السلام) ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٢]، وهذا يعني أيضاً أنّ الإمام (عليه السلام) تأثّر بالقرآن الكريم من جانب وتأثّر بالنبي (صلى الله عليه وآله) من جانب آخر. إذن يعدّ التعليم النبوي من الأسباب الناشئة التي جعلت الإمام (عليه السلام) أنْ يتأثّر بالقرآن الكريم، ولا سيّما التعليم في هذه المرحلة الحسّاسة، إذ التعلّم في هذه المرحلة من العمر يؤدّي إلى (تحسن مستمر في الأداء وهو تَحسنٌ يمكن ملاحظته نتيجة لما يحدث من تغيرات أثناء عملية التعلّم)[٣]، وهذه النظرية العلمية يصدقها قول الإمام (عليه السلام) إذ يصف نفسه كيف تعلّم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو صغير وكان هذا التعلّم مستمراً فيقول (عليه السلام): «**وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ، وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي إِلَى فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كِذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ... وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالإِقْتِدَاءِ بِهِ**»[٤].

(١) تاريخ الإسلام من العصر الجاهلي إلى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله): ١١٥.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٦٤.
(٣) علم النفس المعملي: ١٣.
(٤) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٣٢٦، ٣٢٧.

ومن الأسباب أيضاً أدّت على تأثّر الإمام (عليه السلام) بالقرآن هو أنّه (عليه السلام) كان كاتب وحي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد أشار ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) إلى هذه النقطة في شرحه النهج قائلاً: (واختصَّ بقرابته من الرسول عليه السلام؛ فكان ابن عمه، وزوج ابنته، وأحبّ عِتْرته إليه كما كان كاتب وحيه وأقرب الناس إلى فصاحته وبلاغته، وأحفظهم لقوله وجوامع كلِمه)[1]، وهذا معناه أنّ الإمام (عليه السلام) كان دائم التواصل مع القرآن الكريم حتى اختلط في دمه ولحمه، وقد وصف لنا (عليه السلام) ارتباطه بالقرآن الكريم ومع النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله: (**«وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ، حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟» فَقَالَ: «هَذَا الشَّيْطَانُ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»**)[2].

يتبيّن ممّا سبق أنّ الإمام (عليه السلام) كان يمتّ بعلاقة عميقة بالقرآن الكريم وتوضحت هذه العلاقة من تلك الأسباب التي أشرنا إليها، فكلّ هذه الأسباب كانت توثّق صلته (عليه السلام) بالقرآن الكريم، ويمكنني أن أجملَ كلّ هذه الأسباب بكلمةٍ، وهي أنّ الذي جعل علي بن أبي طالب (عليه السلام) بهذا المستوى الرّفيع من الفصاحة والبلاغة ناتجٌ عن أمرين أوّلهما القرآن الكريم، وثانيهما هو النبي (صلى الله عليه وآله) فصار مؤدّبه الرسول (صلى الله عليه وآله) ومادّته القرآن الكريم فتأثّر بهما

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٤.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٣٢٧.

وامتزجا في نفسه الشريفة حتى غدا أخطب الناس بعد رسول (صلى الله عليه وآله)، ويقول الجاحظ(ت ٢٥٥هـ): (كان أبو بكر خطيباً، وكان عمر خطيباً، وكان عثمانُ خطيباً، وكان عليٌّ أخطبَهم)[١]، والمعلوم أنّ هذا الحُكم لم يأتِ به الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) عن عصبيّة أو عن فراغ وإنّما مبنيّ على أُسس وأسباب دفعته إلى هذا القول.

إذن يظلّ كلام الإمام (عليه السلام) لوحةً ثمينةً في تراث العرب، وإشارة فَخْرٍ على جبين التاريخ العربي كما بقيتْ وستبقى (خطب الرسول (صلى الله عليه وآله) حافلة بخصائص الفن من حيث مراعاتها للإثارة العاطفية عند الجمهور)[٢]، وتظلّ هذه الثلاثيّة المعصومة - محور سرِّ الوجود - القرآن الكريم والنبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام)، ويظلّ أسلوب الإمام (عليه السلام) (أول أسلوب ظهر فيه التأثر بالقرآن الكريم وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله)، والأخذ من معانيها وألفاظها، مما مكّنه من الفصاحة والبيان. وتمتاز خطبه بالصدق والروعة الجذابة التي تعجبك وتحب الاستماع الدائم إليها فهو ممن أوتوا الحكمة وفصل الخطاب)[٣]، فهو كالنبي (صلى الله عليه وآله) في تأثره بالقرآن الكريم فتارة يقتبس، وأخرى يستشهد بآياته الكريمة، وثالثة أخرى يحاكي أسلوبه.

من اقتباساته (عليه السلام) للآيات القرآنية قوله في خطبة له (عليه السلام): «**فالله الله أيُّها النَّاسُ فيما استحفَظَكُم مِنْ كِتَابِهِ واسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُم سُدَىً وَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي جَهَالِةٍ وَلَا عَمَىً. قَدْ سَمَّى**

(١) البيان والتبيين: ١/ ٣٥٣.
(٢) مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٦١.
(٣) تراجم آل بيت النبوة رضي الله عنهم: ٧٢.

آثارُكُمْ، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجالَكُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شيءٍ، وَعَمَّرَ فِيكُم نَبِيَّهُ أَزْمَاناً»[1]، فاقتبس(عليه السلام) من القرآن الكريم **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾**[2] ومن استشهاداته (عليه السلام) بالآيات القرآنية ما ورد في خطبة له (عليه السلام) ذكر فيها الحج قائلاً: «**جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلإِسْلَامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً. فَرَضَ حَقَّهُ وَأَوْجَبَ حَجَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ**»[3] فَقَالَ سُبْحَانَهُ: **﴿وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾**[4].

وأمّا محاكاته (عليه السلام) أسلوب القرآن الكريم كثيرةٌ، ولا عجبَ في ذلك وقد دُعي بالقرآن الناطق، فمن جُملة هذه المحاكاة نذكر ما قاله (عليه السلام) في استنفار النّاس إلى أهل الشام: «**أُفٍّ لَكُمْ ! لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُم. أَرَضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِن الآخِرَةِ عِوَضَاً؟ وَبِالذُّلِّ مِن العِزِّ خَلَفَاً. إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. دَارَتْ أَعْيُنُكُم، كَأَنَّكُمْ مِنَ المَوْتِ فِي غَمْرَةٍ**»[5]، فهذا المقطع ما هو إلا صدى القرآن الكريم فجملة (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذل من العز خلفا) محاكاة للآية القرآنية **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ الله اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾**[6]، وكذلك جملة (دارت أعينكم كأنكم

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ١٣٣.
(٢) سورة النحل: آية ٨٩.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ٣٠.
(٤) سورة آل عمران: آية ٩٧.
(٥) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ٧٦، ٧٧.
(٦) سورة التوبة: آية ٣٨.

من الموت في غمرة) فهي محاكاة للآية القرآنية ﴿**فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ**﴾[1]، فضلًا عن أنّ محاكاته (عليه السلام) هنا ولهذه الآية لم يكنْ مجرّد أثر وتأثّر، بل كان مقصوداً؛ وذلك لأنّ غاية الإمام (عليه السلام) استنفار أصحابه، والآية الكريمة أيضاً تصبّ بهذا المعنى؛ لذا استثمر الإمام (عليه السلام) هذه الآية واستغلّ معناها ليوظّفه في موقفه ليغدو كلامه أقوى وأشدّ أثراً في نفوس سامعيه.

إذنْ يبقى الأثر القرآني في كلام الإمام (عليه السلام) أكبر من أن يحيط به هذا التمهيد، لكن كانت إشارتي إليه بوصفه مدخلاً للبحث، والأخذ بالقليل خيرٌ من ترك الكثير.

(١) سورة الأحزاب: آية ١٩ .

الفصل الأوّل

أساليب الخبر والإنشاء

يرى البلاغيون أنّ الكلام كله في العربية يأتلف من الخبر والإنشاء وهذا القزويني (ت ٧٣٩ هـ) يقول في الإيضاح: (إن الكلام إما خبر أو إنشاء)[١]، وما الخبر والإنشاء إلا أساليب يستعين بها المبدع في بناء النصّ سواءً أكان هذا المبدع ناظماً أم ناثراً؟ ولا سيما الخطيب، حيث ترى في كلامه من تعاقب التعبير، وتناوب الأساليب من إخبار إلى استفهام إلى النداء إلى الأمر إلى الاستنكار[٢]، فكلّ نصٍّ على وفق ذلك يتكوّن من مجموعة من الأساليب، ومن ثمّة يتكوّن هذا النصّ من نسيجٍ منسّقٍ من الكلمات والأساليب إذ يفرض نفسه بشكل معين[٣]، وهذا يعني أنّ النصّ يقوم على (عنصري الاختيار والتأليف)[٤]، فمن هذه الأساليب سنتناول بمشيئة الله تعالى ما سنجدها في الخطب النبويّة الشّريفة متتبّعين أثرها فنيّاً في الخطاب العلوي المجموع من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة.

---

(١) الإيضاح: ٣٨.
(٢) ظ. جواهر البلاغة: ٤٨.
(٣) ظ. النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق: ١٧.
(٤) الخطيئة والتكفير: ٢٢.

أوّلاً ـ أسلوب الخبر:

ـ الخبر:

لم يختلفِ البلاغيّون في حدّ الخبر، فقد بسطوا الكلام في هذا الأسلوب وأصّلوه في مظانّهم وأدخلوه في علم المعاني وقد أولوه اهتماماً وعرّفوه بـ (الكلام المحتمل للصدق والكذب أو التصديق والتكذيب)[1] وقد بينّ السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) المقصود بالصّدق والكذب قائلاً: بأنّ الصّدق هو (الخبر عن الشيء على ما هو به والكذب بأنه الخبر عن الشيء لا على ما هو به)[2]، والمتتبّع كتب البلاغة يجد البلاغيين وضعوا أصولاً وقواعدَ ينبغي للمتكلّم أن يأخذها بنظر الاعتبار عند إلقاء الخبر على المخاطب (كالطبيب مع المريض، يشخص حالته، ويعطيه ما يناسبها)[3]، وأنّ البلاغيّين كلهم استنبطوا قواعدهم وأصولهم البلاغيّة من القرآن الكريم أوّلاً ومن كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثانياً، ومن نظم شعراء العرب ونثر فصحائهم ثالثاً، فإذا ما جئنا إلى خطب الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) هل يمكن أن نلحظ هذه الأصول البلاغيّة في خطبه الشريفة؟ وهل سنجد هذه البصمات في كلام ربيبه الأوّل الإمام علي (عليه السلام) المجموع في نهج البلاغة؟

ففي خطبةٍ له قال (صلى الله عليه وآله) (**كلُّ ما هوَ آتٍ قريبٌ، لا بُعْدَ لما هو آت. لا يعجّل لعجلةِ أحدٍ**)[4]، ترى الجملة ابتدأت بالخبر وهذا النّوع من الخبر يسمّيه البلاغيّون بالابتدائي إذ يستعمل هذا الضّرب من الخبر عندما يكون

(١) مفتاح العلوم: ١٦٤.
(٢) م. ن: ١٦٤.
(٣) جواهر البلاغة: ٤٨.
(٤) تفسير القرطبي: ١٨/ ٧٥.

المخاطب (خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه)[١].

ولو تتبّعتَ جُمل الخطبة ترى كلها بُنيتْ على هذا النّوع من الخبر وهذا يدلّ على أنّ المخاطب غيرُ شاكٍّ في الخبر ولا متردّدٍ فيه؛ ولذا خلت الجمل كلها من المؤكّدات لعدم الحاجة إليها، فالنبي (صلى الله عليه وآله) لا ريب في أنّه على علمٍ بمستوى فهم المخاطبين للأخبار(فإذا كان المخاطب خالي الذهن عن الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيه استغنى عن مؤكدات الخبر)[٢]، ويبدو أنّ الإمام (عليه السلام) نظر إلى معلِّمه الأوّل محمّد (صلى الله عليه وآله) وتابعه الأسلوب نفسه، وهذا ما نلحظه في خطبته (عليه السلام) إذ يقول فيها: (**وَ كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَ كُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَ كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ**)[٣]، فترى بوارق خطبةِ الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في خطبته هو تصدير جملته بـ(كلّ) الذي (هو اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكّر)[٤]، ثمّ متابعته (عليه السلام) الأسلوب نفسه، وهو أسلوب الخبر فضلًا عن أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أطلق خبره من دون أيّ مؤكد وكذلك الإمام (عليه السلام)، وهذا الضّرب من الخبر أطلق عليه البلاغيّون بالابتدائي والذي يلفتُ النّظر أنّ الإمام (عليه السلام) خاطب الجمهور وعَرَضَ عليهم قضيّةً عقليّةً لا تستدعي مؤكّداً إذ أنّ (كلّ معدود منقض) أمرٌ لا يختلف فيه اثنان ثم أردف(عليه السلام) جملته هذه بـ(وكلّ متوقع آتٍ وكلّ آتٍ قريبٍ دان)، بل إنّه (عليه السلام) اقتبس من النبي (صلى الله عليه وآله) هذه الفكرة وصاغها بعبقريّته الفذّة.

---

(١) البلاغة والتطبيق: ١٠٦.
(٢) الإيضاح: ٤٤، ظ. خصائص التراكيب: ٨٠.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ١٧٢.
(٤) مغني اللبيب: ١/ ٢٥٥.

ومثله ما ورد في خطبةِ النبي (صلى الله عليه وآله) «**رُبَّ حامِلِ فِقْهٍ لا فقه له، وَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»[١]، ترى أنّ الجملتين بُنيتا على أسلوب الخبر من دون مؤكّد فهذا يدلّ أيضاً على أنّه ليس ثمّة شاكّ في السامعين، أمّا إذا ما أتينا إلى نهجِ البلاغة نرى الإمام (عليه السلام) يحتذي حذو الرسول (صلى الله عليه وآله) أسلوباً ودلالةً ففي إحدى حكمه يقول (عليه السلام): «**رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَ عِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ**»[٢]، فالأسلوب هنا هو أسلوب الخبر كما كان في خطبةِ النبي (صلى الله عليه وآله)، وإذا ما تابعتَ كلمات الإمام (عليه السلام) ستجد حتى في بنائهِ للألفاظ رَدَفَ النبي (صلى الله عليه وآله) إذ بدأ بـ(رُبّ)، ومن ثَمّ أتى باسم الفاعل (عالم) فكلّ هذا دليل على تأثّره بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، أمّا من جهةِ المعنى فإنّنا نرى في خطبةِ النبي (صلى الله عليه وآله) عبارة (رب حامل فقه لا فقه له)، ونجد ما يشبهها في خطبة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (رب عالم قد قتله جهله)، وقد وقف العلامة الخوئي شارحاً هذه الحكمة قائلاً: (فالمقصود من العالم هو العالم بالقضايا الدينية عقلاً الجاهل بها وجداناً وعملاً والجهل بهذا المعنى يقتل العالم ويهلكه)[٣]؛ لأنّ من علامات العالم الجاهل أنّك تجده يحفظُ كلمات العلماء بلا بصيرة ممّا يجعله مغروراً ومزهوّاً، ومستغلاً علمه لكسب غاياته الشخصيّة، وهذه ليست من صفات العالم الرباني[٤].

ثمّة مسحة أخرى لخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في كلام الإمام علي (عليه السلام) هنا وهو الإيجاز وقد علّق العلوي في الطراز عندما ساق خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) قائلاً:

(١) إعجاز القرآن: ٩٣.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥٢٣.
(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢١ / ١٨٤.
(٤) ظ. في ظلال نهج البلاغة: ٦/ ١٥١.

(فلينظر المتأمل ما اشتملت عليه هذه الكَلِمُ القصيرة من المعاني الجمّة، والنُّكَتِ العديدة، مع نهاية البلاغة، ووقوعه في الفصاحة أحسن موقع)[١].

ومِن الجديرِ بالذّكر أنّ الإمام (عليه السلام) في موضعٍ آخر في نهج البلاغة فرّق بين الفقيه الحق والفقيه الذي لا فقه له الذي أشار إليه النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ قال (عليه السلام): «**اَلْفَقِيهُ كُلُّ اَلْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ اَلنَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اَللهِ، وَ لَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اَللهِ، وَ لَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اَللهِ**»[٢]، فكأنّ الإمام (عليه السلام) وهو ينشىء خطبته قد نظر إلى خطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، وتلقّى منه هذا الخبر فبدأ(عليه السلام) يبيّن للنّاس صفات الفقيه الحقيقي فخلع عليه ثلاث صفات أوّلها: أنّه لا يقنّط النّاس من رحمة الله وثانيها: أنّه لا يؤيّسهم من رَوح الله وثالثها: أنّه لا يؤمّنهم من مكر الله. أضف إلى ذلك أنّ أهمّ ما يُستدلّ به على تأثّره (عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله) هنا هو أنّ قوله بُني على وفق أسلوب النبي (صلى الله عليه وآله) وهو الخبر الابتدائي.

ومن مظاهر التأثّر أيضاً أنّ الإمام (عليه السلام) تجده ينقل تركيباً من خطب الرسول (صلى الله عليه وآله) فيوظّفه في كلامه توظيفاً متْقناً، إذ يصرف ذهن المتلقّي لدقّته، وحسن التعامل مع النصّ إلى خطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، ممّا ينمّ من عمق التأثّر بكلام الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وهذا ما نجده في خطبته (عليه السلام) واعظاً وداعياً سامعيه إلى الاستعداد للموت قائلاً: «**واسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ**»[٣]، فجملة (فقد أظلّكم) جملة إخبار وقد أخذه الإمام (عليه السلام) من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في صيامِ شهرِ رمضان وفضله: «**يا أَيُّها النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُم شَهْرٌ عَظِيمٌ**

(١) الطراز: ٧٩.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥١٩.
(٣) م. ن: ١/ ١٠٠.

مُبَارَكٌ»[١]، فجملة(قد أظلّكم) التي قالها النبي (صلى الله عليه وآله) جملة إخبار اقتطعها الإمام (عليه السلام) ووظّفها في خطبته في ظروف غير ما كانت عليها في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) بالرغم من أنّ الجملتين اتّفقتا في الأسلوب وهو أسلوب الخبر، فالنبي (صلى الله عليه وآله) استعملها في مقام ذكر شهر رمضان وفضائله، أمّا الإمام (عليه السلام) فقد استعملها في مقامِ ذكرِ الموت والموعظة، وهنا تتجلّى مقدرة الإمام (عليه السلام) الفنيّة، وليس هذا غريباً على سيّد البلغاء، بل له أيضاً أمثلة في نقل ألفاظ من القرآن الكريم، وتوظيفها في كلامه (عليه السلام) حسبَ موقفه الفنّي بعد أن اقتطعها من محيطها القرآني مستغلاً ما لهذه الألفاظ من معانٍ ودلالات[٢]، إذ أنّ عبقريّة الإمام (عليه السلام) تكمن في التقاطه هذه اللّفظة التي كانت في علاقة دقيقة، وملائمة مع أخواتها من الألفاظ، ثم إنشائه علاقة جديدة بنسجها مع ألفاظٍ أخر مع الحفاظ على دلالتها، إذ أنّها تدلّ على قرب شيء من شيء (يقال أظلك فلان أي كأنه ألقى عليك ظله من قربه)[٣]، والذي يزيد المعنى وضوحاً أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) ألقى هذه الخطبة في آخر يوم من شهر شعبان، وهذا يعني أنّ شهرَ رمضان ألقى بظلاله على حياة المسلمين، وعلى هذا الأساس استثمر الإمام (عليه السلام)هذه اللّفظة، ووظّفها في مقام ذكرِ الموت؛ لأنّه قد أظلهم، والشيء الآخر الذي يشير إلى تأثّر الإمام (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) هو إتيانه بـ (قد) الذي يفيد التحقيق إذا دخل على الفعل الماضي وإلاّ كان بإمكانه (عليه السلام) أنْ يسوق هذه الجملة بدون (قد).

(١) الترهيب والترغيب: ٢/ ٢٢١.
(٢) ظ. الأثر القرآني في نهج البلاغة، دراسة في الشكل والمضمون: ٧٨.
(٣) لسان العرب: مادة (ظلل).

ويرى الباحث أنّ (قد) هنا تقريب الماضي كما أشار إليه ابن هشام (ت ٧٦١هـ) في مغني اللبيب قائلاً عن إفادته: (تقول: «قام زيد» فيحتمل الماضي القريبَ والماضيَ البعيدَ، فإن قلت «قَدْ قام" اختصَّ بالقريب)[١].

وهذا المعنى أقرب ما يكون- والله العالم- لكون المقام يقتضي ذلك؛ لأنّ النبي (ﷺ) يتحدّث عن شهر رمضان ويشير باقترابه كذلك الإمام (عليه السلام) يتحدّث عن الموت ويشير أيضاً إلى قربهِ من بَني البشر، ويزاد على ذلك أنّ النبي (ﷺ) يخاطب جمهور المسلمين من دون تأكيد أو يفتح خطبته بجمل تتصدّرها أدوات التوكيد بحسب مقتضى الحال والمقام، ففي خطبته (ﷺ) التي رواها أبو سعيد الخدري قال: قال (ﷺ): «**ألا إن الدنيا خضرة حلوة، ألا وإن الله مستخلفكم فيها**»[٢]، فيلاحظ أنّ النبي (ﷺ) جاء بأداة التوكيد ليؤكّد الخبر لِمن شكّ أو تردّد ولعلّ النبي (ﷺ) درى أنّ في المخاطبين ثمّة شاكّ في الخبر فأراد (تأكيد الكلام الملقى إليه تقوية الحكم ليتمكن من نفسه ويطرح الخلاف ظهره)[٣]، هذا الضرب من الخبر هو ما سمّاه البلاغيّون بالطّلبي الذي يؤتى به، وذلك عندما يكون المخاطب متردّداً في الخبر، شاكاً فيه، وفي صحته[٤]، أمّا إذا ما جئنا إلى نهج البلاغة رأينا الإمام (عليه السلام) يقول في خطبة له في ذمّ الدنيا: «**فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ**...»[٥] ناهجاً

(١) مغني اللبيب: ١/ ١٩١.
(٢) إعجاز القرآن: ٩٣.
(٣) جواهر البلاغة: ٤٩.
(٤) ظ. البلاغة والتطبيق: ١٠٦.
(٥) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ١٨٧.

أسلوب الرّسول (صلى الله عليه وآله)، إذ حذّر السامعين - مؤكداً بأداة التوكيد - من الدّنيا مقتبساً كلمات رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسها محاولاً التأثير في نفوس سامعيه بيد أنّه (عليه السلام) قدّم وأخّر (حلوة خضره) فحسبْ ولم يؤثّر هذا في الدّلالة والمعنى.

ويرى الباحثُ أنّ براعة الإمام (عليه السلام) بانتْ بعد أنْ أثبتَ (عليه السلام) في نفوس المخاطبين أنّ الدّنيا حلوة خضره وحذّرهم منها بدأ (عليه السلام) يسوق جمله بالأخبار من دون استعمال المؤكّدات واصفاً الدّنيا بقوله: «**حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّت بِالآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا**»[1]، ولعلّ الإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة أراد أن يبينّ للأمّة ما كان يعني النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته فقال (عليه السلام) في موضع آخر: «**مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الآخِرَةِ**»[2]، فـ(في الدنيا أعمال مرة المذاق على الإنسان قد ورد الشّرع بإيجابها فتلك الأفعال تقتضي وتوجب لفاعلها ثواباً حلو المذاق في الآخرة، وكذلك بالعكس ما كان من المشتبهات الدنيوية التي قد نهى الشّرع عنها توجب وان كانت حلوة المذاق مرارة العقوبة في الآخرة)[3].

وفي خطبةٍ أخرى له (عليه السلام) خطبها في عيد الفطر المبارك ذمّ فيها الدّنيا قائلاً: «**وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ، وَلأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ**»[4]، فاللفظتان (حلوة) و(خضرة) تذكّرنا أيضاً بخطبةِ النبي (صلى الله عليه وآله) وأنّهما أثران من آثار خطبه (صلى الله عليه وآله) في نهج البلاغة.

(١) م. ن : ٢/ ١٨٧.
(٢) م. ن: ٤/ ٥٥١.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/ ٢٤٨.
(٤) نهج البلاغة، محمد عبده: ٨٧، ٨٨.

أحياناً نرى الإمام (عليه السلام) يأخذ لفظةً من النبي (صلى الله عليه وآله) ويعيدها لكن بصياغةٍ أخرى كما أخذ لفظة (حلوة) من خطبته (صلى الله عليه وآله)، ووظّفها في خطبته (عليه السلام)، ففي خطبةٍ له (عليه السلام) جاء فيها ذكر نبيّنا وسيّدنا محمّد (صلى الله عليه وآله)، وعظةٌ للنّاس قائلاً: **(فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا، إِلّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا)**[1]، فاللّفظة (احلولت) أخذها من النبي (صلى الله عليه وآله) ووظّفها في خطبته (عليه السلام) لكن ببناءٍ مغاير، ويبدو أنّ الإمام (عليه السلام) رأى دقّة استعمال النبي (صلى الله عليه وآله) هذه اللّفظة ولا سيّما مجيئها مع الدّنيا فآثر أنْ يستعملها مع الدّنيا بعد أَنْ صاغها صياغةً أخرى محافظاً على دلالتها.

ومن مظاهر التأثّر أيضاً ورد في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله): **(فإن جهاد العدوِّ شديدٌ كَرْبَه، قليلٌ من يَصبِر عليه، إلاّ مَن عزم اللهُ رُشْدَه)**[2]، فترى (صلى الله عليه وآله) أكّد خبره الشّريف (جهاد العدو) بـ(إنّ) وفي هذا التأكيد أرى احتمالين:

الأوّل: إمّا جاء لإزالةِ الشكّ عمّن لديه شكّ في هذا الأمر؛ لأنّ يتطلّب التثبّت بنفسه .

الثاني: أو جاء تأكيداً للخبر(لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردد ولا إنكار)[3]، وأنا إلى الاحتمال الثاني أميل؛ لأنّ السامعين هم مؤمنون وفي لحظاتٍ عمّا قليل سيقاتلون في سبيل الله فلا يُمكن أنْ نعدّهم شاكّين في أمر الجهاد، وهذا من محاسن البلاغة، بينما الإمام (عليه السلام) يقول في خطبةٍ له في الحثّ على الجهاد محتذياً حذو الرسول (صلى الله عليه وآله) في أسلوبه (صلى الله عليه وآله): «**فإنّ**

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٧٤.
(٢) كتاب المغازي: ١/ ١٢١، ١٢٢.
(٣) جواهر البلاغة: ٥١.

الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ»[1]، فتصدير الجملة بـ(إنّ) يوحي إلى ردْعه (عليه السلام) مخاطبيه من الشكّ، فأنزلهم بمنزلةِ الشّاكّ أو المنكِر بتأكيده بـ(إنّ). يستند الباحث على أنّ الإمام (عليه السلام) تأثّر في هذه الخطبة بخطبته (صلى الله عليه وآله) من خلال أربع نقاط:

الأولى: لاتّفاقِ المناسبتين أي أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) ألقى هذه الخطبة الجليلة يوم بدر فلا شكّ في أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) يحضّ مخاطبيه على الجهاد، ويحثّ على فضله ويؤكد، وكذلك الإمام (عليه السلام) جاءت خطبته في الحثّ على الجهاد.

الثانية: لاتّفاقِ الأسلوبين وهو أسلوب الخبر.

الثالثة: تأكيد الجُملتين في كِلا الخطبتين بـ(إنّ)، وعليه يسمّى هذا الأسلوب بالخبر الطلبي.

الرابعة: كِلا الأسلوبين خرج على مقتضى الظاهر، والأثر الآخر الذي تجدر الإشارة إليه قضيّة التعريف والتنكير، وهي من المحاسن البلاغيّة فترى الإمام (عليه السلام) كمعلّمه النبي (صلى الله عليه وآله) يعرّف (الجهاد) بـ(ال) التعريف، واللام هنا لام الجنس أو الحقيقة؛ لأنّه (عليه السلام) يبيّن حقيقة الجهاد للعامّة ألا تراه (عليه السلام) يوضحه بقوله: «**فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللهِ الْحَصِينَةِ، وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ**»[2]، وأمّا التعريف بالإضافة في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) (جهاد العدو) وهو كما يبدو أفاد التخصيص البياني باعتبار أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) حينما خصّص جهاد الأعداء بدأ (صلى الله عليه وآله) يبيّن ماهيّته وكيفيّته فقال (صلى الله عليه وآله):

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ٦٤.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ٦٤.

«**شديدٌ كَرْبَه قليلٌ مَن يَصبِر عليه إلّا من عزم اللهّ رُشْدَه**»[١]، ولا استبعد من حساباتي أنّه أفاد التعظيم كما حصر البلاغيّون أغراض التعريف البلاغيّة بالإيجاز، أو الاحتراز من التفصيل، أو التحقير[٢]، ولكن دليلي أنّ فائدة خبر النبي (ﷺ) بيانيّة هو أنّ الإمام (عليه السلام) تابع النبي (ﷺ) بالأسلوب والمضمون نفسهما؛ لأنّ عندما قال (عليه السلام) مبيّناً ماهيّة الجهاد بـ(إنّ الله فتحه لخاصة أوليائه) ما هو إلا إشارة إلى قول النبي (ﷺ): (إلا من عزم الله رشده)؛ لأنّ الذي يعزم الله رشده لا شكّ في أنّه من خاصّة أوليائه فهنا تبدو لنا مسحة تأثّر الإمام (عليه السلام) بالنبي (ﷺ) في خطبته.

فالأديب ولا سيّما الخطيب يعمدُ أحياناً إلى توكيد الخبر بـ(إنّ)، وأحياناً أخرى بـ(إنّما) وثالثة بـ(قد) وغيرها من المؤكّدات.

ففي خطبة النبي (ﷺ) في افتراض الحجّ قال (ﷺ): «**فإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**»[٣]، فيظهر أنّ النبي (ﷺ) قد ساق هذه الجملة بأسلوب الخبر مؤكداً إياها بأسلوب القصر بـ(إنّما) فدلّ على الخبر الطّلبي، وتجد الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة ينهج السبيل نفسه عندما تأتي إلى كلامه، ففي إحدى خطبه (عليه السلام) يقول: «**وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيِّبِ آجَالِهِمْ**»[٤]، إذ بيّن الإمام (عليه السلام) هنا سبب شقاء الأُمم السابقة متّبعاً الرسول (ﷺ) في أسلوبه وهو توكيد الخبر بـ (إنّما).

(١) كتاب المغازي: ١/ ٢٢١،٢٢٢ .
(٢) ظ: مفتاح العلوم ١٠٦، ١٠٧.
(٣) صحيح مسلم: ٥٢٩.
(٤) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٣٢.

أضف إلى ذلك لو عددتَ كلمات المقطعين الشريفين تكاد تكون متساوية بَيْدَ أنّ كُلاً منهما النبي والإمام (صلوات الله عليهما) حصر سبب هلاك الأمم الماضية بشكلٍ معيّن وبسببين معيّنين، ومسحة أخرى هنا احتذاء الإمام (عليه السلام) أسلوب النبي (صلى الله عليه وآله) بأسلوب القصر بـ(إنّما) وبهذا (نزل القيد الأخير من الكلام الواقع بعد إنما منزلة المستثنى)[1] كما يقول السكّاكي (ت ٦٢٦ هـ) وقد تناول البلاغيّون هذا الأسلوب بفصل خاصّ على أنّه بالأصل من أحوال الخبر وهو وجه من وجوه البلاغة.

ومثله ما ورد في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في أهل الجنّة وأهل النّار: «**إنَّما بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وأَبْتَلِيَ بِكَ**»[2]، فنلحظ أنّ الجملة في هذا المقطع من الخطبة الشريفة قد بُنيتْ على أسلوب الخبر الطلبي المؤكّد بأسلوب القصر بـ(إنّما)، وترى الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة قد احتذى هذا الأسلوب نفسه في كتابٍ له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً إذ قال (عليه السلام) فيه: «**إنَّما بَعَثَنِي لِلنِّقْمَةِ منك**»[3]، فترى الإمام (عليه السلام) مثل النبي (صلى الله عليه وآله) يؤكّد خبره بأداة التوكيد (إنّما)، والشيء الآخر الذي يوحي على تأثّر الإمام (عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله) هو خروج كِلا الخبرين على مقتضى الظاهر وهو إنزال السامعين منزلة المنكِرين فأفاد الوعيد والله العالم، وإنْ كان الفنّان مختلفين؛ لأنّ الذي قاله الرّسول (صلى الله عليه وآله) خطبة، وما قاله الإمام (عليه السلام) كتاب، وهذا الأثر أعدُّه من باب أثر الجنس الواحد الذي هو الخطابة النبويّة في الأجناس المتنوّعة التي تكمن في نهج البلاغة.

(١) مفتاح العلوم: ٢٩٩.
(٢) صحيح مسلم: ١١٤٩.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ٣/ ٤٨٧.

وأحياناً تجد أنَّ الإمام (عليه السلام) أكّد خبره بـ(إنّما) وقد أخذ الخبر من النبي (صلى الله عليه وآله) إلّا أنّ أصل الخبر في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) كان مؤكّداً بأداة مغايرة، ففي خطبةٍ له (عليه السلام) يقول:

فيها «**فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!**»[١]، فيبدو أنّه (عليه السلام) قد نظر إلى خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) التي قال فيها: «**وإنه قد نَفَث في روعي الروحُ الأمينُ**»[٢]، يظهر لي من هذه الدّراسة شيئان:

الأوّل: أنّه (عليه السلام) تأثّر بخطبةِ الرّسول (صلى الله عليه وآله) من ناحية توكيده الخبر، فقد اكتفى بتوكيدٍ واحدٍ فحسب مثل النبي (صلى الله عليه وآله).

الثاني: توظيفه (عليه السلام) لفظة (نفث) في خطبته في موضعٍ غير ما كان عليه في خطبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع الحفاظ على المبنى والمعنى، بينما كان (النفث) في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) صادراً عن جبرائيل (عليه السلام) وفي خطبة الإمام (عليه السلام) كان صادراً من الشيطان، وموقفهما (صلوات الله عليهما) مختلفان.

وأحسب أنّ اصطحاب لفظة (نفث) بلفظ (روعي) في خطبةِ النبي (صلى الله عليه وآله) قد وضّح المعنى وأمِن اللّبس؛ لأن يُقال: (ونفث في روعي كذا: أُلهمتُه)[٣]، والواضح أنّ ما يصدر من الرّوح الأمين هو الإلهام، وما يصدر من الشّيطان هو الوسواس ﴿**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾[٤].

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٣٣٢.
(٢) كتاب المغازي: ١/ ٢٢٢.
(٣) أسرار البلاغة: ٢/ ٢٨٩.
(٤) سورة الناس: آية ٥، ٦ .

أحياناً تجد النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبه يستعمل أكثر من مؤكّدٍ لتقوية الخبر ففي أوّل خطبةٍ له (صلى الله عليه وآله) بمكّة حين دعا قومه قال (صلى الله عليه وآله): «**والله الذي لا إلَهَ إلا هو إني لرسول الله إلَيْكُمْ حَقّا، وإلى النَّاس كافّةً، والله لتموتُنّ كما تَنَامُون، ولتُبعثُنّ كما تَسْتَيْقِظُونَ، ولتُحَاسَبُنّ بِمَا تعملون ولتُجْزَونَّ بالإحْسانِ إحْسَاناً وبالسوءِ سُوءاً، وإنّها للجنةُ أبَداً أو النَّار أبداً**»[1]، فتجد أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته قد استعمل أكثر من مؤكّد لتقوية الخبر، فإنّه (صلى الله عليه وآله) استعمل القسم و(إنّ) و (لام) التوكيد واسميّة الجملة فضلاً عن نون التوكيد الثقيلة، وهذا دليل على إنكار المخاطبين أو إنزالهم بمنزلةِ المنكِرين، ولعلّ مقام الإنكار أكثر تطلّباً هنا؛ لأنّ هذه الخطبة أوّل خطبة يلقيها (صلى الله عليه وآله) بمكّة ويدعو قومه فلا غُرو أنْ ثمّة شاكّين في المخاطبين، بل منكري الدّعوى، ويسمّى هذا النّوع من الخبر عند البلاغيّين بالإنكاري، إذْ يلجأُ إليه المتكلّم عندما ينكر المخاطَب الخبر الملقى إليه ويعتقد خلافه وغيره، فكلّما زاد المخاطب إنكاراً زاد المتكلم تأكيداً حسب قوّة وضعف حال المخاطب، أمّا إذا ما بحثنا في نهج البلاغة أثر هذه الخطبة فإنا سنعثر على أنّ الإمام (عليه السلام) اتّبع موقف الرّسول (صلى الله عليه وآله) نفسه حينما قال من كلامٍ له في دعوة الصّالحين من أصحابه إلى نُصرته: «**فَوَ الله إنِّي لأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ**»[2]، إذ ترى الإمام (عليه السلام) صِنْوَ النبي (صلى الله عليه وآله) قد استعمل - في تأكيد الخبر- (القسم) بلفظ الجلالة، و(إنّ)، و(لام التوكيد)، واسميّة الجملة، فدلّ على تأثّره بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) بيد أنّ الخبر خرج على مقتضى الظاهر، وهو إنزال سامعيه بمنزلة المنكِرين عليه الخبر، ولو قرأتَ مقدّمة

(١) نثر الدر: ١/ ١٧٨، ١٧٩.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٩٩.

كلام الإمام (عليه السلام)، لا تحسّ بأنْ ثمّة منكِرين للخبر؛ لأنّه (عليه السلام) يمدحهم في مقدّمة كلامه بقوله: «**أَنْتُمْ الأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، والْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ، وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرُ، وَأَرْجُو طَاعَةِ الْمُقْبِلِ**»[1]، فلا يمكن أنْ يتبادر إلى الذّهن أنّه (عليه السلام) في بادئ كلامه أثنى على أصحابه وفي النّهاية ذمّهم فلا يجتمع النقيضان، وإنّما السديد من الكلام هو أنْ نقول أنّه (عليه السلام) أنزلهم بمنزلة المنكرين، ولعله (عليه السلام) لم يكنْ قاصداً المخاطبين بتأكيده الخبر هذا بكل هذه المؤكّدات، بل قصد المنكرين ووجّه لهم رسالةً بهذا الخبر المؤكد بأكثر من أداة للتوكيد بأنّه أولى النّاس بالنّاس، وبذلك يريد أنْ يذكّر النّاس خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقّه عندما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) في غدير خم: («**ألستُ أَولى بالمسلمينَ من أَنفُسِهم، وأزواجي أُمَّهاتُهُم؟**» **فقلنا: بلى يا رسول الله. قال: «فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ من والاه وعادِ من عاداه»**)[2]، وهذا الأسلوب قد ورد كثيراً في خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونهج البلاغة بأثر وتأثّر.

ثانياً ـ أساليب الإنشاء.

لم أقفْ عند الإنشاء غير الطّلبي لأسبابٍ عديدة أوّلها: لِقلّة ورودها في الخطابة النبويّة فتكاد تكون معدومة بحيث لم تشكّلْ ظاهرة بارزة في الخطب الشريفة، ثانياً: حتى في حالة ورود هذه الأساليب لم أجدْ لها أثراً في نهج البلاغة.

فسنتناول – إنْ شاء الله – أساليب الإنشاء الطّلبي فحسبْ في الخطب النبويّة الشّريفة وانعكاس أثرها في نهج البلاغة لسببين اللذين ذكرتهما،

(١) م. ن:١ / ١٩٩.
(٢) مسند أحمد: ٢/ ٢٦٩.

فضلاً عن الإنشاء غير الطّلبي لم يحظَ اهتمام علماء البلاغة به؛ (لأنّ كثيراً من الإنشاءات الغير الطلبية في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء)[١]، كما أنّ الإنشاء غير الطّلبي لا يمتاز بلطائف بلاغيّة قياساً لما عليه الإنشاء الطّلبي.

ـ الإنشاء:

لم يردْ عند البلاغيّين القدماء تعريف الإنشاء بهذا المصطلح تحديداً، بل كان عادة وصفيّاً، فمن هؤلاء نذكر ابن قتيبة(ت ٢٧٦هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) إلى السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ومن ثمّ أخذ هذا المصطلح يتقولب بهذا الشّكل الذي نراه الآن، وأعني بورود الإنشاء وصفيّاً كأنْ يذكر ابن قتيبة: (والكلام أربعة: أمر، وخبر، واستخبار، ورغبة؛ ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي: الأمر، والاستخبار، والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر)[٢]، فالمعلوم أنّ الأمر، والاستخبار، والرّغبة يقصد منها الإنشاء وإنْ لم يصرّحْ به ابن قتيبة، وكذا الإمام عبد القاهر والسكاكي لم أجدْهما تناولا هذا الموضوع تحت هذا المصطلح، وقد أطلق الشيخ السبكي (ت ٧٧٣ هـ) على الكلام إنشاءً(إن كان طلباً استدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب)[٣]، وذكر أنواعه منها التمنّي، والاستفهام، والنهي، والعرض، والنّداء وساق لكلّ نوعٍ معانيه وأدواته[٤].

(١) المطول: ٤٠٦.
(٢) أدب الكاتب: ٤.
(٣) عروس الأفراح: ١/ ٦٩.
(٤) ظ. م. ن: ١/ ٦٩ - ٧٤.

وقد زاد التفتازاني (ت٧٩٢هـ) تعريف الإنشاء وضوحاً عندما قال: (قد يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه)[١]، وقسّم التفتازاني الإنشاء على طلبي وغير طلبي، وبعد أنْ ألزمنا أنفسنا بدراسة أساليب الإنشاء الطلبي فحسب سنبدأ - بإعانة الله تعالى - بأسلوب الأمر أوّلاً.

آ ـ أُسلوب الأمر:

الأمر في الأصل هو صيغة يصدر من أعلى رتبة على وجه الاستعلاء؛ ولذا يعدّ (الأمر عند العرب ما إذا لم يفعله المأمور به سمي عاصياً)[٢]. أمّا أصل وضعه على سبيل الاستعلاء أم لا ؟ فالأرجح كما يراه السكّاكي (ت ٦٢٦ هـ) موضوع لذلك[٣].

فالحاصل هو(طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء واحترز بغير الكف عن النهي)[٤]، ومن خلال تتبُّعي كُتب البلاغة رأيتُ معنى الأمر ينقسم على قسمين الأوّل: المعنى الحقيقي الأصلي، والثاني: المعنى المجازي وهو الخروج عن معناه الأصلي وعندئذٍ يفيد معانٍ أخرى (تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال)[٥]، وسنقف مليّاً عند القسم الثاني لِما فيه من لطائف ومحاسن بلاغيّة.

(١) المطول: ٤٠٦.
(٢) الصاحبي: ١٨٤.
(٣) ظ. مفتاح العلوم: ٣١٨.
(٤) المطول: ٤٢٤.
(٥) جواهر البلاغة: ٦٥.

وقد ألفيتُ في خُطب النبي (صلى الله عليه وآله) ونهج البلاغة خروج الأمر عن معناه الأصلي كثيراً، وهذا لا يعني خلوّ الخطب النبويّة الشّريفة ونهج البلاغة من الأمر الحقيقي.

ـ المعنى الحقيقي للأمر:

صُدرت كلمات - في خُطب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) - على صيغة الأمر الحقيقي يمكن أنْ نستشهد بها لما قلناه، ففي خطبةٍ له (صلى الله عليه وآله) في أمر هوازن قال (صلى الله عليه وآله): «**فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُم أَمْرَكُمْ**»[1]، فنلحظ أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) يأمر أمراً اعتيادياً في قوله (ارجعوا) لم يتعدّ معناه إلى المعنى المجازي.

وترى مثله في نهج البلاغة أنّ الإمام (عليه السلام) أتى بأوامر لم يخرجْ عن معانيها الأصليّة فمن هذه من كتاب له (عليه السلام) إلى طلحة والزبير يقول (عليه السلام): «**فَأَرْجِعَا أَيَّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا !**»[2].

ـ المعنى المجازي للأمر:

وقد استعمل النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبه صيغ الأمر وجُلها تجاوزت معانيها الحقيقيّة إلى المجازية. وقد توسّع أهل النظر بمعاني الأمر المجازيّة وبسطوا الكلام في مظانّهم وأوردوها وعدّدوها كلٌّ حسب رؤاه ومفهومه، وقد عقد ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه (الصاحبي) باباً خاصاً وسمّاه بـ(الاستخبار) فمن هذه المعاني نذكر: الدعاء، والالتماس، والإرشاد، والتهديد، والتعجيز، والإباحة، والتسوية، والإكرام، والامتنان، و الإهانة، والدّوام، والتّمنّي،

(١) صحيح البخاري: ٤٨١.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٣/ ٤٧٨.

والاعتذار، والإذن، والتكوين، والتخيير، والتأديب، والتعجّب، والتلهّف، أو التحسّر، والندب، والتّسليم، والوجوب، والخبر[١]. وسننتقي - بعون الله تعالى - من هذه ما سنجده في خطب النبي (ﷺ) الأكثر تأثيراً في نهج البلاغة من خلال دراسة النّصوص الشريفة فنيّاً، والوقوف عند هذا الأثر النبوي في الخطاب العلوي.

في خطبةِ النبي (ﷺ) ورد «**اللَّهمَّ اغفرْ لي ولأُمّتي**»[٢]، فالماثل للعيان أنّ فعل الأمر(اغفر) قد خرج عن معناه الأصلي وقصد به الدّعاء الذي جاء على سبيل التضرّع ويسمّيه ابن فارس (ت٣٩٥هـ) بـ(المسألة) عندما يصل إلى هذا المعنى يقول: (فأما المعاني التي يحتملها لفظ الأمر فأن يكون أمراً والمعنى مسألة نحو قولك «اللهم اغفر لي»)[٣]، فالنبي (ﷺ) في خطبته أتى بأمر قاصداً به الدعاء.

أمّا الإمام (عليه السلام) فإنك تراه محتذياً حذو الرّسول (ﷺ) آخذاً منه هذا الأسلوب واللّفظ فضلاً عن مضمونه، فيقول (عليه السلام)في نهج البلاغة: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ...اللَّهُمّ اغْفِر لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاظِ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتْ اللِّسَانِ**»[٤]، فيظهر هنا أنّ

(١) ظ. الصاحبي: ١٨٤،١٨٦، ظ. جواهر البلاغة: ٦٥،٦٦، ظ. علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ٨٢،٨٣.
(٢) كتاب المغازي: ٣/ ١٠١٧.
(٣) الصاحبي: ١٨٤.
(٤) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١١٦

الإمام (عليه السلام) في دعائه يتّبع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الشّكل والمضمون، وتكرار فعل الأمر (اغفر) في الدّعاء خرجت معانيه عن الحقيقة وحتى الفعل (عُدْ)، ولا شكّ في أنّه (عليه السلام) عدل عن كلمة (أمّتي) باعتبار أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) في مقام النبوة فيدعو لنفسه ولأمّته.

يرى الباحث أنّ الإمام (عليه السلام) لم يتأثّرْ بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) هذه من جهة الشّكل والمضمون فحسبْ، وإنّما هناك تأثّر آخر وهو دقيق المسلك لِمنْ استكشف عنه وهو كالأتي: لا يخفى على أحد أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما كان يدعو لأمّته بالمغفرة يدلّ على رأفته، ورحمته وهو(صلى الله عليه وآله) ﴿**حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[1]، وأمّا دعاؤه لنفسه الكريمة بالمغفرة فمماّ يجلب الانتباه، فالكلّ يعلم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) معصوم من الخطأ والذّنب، ودعاؤه بالمغفرة لنفسه لا ريب في أنّه من قبيل التعليم؛ لأنّه المعلّم الأوّل والله جلّ وعلا يقول عنه (صلى الله عليه وآله): ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[2]، فالنّكتة، هنا، أنّ الإمام (عليه السلام) تأثر بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) فنيّاً فضلاً عن أنّه (عليه السلام) تأثّر بسلوكه (صلى الله عليه وآله) في خطبه الشريفة فـ (الإمام هنا يعلمنا عملياً كيف يكون الوقوف بين يدي الله)[3]، كما علّمنا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في خطبته المباركة، ولا يُتوقع حاشاه أنّه (عليه السلام) أذنب كلّ هذه الذّنوب فيرجو المغفرة فمتى رأينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وَعَدَ

(١) سورة التوبة: آية ١٢٨.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٦٤.
(٣) شرح نهج البلاغة، السيد عباس علي الموسوي: ١/ ٤٤٥.

وعداً مع الله سبحانه وتعالى ثم خالفه!؟، ومتى تقرّب علي (عليه السلام) إلى ربّه بلسانه ثم خالفه بقلبه؟!، ومتى أذنب برمزات العين وفواحش الألفاظ وشهوات القلب وزلة اللسان؟!، بل حاشاه من ذلك. ويستوقفني هنا أمر لا بُدّ من الإشارة إليه، والوقوف عنده وهو أنّه (عليه السلام) اتّكأ بدعائه على خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) لقضيّتين:

الأولى: أنّه (عليه السلام) يريد أنْ يبيّن للنّاس شدّة تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله) وإلاّ بإمكان أمير البلغاء أنْ يطلب المغفرة بعبارات وصيغ شتّى.

الثانية: أنّه (عليه السلام) أراد أنّ يقول: إنّني لم أعصِ الله بقدر الإشارة بالعين كما ورد في دعائه، فضلاً عن الذي يتأثّر بالنبي (صلى الله عليه وآله) في خطبه جدير بأنْ يتأثر بسلوكه (صلى الله عليه وآله) .

وممّا ورد مثله قوله (عليه السلام) بطلب المغفرة له وللمسلمين كما رأينا في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، ولكن في هذه المرّة يطلب الدّعاء بأسلوب الخبر فيقول (عليه السلام): من كلام له قبل استشهاده «**غَفَرَ اللهُ لِي وَلَكُمْ**»[1]، فكما يبدو أنّ هذا المقطع الشّريف من كلام الإمام (عليه السلام) بُني على أسلوب الخبر لكن المراد منه هو الإنشاء الطلبي الذي خرج على معنى الدّعاء في كلمة (غفر) فصحيح أنّ لفظة(غفر) خبر لكن يحمل معنى الأمر وأفاد التفاؤل فضلاً عن الدّعاء، وهذه الصيغة (أبلغ عن » رب اغفر لي » فان صيغة غفر أصلها للمضيّ، والماضي لا يتعلّق به الطلب، فالتعبير عنه بذلك يحصل به تفاؤل ومسرة)[2]،

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٣٣.
(٢) عروس الأفراح: ٢/ ٥٦٥.

ويبدو أنّه (عليه السلام) قد أخذهما من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) التي قال فيها: (**يَغفِرُ الله لي وللمسلمين**)[1]، فالأسلوبان متّفقان كما هو الماثل للعيان وهو أسلوب الخبر وقد خرجا إلى الإنشاء الطلبي بأسلوب الأمر مقصوداً منه الدّعاء بمعنى (اللهم اغفر)، وعليه يمكن لي أنْ أحصر تأثّر الإمام (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) من خلال ثلاث نقاط:

الأولى: أنّه (عليه السلام) دعا الله عزّ وجل ورجا المغفرة له وللمسلمين كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته عندما دعا (صلى الله عليه وآله) له ولامّته.

الثانية: أنّه (عليه السلام) أخذ الفعل (يغفر) عن النبي (صلى الله عليه وآله) وحوّله إلى المضيّ محافظاً على معناه وهنا يظهر لي شيئان:

أ. إبداع الإمام (عليه السلام) في تعامله مع النصّ وثرائه اللّغوي التي لم يقفْ فحسبْ يردّد كلمات سيّدنا المصطفى (صلى الله عليه وآله) نفسها.

ب ـ شدّة ثقته وإيمانه بالله تعالى بحيث أتى بالدعاء بأسلوب الخبر وعلى صيغة الماضي وكأنّ الله قد غفر وانتهى، وهذا أيضاً متأتٍّ من النبي (صلى الله عليه وآله)؛ لأنّه هو الذي يقول (عليه السلام): «**أنا دمي دمُ رَسُولِ الله ولحمي لحمه وعَظمي عظمُه وسِلمي سِلمُه وأصلي أصلَه وفرعي فرعُه وبحري بحره وجدّي جدُّه**»[2]، وممّا يؤكّد على شدّة ثقته وإيمانه بالله قوله (عليه السلام): «**لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً**»[3].

(١) كتاب المغازي: ١/ ٥٩.
(٢) عيون الحكم والمواعظ: ١٦٧.
(٣) بحار الأنوار: ٤٠ / ١٥٣.

الثالثة: ذكره (عليه السلام) الفاعل الذي هو لفظ الجلالة (الله) للفائدة وهي للتعظيم، ويعدّ هذا الاستعمال أثراً أيضاً.

فضلاً عن أنّه ليس المقصود من طلب المغفرة دائماً بعدما أن يكون الإنسان قد أذنب ذنباً فيتوجه إلى الله عزّ وجلّ بطلب المغفرة، وإنّما لكلمة (المغفرة) معانٍ أخر منها الصّلاة كما ورد في كتاب الوجوه والنظائر إذ جاء تفسير كلمة الاستغفار على ثلاث وجوه فمنها ما تعني الصلاة[١]، وما يؤيّد المعنى قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ** ﴾[٢]، ﴿**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[٣].

وما جرى مثله ما ورد في خطبة الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخيف من مِنى «**نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم أدّاها إلى من لم يسمعها**»[٤]، فالماثل للعيان أنّ صدْر الخطبة جاء بأسلوب الخبر بينما القصد منه هو الدعاء، والمقصود بالنضرة هنا (النعمة والعيش والغنى)[٥] أي بمعنى (اللهم أنعم بالعيش والغنى أيّما عبد سمع مقالتي فوعاها).

تجد الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة ينهج أسلوب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه فيقول (عليه السلام): «**رَحِمَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا**»[٦]، فترى الإمام (عليه السلام) سلك سبيل الرّسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبته إذ أتى بأسلوب

(١) ظ. الوجوه والنظائر في القران الكريم: ١١٩، ظ. نزهة الأعين النواظر: ١٦، ظ. قاموس القرآن: ٣٤١.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٧.
(٣) سورة الذاريات: آية ١٨.
(٤) إعجاز القرآن: ٩٣.
(٥) لسان العرب: مادة (نضر).
(٦) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١١٥.

الخبر قاصداً منه الإنشاء الطلبي وهو الدعاء بيد أنه (عليه السلام) دعا بالرّحمة لمن سمع الحكم فوعى، وتراءى لي هنا جملة أشياء إذ يمكنني بها أنْ أبيّن مدى تأثر الإمام (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) :

الأوّل: إتيانه (عليه السلام) بالفعل الماضي قاصداً به الدّعاء كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله) أي بثوب الخبر.

الثاني: اقتباسه بعض كلمات النبي (صلى الله عليه وآله) مثل (سمع)، و(وعى)، بل حتّى اقتباسه النظم النحوي أي التراكيب.

الثالث: إيجاده (عليه السلام) علاقة جديدة بين اللفظتين (الرّحمة) و(النّضرة)، إذ لم يكنْ إتيانه بـ (رحم) مقطوع العلاقة من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، بل إنّه ثمّة علاقة وهي أنّ الذي ينعم الله عليه بالعيش والغنى كما كان قصد النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته من (نضر) فلا شكّ في أنّه قد رحمه.

الرابع: اتّفاق في إيحاءات الكلمتين (نضّر) و(رحم)، وقد تبيّن هذا.

الخامس: تأثّره (عليه السلام) من جهة التنكير والتعريف، إذ أنّه (عليه السلام) نكّر المفعول به (امرأً) كما نكّر الرسول (صلى الله عليه وآله) (عبداً) وفيه أيضاً غاية فنيّة وبلاغيّة يؤتى به عندما (يقصد فرداً غير معين مما يصدق عليه اسم الجنس)[1].

أحياناً ترى الإمام (عليه السلام) يقتبس فعل أمرٍ نفسه من خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله)، بل إنّه يقتبس الجملة التي تتضمّن فعل الأمر بالكامل، وهذا يوحي إلى عمق تأثّره (عليه السلام) بخطب النبي (صلى الله عليه وآله) وذوبانه (عليه السلام) فيها، ففي خطبةٍ له

(١) علوم البلاغة: ١٢٦.

(عليه السلام) يقول: «**فَاحَذَرُوا مِنَ الله مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيْرٍ**»[1]، فيبدو أنّه (عليه السلام) قد اقتطع جملة الأمر من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) إذ قال فيها: «**وأوصيكُم بتقوى الله، فإنه خيرُ ما أوصَى به المسلمُ المسلمَ؛ أن يَخُضّه على الآخرة، وأن يأمرَه بتقوى الله، فاحذروا ما حذّركم الله من نفسه**»[2].

فالحاصل أنّه يستدلّ على تأثّر الإمام (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) من خلال نقطتين إحداهما: أنّه (عليه السلام) اقتبس كلمات الرسول (صلى الله عليه وآله) بالكامل، وثانيهما: أنّه (عليه السلام) رأيناه في موضعٍ آخر من نهج البلاغة نقل هذه الجملة وأعني بها جُملة الأمر التي قالها النبي (صلى الله عليه وآله)، ووظّفها في خطبته بتغيير طفيف، فيقول (عليه السلام) في خطبة الغرّاء: «**وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ**»[3]، ويزاد على جملة الآثار تشابه المناسبتين، إذ أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) ألقى خطبته في أوّل جمعة بالمدينة، وإذا ما تابعتَ مضمون الخطبة الشّريفة، وفقراتها تجد أنّ معاني الموعظة والتحذير فيها جليّة إذ أنّه (صلى الله عليه وآله) بعدما حمد الله وأثنى عليه وشهد الشهادتين في بادئ الخطبة بيّن للأمّة الغاية من بعثته محذّراً وواعظاً بقوله: «**أرسله بالهُدى والنور والموعظة، على فَتْرَةٍ من الرسل، وقلَّةٍ من العلم، وضلالةٍ من النَّاس، وانقطاع من الزمان، ودُنُوٍ من الساعة، وقُرْبٍ من الأجَل**»[4]، فتبدو معاني الترهيب والموعظة ساطعةً، ثم تأتي إلى نهج البلاغة إلى خطبة الغرّاء خصوصاً فيكفي في بيان مقاصدها أنْ نستشهدَ بكلام الشّريف الرّضي - رحمه الله - إذ قال في

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ٥٨.
(٢) تاريخ الطبري: ٢/ ٣٩٥.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٢٤.
(٤) تاريخ الطبري: ٢/ ٣٩٤، ٣٩٥.

ذيلِ الخطبة: (أنه عليه السلام لّما خطب بهذه الخطبة، اقشعرّت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب)[١]، وهل تقشعرّ الجلود، وتبكي العيون، وترجف القلوب إلّا بالموعظة البالغة والحكمة الناجمة ؟!.

وقد ترى أحياناً أنّ الإمام (عليه السلام) يعمد إلى نقل فعل أمر من خطبة ويغيّر من صيغته من دون أنْ يؤثّر في معناه، ففي خطبةٍ له (عليه السلام) يقول: «**وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**»[٢]، فتراه (عليه السلام) يأمر سامعيه قاصداً به الإرشاد والموعظة والتحذير، وهو يحتذي أسلوب الرّسول (صلى الله عليه وآله) نفسه في خطبته التي قال فيها: «**فَلْيَأْخُذِ العبدُ من نَفْسه لنفسه، وَمِنْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ، وَمِن الشَّبِيبَةِ قَبْل الكِبَر، وَمِنَ الحَيَاةِ قَبْل المَوْتِ**»[٣]، ترى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) يأمر سامعيه مرشداً ومحذّراً بفعل مضارع مجزوم بلام الأمر الجازمة.

إنّ أوّل ما يُستدلّ به على تأثّر الإمام (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) هو أخْذُه الفعل نفسه قاصداً به معنى فعل الأمر الذي أراده الرّسول الكريم (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن مضمون خطبته إلّا أنّه (عليه السلام) أتى بصيغةٍ أخرى أي بصيغة » ليفعل « والدّليل على أنّه كان قصد الإمام (عليه السلام) من هذا الفعل الإرشاد والتحذير هو أنّك لو تتبّعتَ خطبة الإمام (عليه السلام) لزاد لك الأمر وضوحاً، إذ أنّه (عليه السلام) يقول قبل هذا المقطع: «**فَاللهَ اللهَ مَعْشَرَ العِبَادِ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضَّيقِ**»[٤].

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٣١.
(٢) م. ن: ٢/ ٢٩٥.
(٣) نثر الدر: ١/ ١١٠.
(٤) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٩٥.

وهذا المقطع من خطبة الإمام (عليه السلام) ما هو إلّا إشارة إلى خطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، والذي يريد أنْ يقوله (عليه السلام): (اتقوا سبحانه في زمان صحتكم قبل أن ينزل بكم السقم، وفي فسحة أعماركم قبل أن تبدَّل بالضِّيق)[1]، فالصّحّة عادة لا تكون إلّا في الشبيبة، وفسحة الأعمار إلّا في الحياة وهذا إشارة إلى خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) ودليل التأثّر بها، ويُستزاد على ذلك أنّ الإمام (عليه السلام) تأثّر بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) هذه في موضع آخر عندما قال: «**إِعْمَلُوا، رَحِمَكُمُ اللهُ، عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ**»[2]، فجملة (الأبدان صحيحة) ما هي إشارة إلى قول النبي (صلى الله عليه وآله) (فليأخذ العبد...من الشبيبة قبل الكبر) وهل تصحّ الأبدان إلّا في الشبيبة؟ ويقول (عليه السلام) في موضع آخر: «**فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ، وَيَسُدَّ بَابُ التَّوْبَةِ، وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ**»[3]، فهكذا ترى في خطبة الإمام (عليه السلام) يشعّ فيها النَفَسُ النبوي، ففي البداية أمَرَ واعظاً مثلما النبي (صلى الله عليه وآله)، وسار على مضمون خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) وأخذ منها وصاغها وخاصّةً في قوله: (وأخذ امرؤ من نفسه لنفسه ...) إذ جاء به على أسلوب الخبر بينما كان في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) على أسلوب الأمر.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠/ ١٢٥.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٦٢.

(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٣٨٥.

ويتّضح ممّا سبق أنّ جُلّ كلام الإمام (عليه السلام) يرجع مصدره إلى سراجٍ واحدٍ بعد القرآن الكريم وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو الذي يأمر النّاس بإتباع النبي (صلى الله عليه وآله) في قوله: «**فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَالْمُقْتَصُّ لأَثَرِهِ**»[1].

ومن مظاهر التأثّر أيضاً أنّك تجد الإمام (عليه السلام) يأمر سامعيه مرشداً وواعظاً مستثمراً أخبار الرسول (صلى الله عليه وآله) وجاعلاً منها إنشاءً، ففي خطبة له (عليه السلام) يقول: «**أفيضُوا فِي ذِكْرِ اللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنِ الذِّكْرِ، وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ، فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ، وَتَعَلَّمُوا الْقُرآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فيه فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ**»[2]، فالإمام (عليه السلام) هنا يعظ ويرشد سامعيه من خلال هذه الأوامر (أفيضوا، ارغبوا، اقتدوا، استنّوا، تعلّموا، تفقّهوا، استشفوا، أحسنوا). إنّ آيةَ تأثّر الإمام (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) ستبدو مضيئةً إذا ما جئنا إلى خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) إذ يقول فيها: (**فَإِنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأوثقَ العُرَى كلمةُ التَّقْوى، وخيرَ المِلَل مِلَّةُ إبراهيم عليه السلام، وخيرَ السَّنَن سُنَنُ محمد، وأشْرفَ الحديثِ ذِكْرُ الله، وأَحسنَ القَصَصِ هذا القرآن، وخيرَ الأُمور عَواقبُها، وشرَّ الأمور مَحدَثاتها، وأَحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ الأَنبياء**)[3].

(١) م. ن: ٢/ ٢٥٢، ٢٥٣.
(٢) م. ن: ١/ ١٨٧.
(٣) كتاب المغازي: ٣/ ١٠١٦.

فالماثل للعيان أنّ الإمام (عليه السلام) قد أخذ أخبار الرّسول الكريم محاكياً مضامينها مقتبساً أفكارها، ثم جعل منها إنشاءً طلبيّاً بأسلوب الأمر الذي خرجت معانيها عن المعاني الحقيقيّة بحكم سياق الجملة وقرائنها إذ السياق يلعب دوراً مهمّاً(في معرفة المعنى الدقيق لأي لفظ من الألفاظ فهو الذي يحدد دلالة اللفظ في كل موضع يأتي فيه)[1]، فقول الإمام (عليه السلام) (أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر،... وتعلّموا القرآن فإنه أحسن الحديث) فقد أخذه من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (فإن أصدق الحديث كتاب الله)، وقوله (عليه السلام): (واقتدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن) أخذه من قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (وخير السنن سنة محمد وأحسن الهدي هدي الأنبياء)، وقوله (عليه السلام): (وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص) مأخوذ من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (وأحسن القصص هذا القرآن).

فإذنْ تبدو واضحة أنّ الجمل التي ساقها الإمام (عليه السلام) في خطبته مستوحاة من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد أنّه (عليه السلام) غالباً ما يعمد إلى التفصيل بينما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيراً ما كان يجمل في كلامه، ولعلّ السبب في هذا يرجع إلى اختلاف المواقف، ومستوى فهم المخاطبين من جهة الإذعان والإنكار بدليل أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، في خطبته الشّريفة أنّه ساق الجمل على أسلوب الخبر فكأنّ القضيّة واضحة عند السامعين. أمّا الإمام (عليه السلام) فلجأ إلى أسلوب الأمر وكأنّ هناك انزواءً من السامعين.

(١) الألفاظ والدلالة: ١٥٧.

ونظيرٌ لما تقدّم قوله (عليه السلام): «**وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللهِ شَيءٌ إِلّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ شَيءٌ إِلّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ**»[١]، فقد أخذ (عليه السلام) مضمون قوله من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) الذي هو يستشهد بها (عليه السلام) قبل هذا الكلام بقوله: (**فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يقول: «إِنّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ»**)[٢].

ومثله ما ورد في وصيّةٍ له (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): «**وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ إِنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَارْضَ بِهِ رَائِداً**»[٣] فجملة (فارض به رائداً) يقصد بها الرّسول (صلى الله عليه وآله)، فقد أخذه من خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) بمكّة حين دعا بقوله: (**إن الرائد لا يكذِبُ أهله**)[٤]، والدّليل على تأثّره (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) أخْذه اللّفظة نفسها أوّلاً، وتشبيهه الرّسول المصطفى (صلى الله عليه وآله) بالرّائد الذي كما شبّه الرسول (صلى الله عليه وآله) نفسه به ثانياً، وبيان هدفه ومراده من اللّفظة (الرّائد) كما كان يهدف النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته ثالثاً.

سبق استشهار الإمام (عليه السلام) أخبار الرّسول (صلى الله عليه وآله) إذ جعلها إنشاءً، وهنا نرى أنّ الإمام (عليه السلام) أخذ أساليب الإنشاء في خطب النبي (صلى الله عليه وآله) وحوّلها أخباراً.

قال النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبةٍ له واصفاً أهل الجنّة وأهل النّار وعلاماتهم: «**وقاتلْ بمن أطاعك من عصاك**»[٥]، الأمر هنا صادر من الله عزّ وجلّ بلسان

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٧٨.
(٢) م. ن: ٢ / ٢٧٨؛ نص خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) يراجع المعجم الكبير:٩/ ١٠٤.
(٣) م. ن: ٣/ ٤٢٥.
(٤) نثر الدر: ١/ ١٧٨.
(٥) صحيح مسلم: ١١٤٩.

النبي (ﷺ)، والذي يرجع إلى الخطبة يتوضّح له هذا الأمر، وحينما تأتي إلى نهج البلاغة تجد الإمام (عليه السلام) قد استثمر هذه الجملة بالكامل ووظّفها في خطبته لكن بأسلوب الخبر، ففي خطبة له (عليه السلام) قال مبيّناً حال الناس قبل البعثة وما صاروا إليه بعدها: «**فَإِنَّ اَللهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّداً** (ﷺ) **وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ اَلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَ لاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَ لاَ وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ**»[1]، فجملة (قاتل بمن أطاعه من عصاه) جملة إخبار بينما كانت في خطبة النبي (ﷺ) إنشاءً، ويعدّ هذا التصرف في الأساليب من آيات الإبداع عند الإمام (عليه السلام) فضلاً عن تأثّره بخطب النبي الأكرم (ﷺ). زد على ذلك أنّ أخْذه (عليه السلام) أسلوب الإنشاء الطلبي من النبي (ﷺ) وصياغته إلى أسلوب الخبر جاء ليتوسّع عنده نطاق الكلام، وتُفتح له آفاقٌ يستطيع من خلالها إبلاغ ما يريده (عليه السلام)، وهذا ما حصل فعلاً؛ لأنّه (عليه السلام) بعد هذه الجملة أخذ يصف النبي (ﷺ) بأروع تصاوير قائلاً عنه (ﷺ): «**يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ اَلسَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ. يَحْسِرُ اَلْحَسِيرُ، وَيَقِفُ اَلْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلاَّ هَالِكاً لاَ خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ**»[2]. ويقصد (عليه السلام) بهذا الكلام أنّ النبي (ﷺ) قاد الأمّة إلى محلّ منجاتهم قبل حلول القيامة فأنقذ الحسير والكسير، ويقصد بهما الأمّة الضّالّة فيدعوهم ويداريهم حتى يعرفوا الحقّ فيهتدون به[3]، والشيء الآخر الذي يتراءى لي هنا وهو(الاستتار) استتار الفاعل من

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٧٣.
(٢) م. ن: ١/ ١٧٣.
(٣) ظ. بهج الصياغة في شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢١٠، ٢١١.

كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وإنْ كان هذا الاستتار جوازاً هنا، بينما كان الاستتار في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) وجوباً، إلّا أنّه يبدو لي أنّ استتاره (عليه السلام) الفاعل جاء لإظهار تأثّره بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) - والله العالم - .

من إبداعات الإمام (عليه السلام) ترى انه يأخذُ فكرة من الرسول (صلى الله عليه وآله) ثم يصوغ منها أسلوب الأمر بمعنى المجازي من هذه ما قاله (عليه السلام): «**اَللهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا اَلْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ**»[1]، فتجد ملامح أثر خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) فيه واضحة منها كلمة(اللهم) وخروج معاني أفعال الأمر إلى الدّعاء.

أمّا الموضع الثّاني من نهج البلاغة قال الإمام (عليه السلام) لمّا عزم على لقاء أهل صفّين: «**اَللهُمَّ رَبَّ اَلسَّقْفِ اَلْمَرْفُوعِ، وَاَلْجَوِّ اَلْمَكْفُوفِ،... وَرَبَّ اَلْجِبَالِ اَلرَّوَاسِي اَلَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً، وَلِلْخَلْقِ اِعْتِمَاداً إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، فَجَنِّبْنَا اَلْبَغْيَ، وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ، وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا اَلشَّهَادَةَ، وَاِعْصِمْنَا مِنَ اَلْفِتْنَةِ**»[2]، فتراه (عليه السلام) في هذه المواضع متأثرً بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) وذلك في قوله (صلى الله عليه وآله): **اللهم اضربْ وجوهَهم وأَكِلّ سِلَاحَهُم، ولا تبارِكْ لهم في مَقَامِهِمْ، اللهم مزِّقهُمْ في الأرضِ تَمْزِيقَ الرِّياحِ الجَرَادَ**»[3]، فجملة (لا تبارك) جاءت على صيغة النهي قاصداً منه الدّعاء.

أمّا ورود صيغة أسلوب النهي مقصوداً منها الدّعاء في نهج البلاغة قليلٌ جداً كما في الخطب النبوية الشريفة.

(١) نهج البلاغة، محمد عبده : ٢/ ٢٠٩.
(٢) م. ن / ٢/ ٢٧٢.
(٣) نثر الدر: ١/ ١٨٠.

من هذه ما قاله الإمام (عليه السلام) في خطبةٍ له في وصف المتقين: «**اَللهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ**»(١)، وفي موضعٍ ثانٍ قال (عليه السلام) في خطبة الاستسقاء: «**نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ اَلْأَنَامُ، وَ مُنِعَ اَلْغَمَامُ، وَ هَلَكَ اَلسَّوَامُ، أَلاَّ تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلاَ تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا**»(٢).

وفي موضعٍ ثالثٍ دعاؤه في السّقيا أيضاً حين قال: «**اَللهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنَ اَلْقَانِطِينَ، وَ لاَ تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ، وَلاَ تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ اَلسُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ اَلرَّاحِمِينَ**»(٣)، فدلالة النّهي في كلام الإمام علي (عليه السلام) هي الدّعاء، وأرى قلّة مجيء أسلوب النّهي في خطب النبي (صلى الله عليه وآله)، ونهج البلاغة على دلالة الدّعاء لسببين:

الأول: بحكم الفنّ أي أنّ الخطب عادةً ما تكون مخاطبة الجمهور فلا يبقى للخطيب ما يناسب مقتضى الحال أن يتوجّه بالدّعاء بهذا الأسلوب وهذا لا يعني خلوّ الخطب من الدعاء. رُبما يعترض معترضٌ بأنّ نهج البلاغة لم يكنْ خطباً فحسب فأقول: نعم، وإنْ كان هذا السفْر الخالد ضمّ خطباً، وكتباً، ووصايا، وكلمات قصار عبّروا عنها بالحكم إلا أنّ انعدام صيغة النّهي بدلالة الدعاء في الكُتب والحِكم أشدّ من الخطب.

الثاني: بحكم التأثير والتأثّر، فلعلّ قلّة استعماله (صلى الله عليه وآله) لهذا الأسلوب أثّر في شخصيّة الإمام (عليه السلام) فاتّبعه الإمام (عليه السلام) إتباع الفصيل أثر أمّه حتى جاءت هذه الصيغة قليلة بهذه الدلالة.

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٣٣١.
(٢) م. ن: ١/ ١٩٥، ١٩٦.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٢٧.

ب ـ أسلوب النّهي:

النهـي خـلاف الأمـر وضـده[١]، ولـه صيغـة واحـدة وهـي ((لا تفعـل))، ويحذو حذو الأمر، كونه يأتي على سبيل الاستعلاء[٢]، والمقصود بصيغة ((لا تفعـل)) الفعـل المضـارع المقـرون بـ (لا) الناهيـة[٣]، وعليـه فالنّهـي هو(طلـب الكـف عـن الفعـل استعلاءً مـن حيـث هـو كذلـك، فـلا ينتقـض بكـف؛ لأنّـه ليـس طلبـاً للكـف عـن الفعـل مـن حيـث إنـه كـف عـن فعـل، بـل هـو طلـب للكـف مـن حيـث إنـه فعـل)[٤]، ونخلـصُ ممّـا سبق (أنّ الأمـر والنهـي يتفقـان في أن كل واحـد منهـما لا بـد فيـه مـن اعتبـار الاستعلاء، وأنهـما جميعـاً يتعلقـان بالغـير فـلا يمكـن أن يكـون الإنسـان آمـراً لنفسـه، أو ناهيـاً لهـا)[٥].

أمّـا أوجـه الاختـلاف بينهـما هـي أنّ كلاًّ منهـما مختـصّ بصيغـة معيّنـة عـلى خـلاف الآخـر فضـلاً عـن أنّ الأمـر مدلولـه هـو الطّلـب عـلى خـلاف النهـي الـذي مدلولـه المنــع، زد عـلى ذلـك أنّ الأمـر فيـه إرادة مأمـورة أمّـا النهـي ففيـه كراهيـة منهيّـة[٦]، ودلالـة النّهـي الحقيقيـة هـي طلـب الكـفّ عـن الفعـل فـوراً، وقـد يسـتعمل منـه معـانٍ أخـر لأغـراض بلاغيّـة تُفهـم بمعونـةِ القرائـن مـن سـياق الـكلام تجـوزاً[٧]، ومـن هـذه المعـاني نذكـر مـا أورده البلاغيّـون فمنهـا

(١) ظ. التعريفات: ٢٤٣.
(٢) ظ. مفتاح العلوم: ٣٢٠، ظ. كشاف اصطلاحات الفنون: ٤/ ٢٧١.
(٣) ظ. مواهب الفتاح: ١/ ٥١١.
(٤) علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ٨٣.
(٥) الطراز: ٥٣٢ .
(٦) ظ. الطراز: ٥٣٢ ، ظ. البلاغة والتطبيق: ١٢٨.
(٧) ظ. علوم البلاغة: ٧٩.

الدعاء، والالتماس، والإباحة، والتهديد، والتيئيس، والتّسلية، والإرشاد، وغيرها من المعاني[١].

فقد ورد في خطب النبي (صلى الله عليه وآله)، ونهج البلاغة أسلوب النّهي بمعانيه الحقيقيّة والمجازية. أمّا ما نبحث عنها هي المعاني المجازية؛ لأنّها تشكّل مسحة بلاغيّة فنيّة.

ومن خلال تتبّعي معاني النّهي غير الحقيقيّة في خطب النبي (صلى الله عليه وآله)، ونهج البلاغة ألفيتُ معنى الدّعاء نزْراً جدّاً.

من المعاني المجازيّة لصيغة النّهي التي وردت في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) نذكر ما قاله (صلى الله عليه وآله) في أوّل جمعة بالمدينة: (**خذوا بحظكم، ولا تُفرّطوا في جنب الله**)[٢]، فجملة (لا تفرّطوا) جاءت على صيغة النّهي وخرج معناه إلى الإرشاد؛ لأنّ المقام يقتضي ذلك فالنبي (صلى الله عليه وآله) يخطب أوّل خطبة بالمدينة فلا شكّ في أنّه (صلى الله عليه وآله) يرشد الأمّة الإسلاميّة، وإذا ما تتبّعتَ فقرات الخطبة تصدق بذلك إذ يقول (صلى الله عليه وآله) بعدها: «**قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا، ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده**»[٣].

ثم نأتي إلى نهج البلاغة فنرى الإمام (عليه السلام) يسلك الأسلوب نفسه، ففي

(١) ظ. مفتاح العلوم: ٣٢٠، ظ. علوم البلاغة: ٧٩، ظ. البلاغة والتطبيق: ١٢٨-١٣٠، ظ. تلخيص العاني من ربقة جهل المعاني: ٣٣٣ - ٣٣٥.
(٢) تاريخ الطبري: ٢/ ٣٩٥.
(٣) م. ن: ٢/ ٣٩٥.

كتابٍ له (عليه السلام) إلى أُمرائه على الجيوش يقول: «**وَلَا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ**»[١]، فتراه (عليه السلام) مثلما النبي (صلى الله عليه وآله) يأمر قُوّاد جيشه بأسلوب النّهي الذي نتذوقه بأنّه بمعنى الإرشاد وإنْ كان (عليه السلام) أعلى مرتبة على وجه الاستعلاء إلّا أنّ العلّامة الخوئي له تعليق لطيف هنا، إذ يقول: (وقد بَنى الأمر في هذا المقام على أكمل درجات الديموقراطية العليا وهو سقوط الرتبة والمزية بين الوالي وأمراء الجيوش)[٢].

ويمكن لي أنْ أعدّ تأثّر الإمام (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) متابعة أسلوبه من جهة، وتأثّره (عليه السلام) بسلوك وأخلاق النبي (صلى الله عليه وآله) من جهة أخرى؛ لأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) رأيناه يأمر السامعين بأسلوب النّهي على وجه الالتماس بالرّغم من أنّه أعلى مرتبة، وهو نبي الله، وواجب الطّاعة بأمرٍ من الله عز وجل ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[٣]، إلّا أنّه (صلى الله عليه وآله) نبيّ الرّحمة فهو بهذا الأسلوب يؤلّف القلوب ويراعي الظّروف الاجتماعية للمخاطبين؛ لأنّها أوّل خطبة جمعة في المدينة المنوّرة، فرأى (صلى الله عليه وآله) من الأجدر أنْ يأخذ أحوال المخاطبين النفسيّة بنظر الاعتبار[٤].

وثمّة نكتة دقيقة في كلام الإمام (عليه السلام) وهي أنّه (عليه السلام) استثمر ما لهذه اللّفظة (فرط) من معنى عميق، إذ أورد الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) معانٍ عدّة لهذه اللّفظة غير أنّ المعنى الأليق لها هو: التقصير والتضييع، ويقال فرط في

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٣/ ٤٥٥.
(٢) منهاج البراعة في شرح البلاغة: ٢٠/ ١٢٩.
(٣) سورة الحشر: آية ٧.
(٤) ظ. الجوانب الإعلامية في خطب الرسول (صلى الله عليه وآله): ٢٢٠.

جنب الله أي ضيّع ما عنده[١]، وهذا ما كان يريده النبي (ﷺ) في خطبته -والله أعلم- وكذلك الإمام (عليه السلام) إلّا أنّ مقام وموقف الإمام (عليه السلام) ومناسبة كتابه يقتضي معنىً آخر لهذه الكلمة (لا تفرّطوا) والمعنى اللّائق لها هو(الظّلم والاعتداء)[٢]؛ لأنّ الأمراء قد يظلمون ويعتدون على النّاس لما لهم من سلطة القيادة، فلعلّ الإمام (عليه السلام) كان قصده هذا المعنى - والله العالم- لأنّ نصوص الإمام (عليه السلام) مكتنزة لها أكثر من دلالة.

وفي موضعٍ آخر يقول (عليه السلام) شارحاً ما قاله الرّسول (ﷺ) «لا تفرّطوا في جنب الله» بقوله (عليه السلام): «**أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فيهَا، وَ حَمَّلُوا ثقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ**»[٣]، فالإمام (عليه السلام) في هذا الوضع يفصّل ما أراده النبي (ﷺ) من قوله فأتى الإمام (عليه السلام) بثلاثِ جملٍ خبريّة لكنّها تحمل معاني ما ذكره النبي المصطفى(ﷺ) من خطبته في (لا تفرطوا في جنب الله)، فضلاً عمّا أراده (عليه السلام).

ومن علامات التأثّر في نهج البلاغة تجد أنّ الإمام (عليه السلام) يأتي بصيغة النّهي على سبيل المجاز وقد أخذ معانيها من خطبة النبي (ﷺ)، فمن هذه خطبته (عليه السلام) في التزهيد في الدّنيا إذ قال فيها: «**فَلاَ تَنَافَسُوا فِي عِزِّ اَلدُّنْيَا وَ فَخْرِهَا، وَ لاَ تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَ نَعِيمِهَا، وَ لاَ تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَ بُؤْسِهَا**»[٤]، فما بدا لنا أنّ الإمام (عليه السلام) يأمر سامعيه ناهياً بترك هذه الأشياء.

(١) ظ. تاج العروس: مادة (فرط).
(٢) م. ن: مادة (فرط).
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٣٧١.
(٤) م. ن: ١/ ١٦٧.

ويبدو أنّ معاني النّهي فيها للموعظة والإرشاد، وقد أخذ مضامين هذا الكلام من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) التي قال فيما يخرج من زهرة الدّنيا: «**إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدي، ما يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدّنُيَا وَزينتَهَا**»[1]، فيبدو للعيان ملامح أثر خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في كلام الإمام علي (عليه السلام)؛ إذ أنّه (عليه السلام) بيّن للناس ما كان يخاف منه النبي (صلى الله عليه وآله).

ويتّضح ممّا سبق أنّ الإمام (عليه السلام) فصّل ما أجمله النبي (صلى الله عليه وآله) من قضيّة، ويستوقفني هنا أمرٌ لا بُدّ من الإشارة إليه، وهي أنّ هذه النتيجة تعدّ ردّاً على من قال أنّ خطب النبي (صلى الله عليه وآله) وصلتْ إلينا قليلة إذ لا يمكن أنْ نعتدّ به، وأرى أن هذا الكلام غير سديد، بل أقول إنّ خطب النبي (صلى الله عليه وآله) جاءت مضغوطة ومسبوكة، وأرى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان قاصداً بذلك؛ لأنّه (صلى الله عليه وآله) ترك للأمّة عترته يضطلعون بالأمر، وكان الإمام (عليه السلام) عنده بمنزلة هارون من موسى (عليهما السلام).

والذي نستدلّ به على إكمال الإمام (عليه السلام) مسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) توضيحه (عليه السلام) ما قاله النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ أنّه بدأ بعد هذا الكلام يعلّل لماذا ينهاهم عن التنافس في عزِّ الدنيا وفخرها؟ ولماذا ينهاهم عن الجزع من ضرّائها وبؤسها، فيقول (عليه السلام): «**فَإِنَّ عِزَّهَا وَ فَخْرَهَا إِلَى اِنْقِطَاعٍ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَ نَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى اِنْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ. أَوَ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ اَلْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ، وَفِي آبَائِكُمُ اَلْأَوَّلِينَ اَلْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَ مُعْتَبَرٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**»[2].

---

(١) صحيح مسلم: ٤٠٣.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٦٧.

إذن نستدلّ على تأثّر الإمام (عليه السلام) بخطبةِ النبي (صلى الله عليه وآله) من ناحية المضامين أوّلاً أي أنّ كلامه (عليه السلام) يحمل معاني كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن ناحيةٍ أخرى تشابه المناسبتين يوحي إلى تأثّره (عليه السلام) بخطبةِ الرّسول (صلى الله عليه وآله). فضلاً عن ذلك أنّ هذا المقطع من خطبة الإمام (عليه السلام) إشارة إلى ما قاله المصطفى (صلى الله عليه وآله) في الخطبة نفسها: «**إِنَّهُ لا يأتِي الخَيْرُ بالشَّرِّ، وإِنَّ ممّا يُنْبِتُ الرَّبيعُ يَقْتُلُ أَو يُلِمُّ، إلا آكِلَةَ الخُضِرِ، فإِنَّهَا أَكَلَتْ،حَتَّى إذا امْتلأتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنُ الشَّمسِ فَتَلَطَتْ وَبَالَتْ ثُمَّ رَتَعَتْ، وإِنَّ هَذَا المَالَ خُضِرٌ حُلْوٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هَوَ لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ المِسْكينَ والْيَتيمَ وابنَ السَّبيلَ**»[1].

ومن جملة آثار خطب النبي (صلى الله عليه وآله) في نهج البلاغة أنّك تجد أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) نهى محذّراً ومرشِداً في خطبة له (صلى الله عليه وآله) إذ يقول فيها: «**فاتّقوا الله ربّكم وأجمِلوا في طلب الرزق، ولا يحملنّكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية ربّكم فإنه لا يُقدر على ما عنده إلّا بطاعته**»[2]، فكما ترى أنّ الرّسول (صلى الله عليه وآله) يأمر سامعيه بألطف أسلوب في طلب الرّزق وذلك بـ(أجملوا) نهاهم بعده بـ (لا يحملنّكم) بصيغة ((لا تفعل)).

وفي نهج البلاغة ألفيتُ الإمام (عليه السلام) يفسّر ما قاله النبي (صلى الله عليه وآله) إذ يقول (عليه السلام): «**يابْنَ آدَمَ اَلرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، فَلاَ تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ، كَفَاكَ كُلَّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، فَإِنْ تَكُنِ اَلسَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ، فَإِنَّ اَللهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ اَلسَّنَةُ**

(١) صحيح مسلم: ٤٠٣.
(٢) كتاب المغازي: ١/ ٢٢٢.

مِنْ عُمُرِكَ، فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ فِيمَا لَيْسَ لَكَ؟ وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَلَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ»[1]، فيبدو أثر كلام النبي (صلى الله عليه وآله) في كلام الإمام (عليه السلام) واضحاً، وذلك ببيانهِ (عليه السلام) أنّ الرّزق رزقان، وليس ثمّة رزقٌ ثالث يأتي بالقوّة وهذا إشارة إلى قول الرّسول الكريم (صلى الله عليه وآله): (ولا يحملنّكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية ربّكم فانّه لا يقدر على ما عنده إلا بطاعته)، والذي يؤيّد ما قلناه قوله (عليه السلام) في وصيّته لابنه الحسن (عليه السلام) إذ قال فيها: «**فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ**»[2]، وقوله (عليه السلام) هذا إشارة إلى قول النبي (صلى الله عليه وآله): (وأجملوا في طلب الرزق)، بل إنّه (عليه السلام) وضّح أكثر في موضع آخر بشأن الرّزق ذاكراً: «**فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ، أَحْصَى عَدَدَ اَلرِّيشِ مِنْهَا وَاَلنَّفَسِ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى اَلنَّدَى وَاَلْيَبَسِ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا، فَهَذَا غُرَابٌ، وَهَذَا عُقَابٌ، وَ هَذَا حَمَامٌ وَ هَذَا نَعَامٌ، دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ**»[3].

ويقول (عليه السلام) في موضع آخرٍ أيضاً وفيه إشارة إلى خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) عندما قال مرشداً ابنه الحسن (عليه السلام): «**فَمَتَى شِئْتَ اِسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَ اِسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ**»[4]، فجملة (فلا يقنطنّك إبطاءُ إجابته) ما هي إلا إشارة إلى قول النبي (صلى الله عليه وآله) «ولا يحملنّكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية ربكم».

---

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٦٧.
(٢) م. ن: ٣/ ٤٣٠.
(٣) م. ن: ٢/ ٢٩٩.
(٤) نهج البلاغة، محمد عبده: ٣/ ٤٢٨.

ثمّة أسلوب نهي في خطبِ النبي (صلى الله عليه وآله) جاء على أسلوب الخبر، وقد تابع الإمام (عليه السلام) النبي (صلى الله عليه وآله) في أسلوبه هذا في نهج البلاغة، إذ يقول (صلى الله عليه وآله) في خطبةٍ له جاءت في تحريم مكّة: «**فَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إلا لِمُنْشِدٍ**»[1]، فجمل النبي (صلى الله عليه وآله) الشريفة بُنيتْ على سبيل الخبر و(لا) هنا للنّفي، ولكنّه استُعمل مجازاً للنّهي، والفرق بينه وبين (لا) الناهية (أن المضارع بعدها مرفوع ومعناه النهي)[2]، وتجد صدى استعمال هذا الأسلوب في نهج البلاغة أيضاً، إذ يقول (عليه السلام): (**وَلَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ**)[3]، فالخبر هنا جاء بأسلوب النّفي لكنّه يحمل معنى النّهي، وهو من باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر كما أشار العلامة الخوئي في منهاج البراعة[4]. إذن يبدو أنّ الإمام (عليه السلام) كان متأثّراً بالخطاب النبوي عامّة وبخطبه (صلى الله عليه وآله) خاصّة ولولا حكم الظروف واختلاف المواقف التي جعلته (عليه السلام) يتوسّع في كلامه لكان (عليه السلام) عكس شخصيّة الرّسول الأعظم طبق الأصل.

ج- أسلوب الاستفهام.

اختلف العلماء في حدّ الاستفهام فمنهم من يراه أنّه استخبار؛ ولذا عرّفه ابن فارس(ت ٣٩٥ هـ) بأنّه (طلب خبر ما ليس عند المستخبر وهو الاستفهام)[5]، ومنهم من فرّق الاستفهام عن الاستخبار، وهذا هو أبو

(١) صحيح مسلم: ٥٣٥، ٥٣٦.
(٢) تلخيص العاني في ربقة المعاني: ٣٣٢.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٦٩.
(٤) ظ. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٧٩.
(٥) الصاحبي: ٢٩٢.

هلال العسكري (ت٣٩٥ هـ) يرى الاستخبار هو طلب الخبر فحسبْ، والاستفهام يكون لما يجهله المستفهم، أو شكّ فيه[١]، وقيل إنّ الاستفهام هو: (طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أولا وقوعها فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور)[٢]، وللاستفهام أدواته يؤدّى بها، وقد أوردها السكّاكي (ت٦٢٦ هـ) في مفتاح العلوم بأنّها (الهمزة، وأم، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان، بفتح الهمزة وبكسرها)[٣]. وأصْل وضع هذه الأدوات حقيقيّ لكنّ الذي يعنينا في دراستنا هذه هو خروج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى أغراض بلاغيّة؛ لأنّها ظاهرة فنيّة أولاً، ومن ثمّ الاستعمال المجازي أليق ما يكون بخطب الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) المجموع في نهج البلاغة؛ وذلك لأنّ كُلاًّ من النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) لم يستفهما أحداً شيئاً كونهما يجهلانه حاشاهما، ولعلّ هذا بزوغ أوّلِ أثر النبي (صلى الله عليه وآله) في شخصيّة الإمام علي (عليه السلام)؛ لأنّ الإمام (عليه السلام) هو جزء من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنصٍّ منه (عليه السلام) إذ يقول: (**وَ أَنَا مِنْ رَسُولِ اَللهِ كَالصِّنْوِ مِنَ اَلصِّنْوِ، وَ اَلذِّرَاعِ مِنَ اَلْعَضُدِ**)[٤]، وهو (عليه السلام) باب عِلمه وحِكمته.

لأدوات الاستفهام معانيها الأصليّة والمجازيّة فما نبحث عنها هي المجازية لمحاسنها البلاغيّة، وهذه المعاني كثيرة منها: النفي، والتعجب،

(١) ظ. الفروق اللغوية: ٤٨.
(٢) التعريفات: ٢٢.
(٣) مفتاح العلوم: ٣٠٨.
(٤) نهج البلاغة، محمد عبده: ٣/ ٤٤٩.

والتمني، والتقرير، والتعظيم، والتحقير، والاستبطاء،والاستبعاد، والإنكار، والتسوية، والوعيد، والتنبيه، والتشويق، والأمر، والنهي، وغيرها من المعاني التي يمكن أن تتولد حسب تذوق فنّ الكلام[1].

وستكون دراستنا بحول الله وقوته بحثاً عن أكبر قدر ممكن من المعاني المجازيّة في خطب النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) ومدى أثرها في نهج البلاغة بشكل فنّي.

في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) ورد استفهامٌ عندما قال (صلى الله عليه وآله) في حُرمة الرّشوة والهديّة على الحاكم: «**أمّا بَعْدُ، فإنِّي اسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ على العَمَل ممَّا وَلَّاني اللهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذا هَديَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي: أَفَلا جَلَسَ في بَيْتِ أَبيه و أُمِّهِ حَتَّى تَأْتيَهُ هَديَّتُهُ، إنْ كان صادِقاً**»[2]، ففي الخطبة جاءت عدّة استفهامات وأرى كلها خرجت عن معانيها الحقيقيّة، بِدْأً بهمزة الاستفهام ففي قوله (صلى الله عليه وآله) (أفلا) استفهام بمعنى التحضيض بحكم مقتضى الحال؛ لأنّ الخطبة وردت في تحريم الرّشوة.

تجد الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة يستعمل هذه الأداة للاستفهام المجازيّ فيقول (عليه السلام): «**أَفَلاَ تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ؟ أَلاَ عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ؟ أَلاَ وَ إِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ**»[3]، ترى الإمام يستعمل الاستفهام بمعنى التحضيض إلى حدّ التحذير، ويتبادر لي من هذا الأثر شيئان:

(١) ظ. البلاغة والتطبيق: ١٣٢ - ١٣٦.
(٢) صحيح مسلم: ٧٦٦.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ٦٧.

الأول: أنّه (عليه السلام) مثلما النبي (صلى الله عليه وآله) يستعمل الاستفهام بمعنى التحضيض.

الثاني: أنّه (عليه السلام) أضاف شيئاً آخر وهو تكريره الاستفهام وأفاد الإيقاظ والانتباه لدى السامعين.

ويعدّ هذا من براعة الإمام (عليه السلام) في التوسع فنيّاً بعدما يقتبس شيئاً من خطب النبي (صلى الله عليه وآله).

وفي موضعٍ آخر يقول (عليه السلام): «**وَاللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اِسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَ لَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: (أَلاَ تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟) فَقُلْتُ: (اُغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ اَلصَّبَاحِ يَحْمَدُ اَلْقَوْمُ اَلسُّرَى)**»[1]، فالاستفهام في (ألا) أفاد التحضيض أيضاً لدخولها إلى المضارع، ولم يكتفِ الإمام (عليه السلام) باستثمار همزة الاستفهام بمعنى واحد وإنّما أخذ يتوسّع بمعانٍ جديدةٍ لها، ففي خطبةٍ له (عليه السلام) يقول: «**أَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَ أَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ**»[2] فالاستفهام هنا دلالته التنبيه، وهنا تتجلّى مقدرة الإمام (عليه السلام) الفنيّة في دقّة تعامله مع النصّ واللّغة، إذ لم يقفْ يردّد ما قاله الرّسول (صلى الله عليه وآله) فحسبْ؛ بل توسّع وأبدع بإتيانه أشياء جديدة ويبدو لي من هذا شيئان:

الأوّل: أنّه (عليه السلام) يكشف سرّ إبداع تتلمذه على يد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الثاني: بيانه (عليه السلام) عظمة النبي (صلى الله عليه وآله) من خلال كلامه باعتبار كلِّ ما لديه من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يضاف إلى ذلك بيان علاقته الوثيقة مع النبي (صلى الله عليه وآله) إذ ظهر آثار خطبه (صلى الله عليه وآله) الشريفة في كلامه (عليه السلام).

---

(١) م. ن: ٢/ ٢٥٤.

(٢) م. ن: ٢/ ٢٩٧.

ومن معاني الاستفهام المجازيّة قوله (عليه السلام): «**فَاعْفُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ**»[١]، فالإمام (عليه السلام) ساق هنا همزة الاستفهام بمعنى العرض بمعونة القرائن وسياق الحديث، وهذا النوع من الاستعمال لم يكنْ غائباً من خطب النبي (صلى الله عليه وآله) حتّى يُقال إنّه (عليه السلام) تأثّر لغير رسول الله (صلى الله عليه وآله) في نهج البلاغة، إذ يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) للأنصار: «**ألا تجيبون يا معشر الأنصار...**»[٢]، فالاستفهام هذا بمعنى العرض بحكم السياق أيضاً.

أحياناً تجد الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة يستفهم لقضيّة وقد أخذها من النبي (صلى الله عليه وآله) وذلك قوله (عليه السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما أتتْه أنباء السقيفة فقال (عليه السلام): «**فَهَلاَّ اِحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اللهّ عَلَيْهِ وَآلِه وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ**»[٣]، فيقصد به (عليه السلام) الأنصار، وقد أخذ (عليه السلام) هذا المضمون واقتبسه من خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وبناه على أسلوب الاستفهام الذي خرج معناه إلى التحضيض، وخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) جاءت في حقّ الأنصار عندما قال (صلى الله عليه وآله): «**أوصيكُمْ بِالْأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوْا الذي عَلَيْهِم وَبَقِيَ الَّذي لَهُمْ، فَاقْبَلوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسيئِهِمْ**»[٤].

يزاد على ذلك أنّ الإمام (عليه السلام) أحياناً يأتي بكلامٍ وتجد فيهِ آثاراً لائحةً لأكثر من خطبةٍ واحدةٍ للنبي (صلى الله عليه وآله)، ولعله (عليه السلام) يستحضر خطبتين أو أكثر

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٣/ ٤٠٧.
(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٩٤.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٠٥.
(٤) صحيح البخاري: ٧٢٢.

من خطب النبي (صلى الله عليه وآله)، ثم يصوغ منها ما يناسب موقفه الفنّي وظروفه، فمن هذه ما يقوله (عليه السلام): «**أَ رَأَيْتَ لَوْ أَنَّ اَلَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ اَلْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ، وَ أَخْبَرْتَهُمْ عَنِ اَلْكَلَإِ وَ اَلْمَاءِ، فَخَالَفُوا إِلَى اَلْمَعَاطِشِ وَ اَلْمَجَادِبِ، مَا كُنْتَ صَانِعاً؟**»[1]، فهنا يبدو لي أنه (عليه السلام) قد أخذ أسلوب الاستفهام من إحدى خطب النبي (صلى الله عليه وآله) وهي عندما قال النبي (صلى الله عليه وآله) في نزول قوله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[2]، فخطب (صلى الله عليه وآله) قائلاً: «**أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي**»[3]، والمضمون قد أخذه (عليه السلام) من خطبةٍ ثانيةٍ للنبي (صلى الله عليه وآله) عندما خطب قائلاً: «**إن الرائد لا يكذب أهل**»[4]، وهذا الأخذ يعدّ من أعظم آيات الإبداع عند الإمام (عليه السلام) فضلاً عن تأثّره (عليه السلام) بخطب النبي (صلى الله عليه وآله)؛ وذلك أنّه (عليه السلام) قد أخذ أسلوب الاستفهام من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) بالمعنى نفسه، والغاية منه تصديقيّ بحيث لا يبقى أمام الخصم إلّا أنْ يجيب بـ (نعم) أو(لا): ولتركيبة (أرأيتكم) التي أتى بها الرّسول المصطفى (صلى الله عليه وآله) فيها من سحر أفانين التعبير في غاية الدقّة، فقد أورد الفرّاء(ت ٢٠٧ هـ) لها معنيين ويبدو لي ما ذهب إلى المعنى الثاني هو أليق وألصق لما قاله النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) في خطبته، فيقول الفرّاء: (والمعنى الآخر أن تقول: أرأيتكَ، وأنت تريد أخبرني (وتهمزها) وتنصب التاء منها؛ وتترك الهمز إن شئت، وهو أكثر كلام العرب)[5].

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٧١.
(٢) سورة الشعراء: آية ٢١٤.
(٣) صحيح مسلم: ١١٤.
(٤) نثر الدر: ٢/ ٢٧١.
(٥) معاني القرآن: ١/ ٣٣٣، ظ. لسان العرب: مادة (رأي).

أمّا حذف الإمام (عليه السلام) الكاف من (أرأيت) كما يبدو لم يخرجْ معناه إلى غير معنى (أخبرني)، فإثبات الكاف يؤتي به لـ (زيادة في بيان الخطاب، وهي المعتمد عليها في الخطاب)[١]، والدّليل على ذلك أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يخاطب قومه بينما الإمام (عليه السلام) كان يخاطب رجلاً واحداً لإلقاء الحجّة عليه. فضلاً عن ذلك أنّ المضمون الذي اتّكأ عليه الإمام (عليه السلام) له مزية وحجّة عقليّة؛ وذلك لأنّ الرّائد محالٌ أنْ يكذبَ أهله؛ لذا كان نجاح الإمام (عليه السلام) في تعامله مع النصّ واللّغة أنْ آمن ذلك الرّجل له وأذعن له وبايعه وكان يدعى بـ (كُليب الجُرمي)، وقد اعترف هذا الرّجل بقوله: (فَوَاللهِ مَا اِسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ اَلْحُجَّةِ عَلَيَّ فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)[٢].

إذنْ يتّضح ممّا سبق أنّ تأثّر الإمام (عليه السلام) بخطب النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكنْ من ناحية اقتفاء الشّكل فحسبْ أو المضمون فحسبْ وإنّما (بدا الأثر النبوي في تعبير الإمام من خلال الكيفية التي اتبعها الإمام في طريقة الاقتباس وقدرته على الإبانة والتوليد)[٣]. وبذا يبرز تأثّر الإمام (عليه السلام) بالخطب النبويّة الشّريفة فضلاً عن قدرته الفنيّة للإبداع والتوسّع في الكلام.

ومن علامات تأثّر الإمام (عليه السلام) في أسلوب الاستفهام نذكر ما خاطب به النبي (صلى الله عليه وآله) الأنصار قائلاً: «**ألم آتكم ضُلّالاً فهداكم الله وعالةً فأغناكم الله، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم!**»[٤]، فالرّسول (صلى الله عليه وآله) لم يستفهمْ لأنّه لا يعلم

(١) لسان العرب: مادة (رأي).
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٧١.
(٣) الأثر النبوي في كلام الإمام علي عليه السلام، مجلة ينابيع، العدد ١٧: ٤٨.
(٤) تاريخ الطبري: ١/ ٩٤.

بالمسألة، بل يريد (صلى الله عليه وآله) أنْ يُثبت في نفوسهم هذه القضايا، وهذا ما دلّ على التقرير. فإذا ما أتينا إلى نهج البلاغة نجد الإمام (عليه السلام) يحتذي أسلوب الرّسول (صلى الله عليه وآله)، وذلك عندما قال (عليه السلام): «**أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ اَلْأَكْبَرِ، وَأَتْرُكْ فِيكُمُ اَلثَّقَلَ اَلْأَصْغَرَ؟ قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ اَلْإِيمَانِ، وَ وَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ اَلْحَلاَلِ وَ اَلْحَرَامِ، وَ أَلْبَسْتُكُمُ اَلْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَفَرَشْتُكُمُ اَلْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ اَلْأَخْلاَقِ مِنْ نَفْسِي**»[1]، فكلّ هذه المسائل لم يأتِ بها الإمام (عليه السلام) ليستفهم عنها الآخر، وإنّما ليقرّرها في نفسه، والاستفهام هنا بمعنى التقرير.

وثمّة إشارة أخرى نستدلّ بها على تأثّر الإمام (عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله) هي ذكْره (عليه السلام) الثقْل الأكبر والثقل الأصغر، وهذا ما أخذه أيضاً من النبي (صلى الله عليه وآله) عندما وصّى (صلى الله عليه وآله) به وذلك في خطبته: «**أَيُّهَا النَّاسُ! فإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشَكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فأُجيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ الله فيه الْهُدَى والنُّورُ فَخُذُوا بِكِتابِ الله واسْتَمْسَكُوا بِهِ وأَهْلُ بَيْتِي، أُذكِّرُكُمُ اللهَ في أَهْلِ بَيْتِي، أُذكِّرُكُمُ اللهَ في أَهْلِ بَيْتِي، أُذكِّرُكُمُ اللهَ في أَهْلِ بَيْتِي**»[2].

ومن إبداعات الإمام (عليه السلام) في استعماله هذه الأساليب بمعانيها المجازيّة، فضلاً عن تأثّره بخطب النبي (صلى الله عليه وآله)؛ وذلك لما يستدعيه الظرف والموقف فمن هذه ما قاله (عليه السلام) في ذمّ أصحابه: «**أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ؟**»[3]، فالاستفهام هنا بمعنى التوبيخ بحكم الموقف؛ لأنّ الخطبة جاءت في ذمّ

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٣٧.
(٢) صحيح مسلم: ٩٨٠.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٦٤.

أصحابه، فكثيراً ما كان (عليه السلام) يذمّ أصحابه لاختلافهم وعدم إطاعتهم إليه، وهذا كان غير موجودٍ في أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخلّص رضي الله عنهم كما يبدو.

ومن المعاني المجازيّة الأخرى للاستفهامات التي وردت في نهج البلاغة قوله (عليه السلام) في كتابٍ له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري: «**أَيْنَ اَلْقُرُونُ اَلَّذِينَ غَرَرْتَهِمْ بِمَدَاعِبِكَ أَيْنَ اَلْأُمَمُ اَلَّذِينَ فَتَنْتَهِمْ بِزَخَارِفِكَ؟ هَا هُمْ رَهَائِنُ اَلْقُبُورِ وَ مَضَامِينُ اَللُّحُودِ**»[1]، فالاستفهام هنا بمعنى التنبيه والإمام (عليه السلام) يخاطب الدّنيا منبّهاً عثمان بن حنيف من باب إيّاك أعني واسمعي يا جارة.

وأرى أنّ عدم وجود مسحة نبويّة في هذه الاستعمالات لا يعني عدم تأثّر الإمام (عليه السلام) بالخطب النبويّة بالضرورة، وإنّما للظروف حكمها لإنطاق أهلها؛ ولأنّ لكل مقام مقالاً.

أحياناً تجد الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة يستفهم لقضيّة قد أخذها من النبي (صلى الله عليه وآله) لكنّه بمعنىً مغاير، ففي خطبةٍ له (عليه السلام) يقول: «**فَيَا عَجَباً! وَمَا لِيَ لاَ أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ اَلْفِرَقِ عَلَى اِخْتِلاَفِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا، لاَ يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، وَ لاَ يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ**»[2]، فدلالة الاستفهام (ما) للتعجب، تجدر الإشارة إلى أنّ محور حديث الإمام (عليه السلام) هنا يدور حول قضيتين:

الأولى: عدم قص هؤلاء القوم أثر النبي (صلى الله عليه وآله) وهذا معناه أنّه (عليه السلام) مقتصٌّ أثره (صلى الله عليه وآله) ومتأثّر به.

---

(١) م. ن: ٣/ ٤٥٠.
(٢) م. ن: ١/ ١٣٨.

الثانية: قضيّة عدم اقتداء هؤلاء القوم وصيّ النبي (صلى الله عليه وآله) الذي عيّنه (صلى الله عليه وآله) عليهم ويقصد نفسه (عليه السلام)، وهنا يأتي دور استثماره (عليه السلام) مضمون خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) والاستفهام الوارد في خطبته (صلى الله عليه وآله) عندما قال: «**فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم**»[1]، فيروى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أخذ بعد ذلك برقبة الإمام (عليه السلام) فقال: «**إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا**»[2]، فالمعنى المغاير هو أنّ الاستفهام في خطبة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان حقيقيّاً، والإمام (عليه السلام) أراد أن يلقي على النّاس حجّةً بتذكيرهم أمر الرّسول (صلى الله عليه وآله) في حقّه عندما استفهم (عليه السلام) متعجّباً بقوله (مالي) ومقتبساً بعض كلمات الرّسول (صلى الله عليه وآله) مثل كلمة »وصي" التي تعدّ كلمة نبويّة أصيلة كما يقول الشيخ محمد حسن آل ياسين[3].

د ـ أسلوب النّداء:

النِّداء هو مطالبة المنادى بالإقبال بإحدى حروف النِّداء، وهذا الاستقبال قد يكون حقيقيّاً أو مجازيّاً فالأوّل مثل (يا زيد)، والثاني مثل (يا جبال)، والغاية من النِّداء إصغاء المنادى إلى أمرٍ معيّن؛ ولذا غالباً ما يلي النِّداء إمّا أمرٌ، أو نهيٌ، أو استفهامٌ، أو إخبار وما إلى ذلك[4].

أما حروف النِّداء فمتّفق عليها بين العلماء النحويّين والبلاغيّين، وقد عدّدها السكاكي (ت٦٢٦ هـ) بأنها هي (يا، أيا، هيا) لنداء البعيد و(أي،

(١) تاريخ الطبري: ٢/ ٣٢١.
(٢) م. ن: ٢/ ٣٢١.
(٣) ظ. نهج البلاغة لمن ؟: ٢٨.
(٤) ظ. حاشية الصبان: ٣/ ١٩٧، ظ. موسوعة علوم اللغة العربية: ٩/ ٢٧٩.

الهمزة) لنداء القريب وعدَّ (وا) للندبة غالباً ما يلحق آخر المندوب (ألف و ها) نحو ((وازيداه)) [١].

ويعدّ حرف النِّداء (يا) أُم حروف النِّداء[٢]، ورأس الأدوات وأكثرها استعمالاً؛ لأنّها تدخل في كل نداء، ويقترن مع لفظ الجلالة، والمستغاث به، ومع (أيها وأيتها) ويستعمل في نداء المندوب أيضاً عند أمن اللّبس[٣].

إنّ لكلِّ حرفٍ من حروف النِّداء استعماله ودلالته، وإذا ما تابعنا النِّداء في خطب النبي (صلى الله عليه وآله) وأثرها في نهج البلاغة لا شكّ في أنّنا نجد النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) فقد استعملا هذا الأسلوب مُغيّاةً، وهذا سرّ اعتلاء كلام النبي (صلى الله عليه وآله)، والإمام (عليه السلام) على باقي كلام البشر، لأنّهما صلوات الله عليهما كانا يضعان الشيء في موضعه.

ففي إحدى خطب النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: «**يَا مَعْشَرَ الأنْصار! أَلَمْ أجِدْكُمْ ضُلّالاً فهداكُمُ الله بي**»[٤]، فأسلوب النِّداء في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) جاء بحرف النداء (يا) وهذا الحرف كما هو معلوم عند البلاغيّن يأتي لنداء البعيد، بينما الذين يخاطبهم الرّسول (صلى الله عليه وآله) هم بالقرب منه (صلى الله عليه وآله)، فالنّكتة أنّ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) جاء به لإشعار السامعين بعلوّ منزلتهم عند نفسه الكريمة (صلى الله عليه وآله)، بدليل أنّه (صلى الله عليه وآله) قال في ذيل خطبته: «**الأَنصارُ شِعَارٌ والنَّاسُ دِثَارٌ، وَلَوْلا الهِجْرَةُ لكُنتُ امْرأً من الأَنْصَار، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيَاً وَشِعْبَاً، لَسَلَكْتُ**

(١) ظ. مفتاح العلوم: ١٠١.
(٢) ظ. معاني الحروف: ١٠٤.
(٣) ظ. مسائل في النداء، مجلّة الأزهر، الجزء الرابع، السنة الخامسة والخمسون: ٥٥٠.
(٤) صحيح مسلم: ٤٠٨.

واديَ الأَنصار وَشِعْبَهُم»[1]، وهذا هو وجه من وجوه فنون البلاغة التي خرجت على مقتضى ظاهر الحال.

وهذا يؤكد لنا أنّ معنى النِّداء في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) جاء للإغراء، فهو يريد(صلى الله عليه وآله) بهذا النِّداء إغراءهم وتحريك عواطفهم لعظم منزلهم عنده (صلى الله عليه وآله)، بدليل مدحهم النبي (صلى الله عليه وآله) وهذه الدّلالة أيضاً لون من ألوان البلاغة النبويّة.

ثم نأتي إلى نهج البلاغة نجد أنّ الإمام (عليه السلام) ينادي سامعيه بأسلوب الرسول (صلى الله عليه وآله) نفسه قائلاً: «**يَا إِخْوَتَاهُ ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ**»[2]، فالإمام (عليه السلام) هنا يخاطب جمعاً من النّاس هم أمامه لكنّه أنزلهم بمنزلة البعيد لتطييب نفوسهم، ليُشعرهم بأنّه (عليه السلام) يعطي لهم منزلة في نفسه الكريمة، ولا شكّ في أنّ معنى النِّداء هنا للإغراء بدلالة قرينة (إخوتاه)، ومن خلال السّياق إذا ما تابعت كلام الإمام (عليه السلام).

كما تابع الإمام (عليه السلام) النبي (صلى الله عليه وآله) في أسلوب النِّداء بحرف النِّداء (يا) تابعه أيضاً بأسلوب النِّداء الذي جاء على تركيب (يا أيُّها الناس) وإنْ كان لهذا التركيب ذكرٌ في القرآن الكريم باعتبار أنّ القرآن المعيّن الأوّل الذي استقى منه النبي (صلى الله عليه وآله)، والإمام (عليه السلام)، وهذا ما يفتح المجال لمعترض ما بأنّ الإمام (عليه السلام) تأثّر بالقرآن الكريم، ولم يتأثّرْ بالنبي (صلى الله عليه وآله) خصوصاً بهذه الصيغة (يا أيُّها الناس)، بينما أقول إنّ الأثر يكمن باحتذاء أمير المؤمنين (عليه السلام) أسلوب النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبه أي بمعنى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) اقتطف هذه

(١) م. ن: ٤٠٨.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٦٩.

التركيبة من القرآن الكريم - إذا جاز لنا التعبير - وسار بها في خطبه الشريفة فتابعه الإمام (عليه السلام) بذلك، واللّافت للنّظر أنّ هذه الصيغة وردت كثيراً في خطب النبي (صلى الله عليه وآله).

فقد ورد في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) إذ قال (صلى الله عليه وآله) فيها: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ**»(١)، وفي خطبةٍ أخرى يقول (صلى الله عليه وآله): «**يا أيّها الناس أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهِي عن محارمه**»(٢)، وفي خطبته (صلى الله عليه وآله) في شهر رمضان يقول (صلى الله عليه وآله): «**يَا أَيَّهَا النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ**»(٣)، وفي خطبةٍ أخرى يقول (صلى الله عليه وآله): «**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُم تُحْشَرُونَ إلى الله حُفَاةً عُرَاةً**»(٤).

ويقول (صلى الله عليه وآله) في خطبةٍ أخرى: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آياتِ الله**»(٥)، فالماثل أمام العيان أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قد استعمل في هذه المواضع (يا أيّها الناس) ولم يستعملْ أسلوباً آخر للنِّداء، ولا شكّ في أنّ فيه علّة وسبباً فالمعلوم أنّ هذا التركيب يؤتى به للتنبيه (على عظم الأمر المدعو له، وعلو شأنه حتى كأن المنادى مقصر فيه غافل عنه مع شدة حرصه على الامتثال)(٦)، وإذا ما بحثنا عن هذه الأمور التي نادى من أجلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجدنا كلها أموراً عظيمةً، ففي الخطبة الأولى ينادي المقاتلين في فضل الجهاد ولقاء

(١) صحيح مسلم: ٧٢٣.
(٢) كتاب المغازي: ١/ ٢٢١.
(٣) الترغيب والترهيب: ٢/ ٢٢١.
(٤) صحيح مسلم:١١٤٧.
(٥) صحيح مسلم: ٣٥١.
(٦) علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٤١٤.

العدوّ، وفي الثانية يوصي بما أوصاه الله، وفي الثّالثة يتحدّث عن شهر رمضان المبارك، وفي الرّابعة يتحدّث عن أهوال يوم القيامة، وفي الخامسة يتحدّث عن آيات الله؛ ولذا عمد (صلى الله عليه وآله) إلى استعمال هذا التركيب (يا أيّها الناس) الذي نادى به ليدلَّ على قضايا حسّاسة، وليبادر المنادى بالامتثال عليها والاستجابة بها، أمّا الإمام (عليه السلام) ما كان ليخالف معلّمه الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ولذا ردفه في الأسلوب والدّلالة، ففي خطبة له (عليه السلام) يقول: «**يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ! طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ اَلنَّاسِ، وَ طُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَ أَكَلَ قُوتَهُ، وَ اِشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَ بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ، وَ اَلنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ**»[1]، فترى الإمام (عليه السلام) يشير إلى قضايا مهمّة تفيد من أخذ بها؛ ولذا لجأ إلى استعمال (يا أيّها الناس)، يزاد على ذلك أنّ الإمام (عليه السلام) قد أخذ هذا الكلام مقتبساً من خطبة الرّسول (صلى الله عليه وآله) بالكامل، والتي قال فيها (صلى الله عليه وآله) في الاعتبار بالموت: «**طوبى لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس وأنفق من مال قد اكتسبه من غير معصية**»[2].

ويقول (عليه السلام) في موضعٍ آخر: «**يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ! مَتَاعُ اَلدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ، فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ**»[3]، فالإمام (عليه السلام) استثمر أسلوب النِّداء (يا أيها الناس) وما فيه من دلالة كما قلنا لأمرٍ عظيم ليحذرّ سامعيه من متاع الدنيا وحطامها وهو أمر خطير لبني البشر.

من اللافت للنّظر أنّ هذا الأسلوب (يا أيّها الناس) قد ورد قليلاً قياساً

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٨٢.
(٢) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٤٢٧.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥٧٨.

لما هو في خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن خلال تتبّعي نهج البلاغة لم أجدْ غير هذينِ الموضعينِ استعمل بهما الإمام (عليه السلام) هذا الأسلوب، ولعلّ السبب يرجع في هذا إلى اختلاف المواقف والأدوار التي سنأتي إليها- إنْ شاء الله- .

أحياناً ترى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يستعمل أسلوب النداء بـ (يا أيّها الناس)، وأحياناً أخرى يعمد إلى حذف حرف النّداء من هذه الصيغة فيبقى (أيّها الناس) فحسب، وكُلهُ لغايةٍ ودلالة فضلاً عن إثراء الكلام بألوان بلاغية فالتنوع في استعمال حروف النداء لا يعقل أن يكون من قبيل الترادف، أو وليد الصدفة، لأنّ كلّ حرف له مدلوله المعنوي والوظيفي فضلاً عمّا يستفاد منها (لمعانٍ بلاغيّة كثيرة تفهم من السياق و قرائن أحواله)[1].

ففي خطبةٍ له (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجّة الوداع نلحظ إتيانه (صلى الله عليه وآله وسلم) عبارة (يا أيّها الناس) عدّة مرّات حاذفاً منها حرف النداء (يا)، ويرى البلاغيّون أنّ الحذف يأتي لفوائد منها التفخيم، أو الإعظام، أو لزيادة اللذّة، أو الإيجاز، والاختصار، أو التخفيف، أو التشجيع، ويُحذف (يا) النداء ليشعر الدّاعي المنادى بالقرب منه[2]، وهذا مقتضى الحال والمقام، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما استعمل أسلوب النداء بـ (أيّها الناس) في خطبته هذه بقصد الإيجاز، أو الاختصار، أو التخفيف لا بدّ من سبب، وهو كما يبدو لي ضيق المقام الذي اقتضى ذلك، فالرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد أن يبلّغ ما أمره الله به من أحكام وقضايا مهمّة وحسّاسة لها علاقة بحياة المجتمع ما بقى الدهر، فلا بدّ أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد الإيجاز لهذه العلّة - والله

(١) علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٤١٥.
(٢) ظ. البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٠٤، ١٠٥، ظ. علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٤١٢.

العالم - بدليل أنّه (صلى الله عليه وآله) التزم بهذا الأسلوب طوال الخطبة المباركة.

وفي موضعٍ آخر حذف (صلى الله عليه وآله) حرف النِّداء (يا) عندما خطب قائلاً: «**أَيّها الناس! أما بعد فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأوثقَ العُرَى كلمةُ التَّقْوى...**»[1]، فكما أرى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) جاء بعبارة (أيّها الناس) مستغنياً عن حرف النداء (يا) فيبدو أنّه (صلى الله عليه وآله) حذف (يا) النّداء للتخفيف أو لإشعار المنادى بأنّه قريب من نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فاستبعد علّة ضيق المقام؛ لأنّ الخطبة من طوال الخطب النبويّة.

فعلى هذا الأثر تابع الإمام (عليه السلام) النبي (صلى الله عليه وآله) في استعماله هذا الأسلوب بهذا المستوى من المعنى، بعبارةٍ أخرى كان الإمام (عليه السلام) مثلما النبي (صلى الله عليه وآله) يلجأ إلى حذف حرف النداء(يا) إذا اقتضى الحال والمقام، وهذا ما سنراه بحكم النصّ في نهج البلاغة.

اتّضح ممّا سبق أنّ الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة كان يقتصّ أثر النبي (صلى الله عليه وآله) فضلاً عمّا يتعلّق في حياته من حركاتٍ وسكناتٍ كان يعكس شخصيّة الرّسول (صلى الله عليه وآله) ويجسّدها، وهذا ما رأيناه في النّصوص، ولا غرابة في ذلك إذ إنّ الإمام (عليه السلام) تأثّر بسلوك النبي (صلى الله عليه وآله) كما تأثّر بكلامه الشريف.

فمن كلام له (عليه السلام) يقول: «**أَيُّهَا اَلنَّاسُ! اَلزَّهَادَةُ قِصَرُ اَلْأَمَلِ، وَ اَلشُّكْرُ عِنْدَ اَلنِّعَمِ، وَ اَلْوَرَعُ عِنْدَ اَلْمَحَارِمِ**»[2]، فترى الإمام (عليه السلام) مثلما النبي (صلى الله عليه وآله) أتى في صدارة كلامه أسلوب النِّداء حاذفاً منه أداة النِّداء(يا) قاصداً الإيجاز لعله

(١) كتاب المغازي: ٣/ ١٠١٦.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١١٨.

لضيق المقام؛ لأنّ كلامه هذا جاء في غاية القصر، والناظر فيه يلمس ذلك بوضوح حتى من ناحية قصر الجُمل، وفي خطبةٍ أخرى يقول (عليه السلام): «**أَيُّهَا اَلنَّاسُ! خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ اَلنَّبِيِّينَ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ مَاتَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ وَ يَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِبَالٍ**»[1]، يبدو لي هنا شيئان:

الأوّل: أنّه (عليه السلام) مثلما النبي (صلى الله عليه وآله) حذف حرف النداء(يا) طلباً للإيجاز.

الثاني: أنّه (عليه السلام) أتى بذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقوله ليُدلَّ به على تأثره (عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله)، وفي خطبة أخرى يقول (عليه السلام) في الموعظة وبيان قُرباه من رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**أَيُّهَا اَلنَّاسُ! إِنِّي وَ اَلله مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلاَّ وَ أَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَ لاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلاَّ وَ أَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا**»[2]، في هذا الكلام للإمام (عليه السلام) ألمس أثرين من آثار خطبة النبي (صلى الله عليه وآله):

الأوّل: أنّه (عليه السلام) حذف حرف النِّداء (يا) مثل النبي (صلى الله عليه وآله) طالباً الاختصار أو إشعار المنادى بأنّه قريب من نفسه فضلاً عن إشعاره (عليه السلام) بأنّه هو أيضاً قريب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيبدو هذا الكلام أكثر وضوحاً في الأثر الثاني.

الثاني: كلامه هذا (عليه السلام) إشارة إلى خطبةِ رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي قال فيها: «**ولا أعلمُ من عملٍ يُقرِّبكم إلى الله إلّا وقد أمرتكم به، ولا أعلمُ من عملٍ يُقرِّبكم إلى النار إلّا وقد نهيتُكم عنه**»[3] فإشارته (عليه السلام) بكلامه واقتباسه بعض كلماته يشعر السامعين بأنّه (عليه السلام) كان قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ ولذا

(١) م. ن: ١/ ١٣٧.
(٢) م. ن: ٢/ ٢٧٧.
(٣) كتاب المغازي: ١/ ٢٢٢.

ظهرت آثار خطب النبي (صلى الله عليه وآله) في كلامه (عليه السلام)، وهنا يبدو لي أثر ثالث ألا وهو أنّ الإمام (عليه السلام) مثل النبي (صلى الله عليه وآله) بنى كلامه على أسلوب القصر بوساطة النفي والاستثناء وقد أفاد التوكيد.

والجدير بالذكر أنّ الإمام (عليه السلام) تابع النبي (صلى الله عليه وآله) في هذا الأسلوب وفيه أثر آخر وهو: أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) خاطب الأمّة بهذه الصيغة لتدلّ على العموم، فهو لم يقلْ(صلى الله عليه وآله) مثلاً (يا أيّها المسلمون، أو يا أيّها الذين آمنوا) حتى يقصد المسلمين فحسب، فهو رسول البشريّة جمعاء، وهذا معناه أنّ خطابه عامٌّ شمولي ليس للنّاس في ذلك الوقت بل لكلِّ الأجيال؛ لأنّه خاتم الأنبياء والمرسلين[1] فتابعه الإمام (عليه السلام) بذلك؛ لأنّه خاتم الأوصياء.

أمّا النِّداء بأسلوب (اللَّهمَّ) فقد ورد كثيراً في خطبِ النبي (صلى الله عليه وآله) ونهج البلاغة وأصل النِّداء (يا الله)، ولكن الفراء (ت ٢٠٧ هـ) يرى صيغة (اللَّهمَّ) (أنها كانت كلمة ضم إليها؛ أُمّ، تريد: يا الله أمّنا بخير، فكثرت في الكلام فاختلطت، فالرفعة التي في الهاء من هم أُمّ لما تركت انتقلت إلى ما قبلها)[2].

عادة ما يأتي أسلوب النِّداء بـ (اللهم) للدّعاء، ففي خطبةِ النبي (صلى الله عليه وآله) يقول فيها داعياً على أهل الأحزاب: «**اللهمَّ اضربْ وجوهَهم وأكِلْ سِلاَحَهُم، ولا تبارِكْ لهم في مَقَامِهم، اللهم مزِّقْهُم في الأرض تَمْزِيقَ الرِّياحِ الجَراد**»[3].

كذلك الإمام (عليه السلام) يدعو على أعدائه بنداء (اللهم) قائلاً: «**اَللهُمَّ فَإِنْ**

(١) ظ.الصياغة الفنية في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في استقبال شهر رمضان، الموقع: www.alnoor.se.

(٢) معاني القرآن: ١/ ٢٠٣.

(٣) نثر الدر: ١/ ١٨٠، المستطرف في كل فن مستظرف: ٢/ ٥٤٧.

رَدُّوا اَلْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَ شَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَ أَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ»[١]، فترى الإمام (عليه السلام) يدعو على أعدائه كما دعا النبي (صلى الله عليه وآله) على أعدائه أهل الأحزاب مستثمراً النّداء بـ (اللهم) بالموضوع نفسه والهدف نفسه، ومن جُملة النِّداء بأسلوب (اللهم) ما قاله النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبة الاستسقاء: «**اللهم اسْقِنَا وأغثنا، اللهم اسْقِنَا غَيثاً مُغيثاً، وَحَيّاً ربيعاً، وَجَدَاً طبقاً غدقا مغدقاً**»[٢].

وإذا تتبّعنا أثر هذه الخطبة المباركة في نهج البلاغة سنجد الإمام (عليه السلام) بموضعين يدعو بالسُّقيا، في الموضع الأول يقول (عليه السلام): «**اَللهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً، مُرْوِيَةً، تَامَّةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيئَةً، مَرِيعَةً زَاكِياً، نَبْتُهَا ثَامِراً فَرْعُهَا، نَاضِراً وَرَقُهَا، تُنْعِشُ بِهَا اَلضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَ تُحْيِي بِهَا اَلْمَيِّتَ مِنْ بِلاَدِكَ. اَللهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا، وَ تَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا، وَ يُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا، وَ تُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَ تَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا**»[٣]، فترى الإمام (عليه السلام) اتّبع النبي (صلى الله عليه وآله) في أمرين:

الأول: الدّعاء بأسلوب (اللهم).

الثاني: متابعته (عليه السلام) النبي (صلى الله عليه وآله) في أسلوب الفصل، والذي قال عنه السكاكي (ت ٦٢٦ هـ): (وهو ترك العاطف وذكره على هذه الجهات، وكذا طي الجمل عن البين ولا طيها، وانها لمحك البلاغة، ومنتقد البصيرة، ومضمار النظار، ومتفاضل الأنظار، ومعيار قدر الفهم...)[٤]، أمّا الموضع الثاني الذي

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٠٩.
(٢) نثر الدر: ١/ ١٥٦.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٩٦.
(٤) مفتاح العلوم: ٢٤٩.

قال فيه (عليه السلام): «**اَللهُمَّ أُنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ، وَ بَرَكَتِكَ، وَ رِزْقَكَ وَ رَحْمَتَكَ، وَ اِسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً، مُرْوِيَةً، مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَ تُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ**»[١]، وهنا تبدو مقدرة الإمام (عليه السلام) الفنيّة أكثر؛ لأنّه (عليه السلام) أضاف إلى احتذائه النبي (صلى الله عليه وآله) أسلوب النّداء بـ (اللهم)، واقتباسه كلمات خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) مثل: (اسقنا، سقيا)، عمد إلى أخْذ أسلوب الفصل مضيفاً إليه أسلوب الوصل، فجاء كلامه (عليه السلام) متناوباً بين أسلوبي الفصل والوصل، أمّا الفصل فبيّناه، وأمّا الوصل فهو (عطف الجملة على الجملة، والمفرد على مثله بجامع ما)[٢]؛ ولذا عطف الإمام (عليه السلام) الكلمات (غيثك، بركتك، رزقك، رحمتك) بالواو؛ لأنّه يجمعها جامعٌ واحدٌ وهو أنّ كلّ هذه الأشياء مصدُرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

هـ- أسلوب التمنّي:

ويقصد بالتمنّي هو طلبك أمراً للحصول عليه، لكونه تحبّه نفسك، وترغب فيه، وقد يكون ممكناً أو لا يكون، فما أكثر ما يحبّ الإنسان شيئاً فيطلُبه وهو محال الحصول كقولك: ليت الشباب يعود، واللّفظ الموضوع له (ليت)، وقد يتمنى بـ (هل، ولو، ولوما، وهلا، وألا، ولعلّ، وأين، ومتى)[٣].

من خلال متابعتي خطب النبي (صلى الله عليه وآله) وجدت هذا الأسلوب قليلاً جداً ويكاد يكون معدوماً، ولكن نذكره من باب الإشارة إليه، ففي موضع من

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٢٧.
(٢) الإيضاح: ٥٤٣.
(٣) ظ. المطول: ٤٠٧، ٤٠٨، ظ. علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٤٢٠ - ٤٢٦.

خطب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ورد التمنّي بأسلوب (لو) وذلك في خطبةٍ له (صلى الله عليه وآله) يقول فيها: «**ومَن يصلِح الذي بينه وبين الله من أمره في السرّ والعلانية، لا ينوي بذلك إلّا وَجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذُخْراً فيما بعد الموت، حين يفتقر إلى ما قدّم وما كان من سوى ذلك يَوَدُّ لَوْ أنّ بيْنها وَبينهُ أَمَداً بعيداً**»[١]، فاستعمال الرّسول (صلى الله عليه وآله) (لو) خرج إلى معنى التمنّي.

تجد الإمام (عليه السلام) أيضاً في نهج البلاغة يستعمل هذه الأداة قاصداً بها التمني. ففي خطبةٍ له (عليه السلام) يقول ذامّاً أصحابه: «**وَأَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ اَلْإِسْلاَمِ وَ بَقِيَّةُ اَلنَّاسِ إِلَى اَلْمُعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ اَلْعَطَاءِ فَتَتَفَرَّقُونَ فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَ تَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ... لَوْ كَانَ اَلْأَعْمَى يَلْحَظُ أَوِ اَلنَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ**»[٢]، (لو) هنا بمعنى التمنّي أي كأنّه (عليه السلام) قال: ليت الأعمى يلحظ كما قال الشارح الشيخ محمد عبده - رحمه الله -[٣]، ونرى في هذه الخطبة أثراً آخر لخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه (عليه السلام) جاء بكلامه محذوفاً وهو جواب (لو) بدلالة الكلام[٤] كما كان جواب (لو) محذوفاً من كلام النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته (لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً).

وأحياناً بمقتضى الحال تجد الإمام (عليه السلام) يستعمل بعض أدوات الاستفهام خرجتْ معانيها للتمنّي كاشفاً لنا إبداعه (عليه السلام) فضلاً عن تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله)، فمن هذه الاستعمالات قوله (عليه السلام): «**أَيْنَ إِخْوَانِيَ اَلَّذِينَ رَكِبُوا اَلطَّرِيقَ وَ مَضَوْا عَلَى اَلْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَ أَيْنَ اِبْنُ اَلتَّيِّهَانِ؟ وَ أَيْنَ ذُو**

(١) تاريخ الطبري: ٢/ ٣٩٥.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٨٦.
(٣) ظ. نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٨٦ (الهامش).
(٤) ظ: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٢٣٧.

اَلشَّـهَادَتَيْنِ؟ وَ أَيْـنَ نُظَرَاؤُهُـمْ مِـنْ إِخْوَانِهِـمُ اَلَّذِيـنَ تَعَاقَـدُوا عَـلَى اَلْمَنِيَّـةِ، وَ أُبْـرِدَ بِرُءُوسِـهِمْ إِلَى اَلْفَجَـرَةِ؟»[1]، فالإمـام (عليه السلام) هنـا لا يسـتفهم اسـتفهاماً حقيقيّـاً بـأنّ هـؤلاء الأصحـاب الكـرام (رضي الله عنهـم) أيـن هـم، فهـو عـلى علـمٍ بأنّهـم استشـهدوا، لكنّـه (عليه السلام) يتمنّـى أنْ لـو كان هـؤلاء الأصحـاب معـه الآن.

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٩٢.

الفصل الثاني

التصوير الفنّي

إنّ أوّلَ من طرح فكرة التصوير النقديّة كما يبدو من كلام الباحثين هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، ولا استبعد أنّ هذا الاستعمال كان غير موجود قبله، ولعلّ الفكرة نفسها كانت موجودة لكنّها كانت ذوقية، في حين طرحها الجاحظ فكرة نقديّة وأخرجها من القوّة إلى الفعليّة، ووضعها في حيّزٍ نقديٍّ؛ لذا لقفها من جاء بعده من العلماء وتناولوها، وحاولوا تهذيبها، والتوسّع فيها بعدما أُلقيت هذه الفكرة على بساط البحث.

ظهر مصطلح (التصوير) في كلام الجاحظ عندما عرّف الشّعر بقوله: (فإنما الشعر صناعةٌ، وضَرْب من النَّسيج وجنسٌ من التّصوير)[١].

إنّ استعمال الجاحظ مصطلح التصوير لم يكنْ مقطوع الجذور، إذ إنّ لهذا المصطلح صلة بجذره اللغوي، فقد ورد في اللسان أنّ (الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته)[٢]، وهذا معناه أنّ الصورة تعني الهيأة أو الشّكل والصفة.

فالصورة تعدّ من أهم العناصر التي تدخل في تكوين النصّ الأدبيّ، فضلاً عن أنّ المنشئ عندما يسبغ هذه اللمسة الفنيّة لا يقصد منها أنّها مجرّد

(١) الحيوان: ٣/ ١٣٢.
(٢) لسان العرب: مادة (صور).

تحليق في عالم الخيال؛ بل هي (الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة)[١]؛ لأنّ (الصورة تجسيم للأفكار التجريدية والخواطر النفسية والمشاهد الطبيعية حسيّة كانت ام خيالية)[٢].

لذا يعمد المبدع إلى التصوير الفنّي من خلال استعماله التشبيهات والاستعارات والكنايات و المجاز بصورة عامّة لبيان فكرة ما بداخله، وهذا التصوير مجازيٌّ بمعنى أنّ هناك تصويراً فنيّاً ولكنه غير مجازي (ويشمل التصوير المشهدي، والتصوير القصصي، والتصوير من خلال المونولوج الدرامي)[٣].

فالصّورة المجازيّة إذن تقيم علاقات جديدة بين الأشياء من خلال عناصر مستمدّة من الطبيعة أو الخيال فتكون الصّورة إمّا محسوسةً أو معقولةً تمسّ شعور جوهر الإنسان، وتفتح للذهن آفاقاً من الحريّة بحيث تثير خياله وتدفعه إلى تصوّرات عينيّة، هذا فضلاً عن المتعة التي تستلذّ النفس بها [٤].

فالصّورة في النصّ بناءً على ذلك تكون لغاية، ولها دلالة، ومن خلال هذه الصّورة المجازيّة يُتوصّل إلى الصّورة الحقيقيّة للقضيّة التي لفّها المنشئ بصورة معينة.

أوّلاً: الصّورة القائمة على فنّ التشبيه:

التشبيه هو أحد أركان التصوير الفنّي المجازيّ الذي يضطلع به في النصّ.

(١) النقد الأدبي الحديث: ٤٤٢.
(٢) النقد التطبيقي والموازنات: ١٤٢.
(٣) التصوير الفني في شعر صلاح جاهين: ٣٣.
(٤) ظ. نظرية البنائية في النقد الأدبي:٢٣٩.

يلجأ إليه المنشئ كثيراً ليميط اللثام عن فكرةٍ ما من خلال تجسيده الأفكار بهذا الأسلوب، وهذه هي القصديّة التي يوحى بها إلى أنّ الغرض من التشبيه ليس (تشبيه شيء بشيءٍ ليدل على حصول صفة المشبه به في المشبه)[١] فحسب، وإنّما لإيصال المتلقّي إلى معرفة وجه العلاقة القائمة بين طرفيّ التشبيه لإرساء صورة معيّنة لقضيّة معينة في نفسيّة المتلقّي، ورسمها رسماً دقيقاً، ولا شكّ في أنّ الصّورة تكون أقوى وأوقع في النفس كلّما كان طرفا التشبيه في غاية من الملاءمة والاتّفاق فـ (عندما يشبه الشاعر ممدوحه بالأسد أو البحر فإنه يقصد الشجاعة والسماحة والعلم)[٢]، فهذا هو غرض التشبيه وهدفه.

والجدير بالذّكر أنّ سبب لجوء المبدع إلى التشبيه يرجع إلى محدوديّة دلالة الأشياء أو الأسماء، بينما التشبيه يجعل من هذه المحدوديّة لا محدوديّة من خلال إقامة علاقات جديدة بين المفردات، ومن ثمّ تتولّد لنا صورٌ جديدةٌ غير معهودةٍ سابقاً، وإلى هذا الأمر أشار الرمّاني (ت ٣٨٤هـ) بقوله: (دلالة الأسماء والصفات متناهية، فأما دلالة التأليف فليس لها نهاية)[٣]، ولا ريب في أنّ التشبيه جزء من هذا التأليف الذي يقصده الرمّاني، وذلك من خلال إنشاء علاقات كلماتيّة.

فالتشبيه هو (عملية تعبيرية تفقد طرفي التشبيه هويتهما الواقعية لتقيم على أنقاضهما هوية جديدة هي الحاصل الدلالي الذي تسرب إلى ذهننا جرّاء هذه

(١) الإشارات والتنبيهات: ١٣٨.
(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ١٧٣.
(٣) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت في إعجاز القرآن): ١٠٧.

العملية)[١]؛ لذا يعدّ التشبيه من أعظم تجلّيات التصوير الفني، ولعلّ هذه الرؤية دفعت قدامة بن جعفر (ت٣٧٧هـ) إلى القول: بأنّ (التشبيه فهو من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم)[٢]، وإذا كان التشبيه من أشرف كلام العرب فكيف به إذا كان المبحوث عنه في كلام سيّد العرب والعجم النبيّ المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) وتتبّع أثره في كلام وصيّه المرتضى علي بن أبي طالب (عليه السلام).

تعدّدت مشارب ثقافة الإمام (عليه السلام) في بناء الصورة القائمة على التشبيه في نهج البلاغة فقد استقى (عليه السلام) بأكثر من قليب منه القرآن الكريم، ومنها البيئة، والوراثة وغير ذلك، وأما(شخصية الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) فقد كان لها أعظم أثر وأبينه في تكوين شخصية الإمام علي وثقافته)[٣]، وقد تخلّلت هذه الثقافة النبويّة المستمدّة من التجربة الوحيانية إلى كيان الإمام (عليه السلام). فما كان من بُدَّ إلّا أنْ تظهر آثارها فيه، وعلى لسانه، فمن هذه الآثار البارزة ما تجلّت وبانت في كلامه المجموع في نهج البلاغة من استعمال أساليب إلى احتذاء أسلوب الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الاقتباس إلى الاستشهاد إلى التصوير وهذا ما سأقف عنده إن شاء الله تعالى.

كثيراً ما ترى الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة متأثّراً بخطب النبي (صلى الله عليه وآله) من جهة تصويره الفنيّة، ولكن هذا الأثر بحاجة إلى إعمال فكر وتشغيل ذهن لدقّته.

(١) دور التشبيه الدلالي في نهج البلاغة (مجلة المنهاج): العدد ٢/ ٢٠٦.
(٢) كتاب نقد النثر: ٥٨.
(٣) التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام): ٤٠.

ولقد وقفتُ عند أثر صورتين إحداهما صورة الدّنيا، والأخرى صورة الموت؛ لأنّهما احتلّتا مساحةً واسعةً في نهج البلاغة وفي كِلتا الصورتين وجدتُ الإمام (عليه السلام) يستقي صوره من خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

- (صورة الدّنيا):

في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورد وصف الدنيا إذ يقول فيها: (**إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا**)[١]، وكان لم يبقَ من ذلك اليوم أثناء كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا، كما يقول الرّاوي أبو سعيد الخدري: إلّا حمرة من الشمس على أطراف السعف[٢]، أي أنّ الوقت الذي وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الدنيا كان قبيل المغرب.

فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صوّر لنا هذه الدنيا آنذاك بهذا الوصف الدقيق، ويبدو لي أنّ براعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفنّيته جاءت من دقّة هذا التصوير، إذ كان التصوير تصويراً حيّاً مباشراً حاضراً أمام السامعين، وليس به حاجة إلى أن يذهب المخاطب بفكره يميناً ويساراً حتى يعرف مراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

والجدير بالذكر أنّ غاية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذه الصورة ليست تفنّناً بالكلام فحسب، وإنْ كانت الصّورة بلغت أوج عظمتها في الفنّ؛ لأنّها استطاعت تجسيم وتجسيد الأفكار المجرّدة والخواطر النفسية بالمشاهد الطبيعية التي كانت حاضرة[٣] بالرغم من أنّ قصديّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذه الفنيّة كانت وسيلة لا

(١) إعجاز القرآن: ٩٤.
(٢) ظ. م. ن: ٩٤ .
(٣) ظ. النقد التطبيقي والموازنات: ١٤٢.

غاية، وكانت أداة توصيل وبيان، وليس تعمّداً خلافاً ما كان عليه في الجاهلية.

يبدو أنّ هذا الاستعمال التوصيلي الجمالي في الخطاب النبوي أوّل أثرٍ تخلّل في نهج البلاغة فاقتفاه الإمام (عليه السلام) واقتدى به؛ لأنّ(المعصوم (عليه السلام) يستخدم أية وسيلة يمكن بها توصيل الهدف إلى المتلقّي، فحيناً يتطلب الموقف تعبيراً علمياً، وحيناً يتطلب تعبيراً فنياً، وحيناً يتطلب تعبيراً يجمع بين العلم والفن)[1]. إذن يتّضح ممّا سبق أنّ نصوص المعصومين وأوّلهم النبي (صلى الله عليه وآله) لا تخرج عن ثلاثة أنماط بعضها يكون تعبيراً علميّاً وهذا ممّا لا شكّ فيه خاضع للمنطق، وبعضها يكون فنيّاً يعتمد على مقوّمات النصّ من إيقاع وصور وغيرهما، وبعضها يجمع بين لغة العلم، ولغة الفن[2]، لكن الذي يختلف فيه كلام المعصومين، ولا سّيما سيّدنا الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) عن كلام المتفوّهين بالخطابة والشّعر هو أنّ (خطاب النبي (صلى الله عليه وآله) وكلامه مزدوج الوظيفة والغاية، فهو يؤدي ما يؤديه الكلام عادة، وهو إبلاغ الرسالة ويسلط مع ذلك على المتلقّي تأثراً فنياً ينفعل به مع الرسالة انفعالاً ما، بلغته الثرية المكثفة، فينعكس على وجدانه)[3].

فالرّسول (صلى الله عليه وآله) عرض لسامعيه قضيّةً حسّاسةً وهي الدّنيا فحذّرهم ووعظهم بالصورة الحيّة التي قدّمها (صلى الله عليه وآله) إيّاهم.

فالنصّ النبوي لم يكنْ مجرّد سطح ظاهري لمجموعة من الكلمات التي نسجها بشكل معيّن، وليس نصّاً ذا معنى جامد وواحد يُتوقّف عنده كما

(١) مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٥٥.
(٢) ظ. مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٥٥.
(٣) فصاحة الرسول المصطفى وبلاغته: ٩١.

عـرّف ((رولان بـارت)) النـصّ بهـذه الصـورة[١]، وإنّـما هـو نـصّ ثـريّ كثيـف المعـاني كلّـما أمعنـت فيـه ازددت جـدّة في المعـاني وكشـفتَ سرّاً مـن أسراره.

كان حريّـاً بأمـير المؤمنـين (عليه السلام) أنْ يتأثّـر بهـذا المسـتوى المرمـوق مـن مقـدرة النبـي (صلى الله عليه وآله) الفنيّـة، وعليـه أيضـاً فـكّ هـذه النصـوص المضغوطـة المعـاني للأمّـة؛ لكونـه خليفـة رسـول الله (صلى الله عليه وآله) ووصيّـه، وبـاب علمـه، وهـذا مـا حصـل فعـلاً إذ تـراه (عليه السلام) يتوسّـع بهـذه القضيّـة ويلـحّ عليهـا لحسّاسـيّتها وأهميّتهـا.

يقـول (عليه السلام) في خطبـةٍ لـه في النّهـي عـن اتبّـاع الهـوى وطـول الأمـل: «**أَلاَ وَ إِنَّ اَلدُّنْيَـا قَـدْ وَلَّـتْ حَـذَّاءَ فَلَـمْ يَبْـقَ مِنْهَـا إِلاَّ صُبَابَـةٌ كَصُبَابَـةِ اَلْإِنَـاءِ اِصْطَبَّهَـا صَابُّهَـا**»[٢]؛ فالمقصـود بالصبابـة (بقيـة المـاء في الإنـاء)[٣]، بعـد أن يصطـبّ صابّهـا، وروعـة الصـورة تكمـن هنـا إذ مـاذا يبقـى في الإنـاء بعـد صبّهـا ؟ ويمكـن أن نبـين هـذه العلاقـة بالمخطـط الآتي:

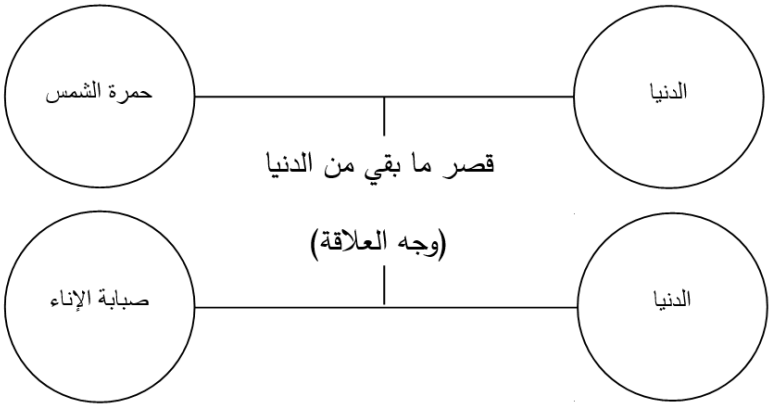

(١) ظ. تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دراسة في نقد النقد: ١٨٤.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ٨٥.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٣٠٨.

وبهذا يتّضح تأثر الإمام (عليه السلام) بتصوير النبي (صلى الله عليه وآله)، وتشبيهه الدّنيا التي لم يبقَ منها إلا كحمرة الشّمس على أطراف النخيل، فالتقط الإمام (عليه السلام) هذه الصّورة وصاغ منها صورة أخرى محافظاً على دلالتها التي هي قلّة ما بقي من الدّنيا.

ثمّة عوامل مساعدة توحي بتأثّر الإمام (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) :

أولاً: اتّفاق المناسبة إذ أنّ كلام الإمام (عليه السلام) جاء في التحذير عن الدّنيا وإتبّاع الهوى، وكذلك مناسبة خطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، وإنْ كانت المصادر لم تذكرْ لنا مناسبة الخطبة كعنوان، ولكنّ مضمون الخطبة الشريفة يكشف لنا أنّها جاءت في الموعظة والتحذير من الدنيا.

ثانياً: ثمّة ألفاظٌ وردت في كلام الإمام (عليه السلام) ومنها إشارة إلى خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) منها (ألا وإنّ الدنيا قد ولّت حذّاء) فلفظة (الدّنيا) ولا سيما لفظة (حذاء) التي قال عنها ابن ميثم البحراني أنّها بمعنى (خفيفة مسرعة لا يتعلّق أحد منهما بشيء)[1]، وهذا المعنى يتلاءم كثيراً مع صورة النبي (صلى الله عليه وآله) بأنّ الدنيا لم يبقَ منها ألا كحمرة الشمس على أطراف سعف النخيل.

وكما هو معلوم أنّ هذا الوقت أي وقت حمرة الشّمس ينقضي بسرعة، فالإمام (عليه السلام) أتى بصورة توحي بها إلى هذا المعنى وعبّر عنها بـ (حذّاء)، والشيء الآخر الذي يبدو لي هو أنّه (عليه السلام) أراد أنْ يبيّنَ من كلامه هذا شيئاً آخر وهو أنّ بالمنطق القياسي إذا كان أكثر من ثلاثة أرباع الدّنيا لطالما قد ولّتْ بسرعة خفيفة فكيف بالقدر الذي هو كحمرة الشمس على أطراف

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٢/ ١٠٧.

السعف وهذا إشارة أيضاً إلى خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) بحيث أذاب النصّ النبوي في كلامه ثم بنى صورة أخرى بشكل ثانٍ محافظاً على المضمون، وهنا يظهر لنا سرّ تأثّر الإمام (عليه السلام) بخطب النبي (صلى الله عليه وآله) وسرّ تفنّنه باللغة والكلام.

ثالثاً: ثمّة أثر آخر في صورة الإمام وهو أنّه (عليه السلام) كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله) شبّه المحسوس بالمحسوس فكما الدّنيا وحمرة الشّمس محسوستان في صورة النبي (صلى الله عليه وآله) كذلك الدّنيا وصبابة الماء محسوستان أيضاً في صورة الإمام (عليه السلام).

يبدو أنّ الإمام (عليه السلام) لم يقفْ عند صورةٍ واحدةٍ بالمعنى الذي عبّر عنه النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته، وإنّما أراد أنْ يوضّح الصورة أكثر فقال: «**أَلاَ وَ إِنَّ اَلدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَ آذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَ تَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَ أَدْبَرَتْ حَذَّاءَ... فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ اَلْإِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ اَلْمُقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا اَلصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ**»[1]، وما أقرب هذه الصّورة من سابقتها، وما أقربهما من صورة النبي (صلى الله عليه وآله)، وإنْ بدا لنا شكلاً آخر، فالإمام (عليه السلام) في هذه المرّة شبّه الدّنيا ببقيّة ماء في إناء المسافرين فإذا ما قلَّ ماؤهم في الإناء يتناول كلُّ واحدٍ منهم حصاة يضعها فيها ليتقاسموا الماء سويّةً ثم يمتصّ كلّ واحدٍ منهم قليلاً دون أنْ يروي ظمأه[2]، فيبدو أنّ صورة النبي (صلى الله عليه وآله) التي شبّه بها الدّنيا ببقايا حمرة الشّمس على أطراف سعف النخيل قد بقيتْ متعلّقةً في ذهنِ الإمام (عليه السلام) فعبّر عنها بصورةٍ شتّى وكلها مستمدّة من تلك الصّورة النبويّة، وهذا هو إيراد المعنى بطرق مختلفة، فيقول (عليه السلام) في خطبة الغرّاء واصفاً الدنيا: «**فَإِنَّ**

(١) نهج البلاغة، محمد عبده ٩٢،٩٣.
(٢) ظ. م. ن: ١/ ٩٣ (الهامش).

اَلدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَ يُوبِقُ مَخْبَرُهَا، غُرُورٌ حَائِلٌ، وَ ظِلٌّ زَائِلٌ، وَ سِنَادٌ مَائِلٌ»[1]، فإذا ما ركّزنا على صورة (غرور حائل، وظل زائل) أو في رواية (وضوء آفل)[2]، فما هي إلاّ احتذاء للصورة النبويّة، فإذا دقّقنا النظر بمعاني صورة (غرور حائل) نجد الحائل معناها (المتغير اللون)[3] وهذه إشارة إلى صورة النبي (صلى الله عليه وآله) بتشبيهه الدّنيا بحمرة الشّمس والمعلوم أنّ لون الشّمس وقت الغروب غير لونها في وقت الشروق، وغير لونها في وقت الضحى مثلاً، وهذا يعني أنّ الدّنيا من شأنها تنتقل من حالٍ إلى حال.

أمّا صورة (ظلّ زائل) أو آفل فهي أيضاً إشارةٌ إلى خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) فالإمام (عليه السلام) أراد من هذه الصورة بيان أنّ حال الدّنيا إلى ما ستؤول إليه بعد أنْ بقي منها قدر حمرة الشّمس على أطراف سعف النخيل، أي لا بدّ أنّها سيزول ظلها وتؤدّي إلى الأُفول وهذا توضيح لصورة الرّسول (صلى الله عليه وآله) في خطبته وبيان لها.

يتبادر إلى الذهن في تصوير الإمام (عليه السلام) عدّة آثار لخطب النبي (صلى الله عليه وآله) منها ما جاءت الصّورة بقصد الاعتبار والموعظة، والأثر الآخر ورد طرفا الصّورة حسيّين كما هي الحال في صورة النبي (صلى الله عليه وآله)، وتجدر الإشارة إلى أنّ الإمام (عليه السلام) ترك أداة التشبيه في هذه الصّورة لتكون الصّورة أشدّ وقعاً في النفوس وأبلغ أثراً، يزاد على أنّ تركه أداة التشبيه يومئ إلى تشديده لتأكيد واقعيّة الصّورة النبويّة إذا كان هناك من يشكّ بالمسألة.

(١) م. ن: ٢/١٢١.
(٢) م. ن: ٢/ ١٢١ (الهامش).
(٣) لسان العرب، مادة (حول).

هناك صورة أخرى في كلام الإمام (عليه السلام) وقد بانَ فيها أثر صورة النبي (صلى الله عليه وآله) التي شبّه ما بقي من الدّنيا ببقايا حمرة الشّمس على سعف النخيل.

يقول (عليه السلام) من كلام له يحذّر به من فتنة الدّنيا: «**فَإِنَّهَا (أي الدنيا) عِنْدَ ذَوِي اَلْعُقُولِ كَفَيْءِ اَلظِّلِّ بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ وَ زَائِداً حَتَّى نَقَصَ**»[1]، هذه الصّورة في غاية من الدقّة وفيها إشارة إلى صورة النبي (صلى الله عليه وآله)، وتوضيح للصورة النبويّة التي جاءت بتشبيه الدّنيا التي لم يبقَ منها إلّا كما بقي حمرة الشّمس على أطراف النخيل، فالأثر النبوي يكمن في صورة الإمام (عليه السلام) وذلك كيف أنّ الظلّ ينقبض بعد أنْ كان كاملاً سابغاً[2]، والشيء الآخر الذي جاء به (عليه السلام) في صورته هو لفظة(الظلّ) لكي يبقى قريباً من صورة النبي (صلى الله عليه وآله) فأتى بالظلّ دون غيره؛ لأنّ (الظل دائر بين السبوغ والتقلص والزيادة والنقصان)[3]، فصورة الدّنيا عند النبي (صلى الله عليه وآله) كانت في حالة النقصان بعد أنْ كانت سابغةً.

ووقوفاً عند صورة (فيء الظل) ففيها أثران أوّلهما: أثر للموروث العربي، وذلك بإضافة الشيء إلى نفسه كما كانت تفعل العرب[4]، والأثر الثاني: هو أثر صورة النبي (صلى الله عليه وآله) إذ أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) صوّر الدنيا بنهاية اليوم فتأثّر الإمام (عليه السلام) بهذه الصورة فصوّر(عليه السلام) الدنيا بـ (فيء الظل).

---

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٠٠.

(٢) سابغ: أي كامل وواف، ظ. لسان العرب: مادة (سبغ)، قلص أي انقبض، يقال قلص الظل يقلص عني قلوصاً، ظ. لسان العرب: مادة (قلص).

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٢/ ١٥٩.

(٤) ظ. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:٣/ ١٤٣.

ركّز الإمام (عليه السلام) على كلمة (الفيء) فقدّمها على الظلّ، وكما ورد في اللسان يطلق الفيء بهذا الاسم بعد زوال الشمس على الليل بينما الظلّ يكون من أول النهار إلى الزوال[١].

إذن تشبيه الإمام (عليه السلام) الدّنيا بالفيء الذي يطلق على ما بعد الزوال إلى الليل دليلٌ على أنّها متأثّر بتشبيه النبي (صلى الله عليه وآله) الدّنيا بآخر اليوم في صورته، ومثله ما ورد في خطبة له (عليه السلام): «**وَ اِنْصَرَمَتِ اَلدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَ أَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى أَوْ شَهْرٍ اِنْقَضَى، وَ صَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً، وَ سَمِينُهَا غَثّاً**»[٢].

فهذه الصورة ما هي إلّا محاكاةٌ للصورة النبويّة، وإذا ما فتّشنا عن معاني التصوير العلوي لرأيناه يتّفق مع التصوير النبوي وذلك في (وانصرمت الدنيا بأهلها) بمعنى انقطعت وانقضت[٣]، وهذا معنى الاعتبار من حال الدنيا كما كان (صلى الله عليه وآله) يريد من سامعيه الاعتبار، وصورة (فكانت كيومٍ مضى أو شهر انقضى) تفصيل لسابقتها، لكنّ الإمام (عليه السلام) أسبغ على صورته مسحة أخرى تختلف عمّا هي في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) وهي تصويره الدّنيا بأفعال ماضية، وهذا يوحي بتشديد موعظة الإمام (عليه السلام)، والحثّ بالاعتبار منها بحيث لو كانت الدّنيا عند النبي (صلى الله عليه وآله) لم يبقَ منها إلّا كبقيّة حمرة الشّمس على سعف النخيل فعند الإمام (عليه السلام) لم يبقَ حتى هذا القدر،بل إنّها مضت كيوم أمس أو انقضت كما انقض الشهر، وممّا يزيد هذه الصورة توضيحاً قوله (عليه السلام):

(١) ظ. لسان العرب: مادة (ظلل).
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٣٠٨.
(٣) ظ. لسان العرب: مادة (صرم).

(وصار جديدها رثّاً وسمينها غثّاً)[١] أي أنّ الدّنيا فنيت وانقضت بأهلها وتقادم عهدها.

والظاهر أنّ الذي جعل الإمام (عليه السلام) يتوسّع ويتفنّن بالكلام أكثر بحيث يُرد المعنى بأكثر من طريقة هو تزاحم الأحداث في عصره وتسارعها، إذ كان بعضها يأتي تلو الآخر ومواكبته (عليه السلام) أحلك الأيام، وأمرّها، وتألّب الأُمّة ضدّه جعلتْه يتفوّه أكثر حتّى لا تأخذه في الله لومةُ لائم، فضلاً عن أنّه (عليه السلام) مكمّل للمسيرة النبويّة الشريفة.

- (صورة الموت)

لم تكنْ صورة الموت بين تضاعيف نهج البلاغة بأقلّ وقْعاً في النفوس من صورة الدّنيا، وقد توسّع الإمام (عليه السلام) بهذه الصورة التي تعود جذور تصويره إلى خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقد ورد أنّه (عليه السلام) يعمد أحياناً إلى اقتباس الصّورة النبويّة بالكامل مما ينمّ من عمق تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى درجة تدخل الحيرة إلى نفس جامع كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) السيّد الشّريف الرضي (رحمه الله)، فيقول: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْسُبُ هذَا الكَلَامِ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم)[٢] وهذا يعني عظم الأثر النبوي في كلام الإمام علي (عليه السلام) بحيث يصعب جدّاً نسبة الكلام الوارد في تضاعيف المصادر أيّهما صاحب النصّ.

---

(١) رثا: باليا، ظ. لسان عرب: مادة (رثث)، غثا: هزيلا، ظ. لسان العرب: مادة (غثث).

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥٢٧

يقول النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبةٍ له في الاعتبار بالموت: «**يا أيها الناس كأنّ الموت على غيرنا كُتب، وكأن الحقّ على غيرنا وجب، وكأن الذين يشيّعون من الأموات سَفْرٌ عما قليل إلينا راجعون نبوّئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم كأنا مخلّدون بعدهم، قد نَسينا كلّ واعظة وأَمِنّا كل جائحة**»[1]، فتجد النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته هذه واعظاً النّاس بتصويره الموت تصويراً شاغلاً الذهن مُحرّكاً الفكر، فلا يجد المتلقي بُدّاً من أنْ يتأثّر بهذه الصورة، ويذعن لما فيها من دقّة في الدّلالة وأثر في النفوس.

إنّ أوّل ما بدأ النبي (صلى الله عليه وآله) بهذا التصوير نداؤه بالنّاس جميعاً فبهذا لم ينادِ المسلمين فحسب، فالألف واللام في (الناس) أفاد العموم واستغراق الجنس، وتشبيهه (صلى الله عليه وآله) الأموات بالمسافرين وتشبيه وهْم النّاس بخلودهم بعد الأموات من قبيل الاعتبار وتشغيل الذهن لعلهم يتفكرون.

يبدو أنّ هذه الصورة تعلّقت في ذهن الإمام (عليه السلام) فشاء الله سبحانه وتعالى أن يهيّأ له موقفاً ليكشف عن تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله).

ففي إحدى مواكب التشييع التي كان الإمام (عليه السلام) مشاركاً فيها فعند متابعته (عليه السلام) هذه الجنازة سمع رجلاً بين المشيّعين يضحك فقال له (عليه السلام): «**كَأَنَّ اَلْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَ كَأَنَّ اَلْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَ كَأَنَّ اَلَّذِي نَرَى مِنَ اَلْأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ، وَ نَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ! ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَ وَاعِظَةٍ، وَ رُمِينَا بِكُلِّ فَادِحٍ وَ جَائِحَةٍ**»[2].

(١) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٤٢٧.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥٢٧.

يبدو من الأسباب التي دعت الإمام (عليه السلام) إلى أنْ يتأثّر بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، أنّ مقتضى الحال كان واحداً منها؛ لأنّ الموقف تشييع جنازة وثمّة رجل يضحك، والإمام (عليه السلام) رأى أنّه لا بُدّ أنْ يعطيه درساً، وليس لغير صورة النبي (صلى الله عليه وآله) أفضل وأكمل ما يقدّمه فضلاً عن بيان علاقته بالنبي (صلى الله عليه وآله).

والجدير بالذكر أنّه لعظم أثر هذا الكلام النبوي في نفسيّة الإمام (عليه السلام) نُسب إليه هذا النصّ، ودليل أثره أنّه (عليه السلام) اشتق من هذه الصورة صوراً أخر بالمضمون نفسه سنأتي إليها - إن شاء الله - فضلاً عن أنّ هذا الكلام عُدّ من حكم أمير المؤمنين في نهج البلاغة، والحكمة هي (معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم)[1]، وهذا يكشف سّر أمير المؤمنين (عليه السلام) وسّر تربيته التي أخذها من النبي (صلى الله عليه وآله).

إذنْ بعد أن اقتفى الإمام (عليه السلام) الصورة السابقة للنبي (صلى الله عليه وآله) شكلاً ومضموناً أراد أنْ يبيّن مدى تعلّق هذه الصورة في فكره، ومدى تعلّقه بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) إذ عمد إلى الاشتقاق منها صوراً أخرى توحي بتأثّره.

فمن خطبةٍ له (عليه السلام) يحثّ بالتقوى يقول: «**فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ اَلْفَنَاءِ لِأَيَّامِ اَلْبَقَاءِ، فَقَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى اَلزَّادِ، وَ أُمِرْتُمْ بِالظَّعَنِ، وَ حُثِثْتُمْ عَلَى اَلْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لاَ يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ**»[2]، فالوقوف عند صورة (فإنما انتم كركب وقوف لا يدرون متى يؤمرون بالمسير) يظهر بوضوح تأثير الصورة في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في صورة الإمام علي (عليه السلام)، فهي تصوير حسّي (فوجه الشبه

(١) لسان العرب: مادة (حكم).
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٤٨.

ظاهر فالإنسان هو النفس، والمطايا هي الأبدان والقوى النفسانية، والطريق هي العالم الحسي والعقلي)[1]، وهذا التشبيه الحسيّ أوّل أثر من آثار خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في كلامه (عليه السلام) فضلاً عن عدّة إشارات توحي بتأثّره (عليه السلام) بصورة النبي (صلى الله عليه وآله) منها احتفاظه (عليه السلام) على أداة التشبيه كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله)، ومقابلته طرفا التشبيه بطرفي تشبيه الرّسول (صلى الله عليه وآله) بشكل حسّي، الأموات، سفر، الركب، سير، إذ قابل (عليه السلام) السير بالسفر، ودلالتهما الموت وقابل الركب بالأموات .

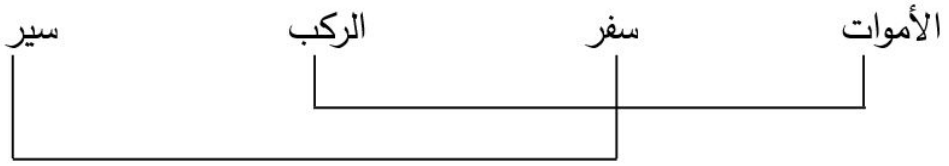

وثمّة نكتة في هذه المقابلات بين الصّورتين، ففي صورة النبي (صلى الله عليه وآله) هناك قضيّة منتهية، أموات سافروا ومضوا بينما في صورة الإمام (عليه السلام) القضيّة لمّا تقع، وهنا يجلو سّر إبداع الإمام (عليه السلام) كيف أنّه يقلب الصّورة محافظاً على دلالتها، وقد رأينا فيما سبق تباين تصوير الدّنيا عند النبي (صلى الله عليه وآله)، وعند الإمام (عليه السلام)؛ إذ كانت صورة الدّنيا عند النبي (صلى الله عليه وآله) أوشكت على الانقضاء بينما في صورة الإمام (عليه السلام) انقضت وصار جديدها رثّاً وسمينها غثّاً.

هذا التناوب في التصوير يوحي بأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) كانا هدفهما منه التحذير والترغيب، فضلاً عن الأثر والتأثّر. كان (عليه السلام) إذا رأى النبي (صلى الله عليه وآله) حذّر عمد إلى الترغيب وإذا رأى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) رغّب، عمد إلى

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٣/ ٢٥٤.

التحذير؛ لأنّه (عليه السلام) هو الذي يقول: «**اَلْفَقِيهُ كُلُّ اَلْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ اَلنَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اَللهِ، وَ لَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اَللهِ، وَ لَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اَللهِ**»[١]، يزاد على ذلك أنّ هذا التناوب يكشف براعة الإمام (عليه السلام)، وتفنّنه بالكلام بعد تأثّره بسيّد الأنام محمد (صلى الله عليه وآله) ومثله قوله (عليه السلام): «**أَهْلُ اَلدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَ هُمْ نِيَامٌ**»[٢]، هذه الصّورة كسابقتها غير أنّه (عليه السلام) عدل في بادئ هذه الصّورة من الخطاب إلى الغيبة إذ المشبّه كان في الصورة السابقة مخاطَباً بـ (إنما أنتم كركب وقوف لا يدرون متى يؤمرون بالمسير) بينما في هذه الصورة كان المشبه (أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام)، وأرى أنّ هذا العدول كان لغاية، وهي لتعميم القاعدة أي كأنّه (عليه السلام) يقول: ليس أنتم كركب بل أهل الدنيا كلهم كركب يسار بهم، ويتبين الأثر النبوي هنا مضموناً إذ الهدف من هذه الصورة الموعظة والتحذير كما كان النبي (صلى الله عليه وآله) لاكتمال الصورة عند المتلقّي، فأهل الدنيا مشبّه والركب مشبّه به (ووجه الشبه قوله: يسار بهم وهم نيام)[٣]، وأرى أنّ فنيّة الصورة بلغت ذروتها ببنائه (عليه السلام) الفعل (يسار) على المجهوليّة إذ إنّه (عليه السلام) في هذا البناء كشف غفلة هؤلاء السامعين ممّا يشدّ من انتباههم أكثر، فلو أنّه (عليه السلام) قال: (أهل الدنيا كركب سائرون) ما كانت الصورة تعطي هذه الرّوعة في التصوير ولم تكنْ أيضاً تلائم معنى الموعظة والإرشاد فضلاً عن أنّ الحديث عن الموت تقتضي هذه المجهولية، فبنائيّة الفعل على المجهول تناسب المقام لتبقى صورة الموت مخيفة.

---

(١) نهج البلاغة، محمد عبده : ٤/ ٥١٩.
(٢) م. ن: ٤/ ٥١٤.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٥/ ٢٥٤.

ثانياً ـ الصورة القائمة على فنّ الاستعارة:

تعدّ الصورة القائمة على فنِّ الاستعارة سبيلاً من السُبل التي سلكها المُنشئ للوصول إلى غايته إبلاغاً وتأثيراً، إذ إنّ الاستعارة كالتشبيه، تعدّ ركناً من أركان التصوير الفنّي، وأداة المبدع التي يبتكر بها صوراً جديدة، ويأتي جمالها وتأثيرها في النفوس (من ناحية اللفظ أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحملك عمداً على تخيّل صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفيٍّ مستور)[1]، فتُكسب المعنى الفتنة، والجمال فضلًا عن القوّة، والوضوح، والجلاء، فتبرز الفكرة في لوحةٍ جميلةٍ يتّضح على صفحتها كلّ معالم الإبداع[2].

والمتأمّل في خطب النبي (صلى الله عليه وآله) يلمس هذا الجمال، والإبداع، والقوّة، والوضوح في الصّور التي أنشأها، ممّا أكسبها تأثيراً في النفوس، وعلوقاً في الأذهان فتردّد صداها في كلام الإمام علي (عليه السلام)، حتى غدا كلامه (عليه السلام) سفراً خالداً في التراث العربي.

إذن تحتلّ الصّورة الاستعاريّة في نهج البلاغة أكبر مساحة، وأرقى مكانة من بين التصاوير الفنيّة وفي معظمها كان الأثر النبوي حاضراً فيه بدءاً من اقتباسه (عليه السلام) الصورة كاملةً، ثم مروراً بصياغته حسبما يلائم موقفه، فضلاً عمّا فيها من سمات فنيّة، وملامح إبداعيّة كاشفاً لنا فيها مدى تأثّره (عليه السلام) بخطب النبي (صلى الله عليه وآله).

---

(١) مجموعة متون في علم البيان: ٣٤.

(٢) ظ. الاستعارة نشأتها وتطورها: ٩٣.

فمن خطبةٍ له (عليه السلام) يقول: «**فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ اَلدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَ تَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَ رَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَ تَحَلَّتْ بِالآْمَالِ، وَ تَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لاَ تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَ لاَ تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ**»[١]، في هذا المقطع الشريف تتراءى لي عدّة آثار للخطب النبويّة التي ظهرت بصماتها فيه، ولكنّي ـ بحكم الموضوع ـ أكتفي بأثر التصوير النبوي فيه، الصورة الأولى (فإنّي أحذّركم الدنيا فإنها حلوة خضرة)؛ إذ تعدّ هذه الصورة الاستعارية مقتبسة بالكامل من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التي قال فيها: «**ألا إن الدنيا خضرة حلوة**»[٢]، فالإمام (عليه السلام) في هذه الصورة التي اقتبسها من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول عنها ابن أبي الحديد في شرحه النهج، ولا سيما حينما يعلّق على لفظة (خضرة): (وهذه اللفظة من الألفاظ النبوية)[٣]، وأنا أعدُّ هذا أوّل أثر يخبرنا به الشارح ابن أبي الحديد(ت ٦٥٦ هـ)، فالإمام (عليه السلام) مثلما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (استعار لفظ الحلاوة والخضرة المتعلّقين بحسيّ الذوق والبصر لما يروق النفس منها ويلذ)[٤]، والإمام (عليه السلام) (إنما اختار من الألوان الخضرة لأنها أحسن الألوان بالنسبة إلى الباصرة كما أن الحلو أحسن الطعوم في الذائقة)[٥]، (ووجه المشابهة المشاركة في الالتذاذ به. وإنما خص متعلق هذين الحسّين لأكثرية تأديتهما إلى النفس والالتذاذ بواسطتهما دون سائر الحواس)[٦].

---

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ١٨٧.
(٢) إعجاز القرآن: ٩٣.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤/ ٢٢٨.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٣/ ٨٢ .
(٥) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ٩/ ١٧٣.
(٦) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٣/ ٨٢.

هـذا الاقتبـاس يوحـي بتأثّـر الإمـام (عليه السلام) بخطبـة النبـي (صلى الله عليه وآله)، وأنّـه (عليه السلام) دائـم السـير عـلى نهـج النبـي (صلى الله عليه وآله) والتشـبّه بـه.

هـذه الصّـورة التـي درسـناها تُوصلنـا بالصـورة الثانيـة بنسـيج متـين وهـي (حفّـت بالشـهوات، وتحبّبـت بالعاجلـة)، وهـذه بيـان لسـابقتها بعلاقـة وثيقـة إذ بتقديـر: مـا دامـت (الدنيـا حلـوة خـضرة) إذن لا شـكّ في أنّهـا (حفّـت بالشـهوات، وتحبّبـت بالعاجلـة)، ولعـلّ قصـد الإمـام (عليه السلام) مـن هـذه الصـورة (أنّ النـار إنـما تدخـل بالانهـماك في مشـتهيات الدنيـا ولذاتهـا والخـروج في اسـتعمالها عـما ينبغـي إلى مـا لا ينبغـي فكأنهـا لذلـك محفوفـة ومحاطـة بالشـهوات لا يدخـل إليهـا إلا منهـا)[1]، وأمّـا قولـه (عليه السلام): (تحبّبـت بالعاجلـة) بيـان للصّـورة السـابقة أيضـاً؛ إذ أنّـه (عليه السلام) شـبّه الدنيـا بالمـرأة المتحبّبـة بهالهـا وجمالهـا فاسـتعار لفـظ التحبّـب[2] ونسـج صـورة لطيفـة تجعـل المتلقّـي واقفـاً بـين قوّتـين: قـوة تحلّـق بـه في أجـواء الخيـال، وهـو يقـارن بـين المـرأة الدّنيـا، وقـوة تجذبـه إلى واقـع الدنيـا، وبذلـك يوظّفـه الإمـام (عليه السلام) إلى حقيقـة الدنيـا.

أمّـا الصّـورة الثالثـة (غـرّارة ضرّارة، حائلـة زائلـة، نافـذة بائـدة، أكّالـة غوّالـة) تكشـف لنـا تأثّـر الإمـام (عليه السلام) بصـورة النبـي (صلى الله عليه وآله) (ألا إنّ الدّنيـا حلـوة خـضرة) أكثـر؛ وذلـك مـن خـلال تعليـل الإمـام (عليه السلام) هـذه القضيّـة بهـذه الصـورة، إذ إنّ هـذه الصـور تضافـرت لبيـان حلاوتهـا وخضرتهـا الظاهرتـين، والإيحـاء بـما يختفـي وراءهما.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٣/ ٨٣.
(٢) ظ. م. ن: ٣/ ٨٣.

ويبدو لي من هذا التعليل العلوي شيئان:

الأوّل: توثيق ألأواصر القويّة التي تربطه بالنبي (ﷺ)، وشدّة تأثره (عليه السلام) به (ﷺ) من خلال هذه التعليلات الصّورية.

الثاني: بيانه (عليه السلام) أنّه أعلم النّاس بالرّسول (ﷺ)، وبكلامه، وارتباطه به، وهذا أثر أيضاً، يزاد على ذلك أنّ تعليله (عليه السلام) هذا كشف براعته وفنيّته إذ عمد إلى إضفاء صورة جديدة، فعندما تحدّث (عليه السلام) عن الدنيا (استعار لها أوصاف المحتالة الخدوع؛ وهي غرارة وغوّالة: أي كثيرة الاستغفال لأهلها والخداع لهم: ووصف السبع العقور لكونها أكّالة لهم)[1]، أمّا قوله (عليه السلام): (حائلة زائلة نافذة بائدة) فهي تعليل وإشارة أيضاً إلى خطبة أخرى للنبي (ﷺ)، والتي درستها في مبحث التشبيه كيف أنّه (ﷺ)، شبّه الدنيا باليوم الذي لم يبقَ منه إلّا كبقاء الشمس على سعف النخيل، وهو وقت قبيل الغروب فعبّر الإمام (عليه السلام) عن هذا المشهد بهذه الصّورة، إذ التعبير عن الدّنيا بأنّها زائلة أي فانية، وبائدة أي هالكة، وصفٌ توضيحيٌّ للصّورة النبويّة، أمّا صورة (أكّالة غوّالةُ) فهي تشديد للموعظة على سامعيه؛ لأنّها جاءت بصيغة المبالغة فضلاً عن أنّ الإمام (عليه السلام) في هذه الصّورة الاستعارية (شبه الدنيا بالحيوان الذي هو كثير الأكل)[2]، وكذلك غوّالة بناها الإمام (عليه السلام) على المبالغة وهي من الاغتيال إذ أضفى(عليه السلام) هذه الصفة للدنيا؛ لأنّ من شأنها أنّها تغتال أهلها من حيث لا يشعرون وتهلكهم من حيث لا يعلمون[3].

(١) م. ن: ٣/ ٨٣.
(٢) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ٩/ ١٨٠.
(٣) ظ. م. ن: ٩/ ١٨٠، ١٨١.

من الصور الاستعارية التي اقتبسها الإمام (عليه السلام) من خطب النبي (صلى الله عليه وآله)، وتلك في خطبةٍ له (عليه السلام) وفيها يبيّن صفات الحق جلّ جلاله وعظةٌ للنّاس بالتّقوى والعمل وذمّ الرّياء والكذب فيقول (عليه السلام): «**فَإِنَّ اَللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى... فَأَلْقَى إِلَيْكُمُ اَلْمَعْذِرَةَ، وَ اِتَّخَذَ عَلَيْكُمُ اَلْحُجَّةَ، وَ قَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَ أَنْذَرَكُمْ بَيْنَ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»[١]، فالصّورة (وأنذركم بين يديْ عذاب شديد) مقتبسة من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) والتي قال فيها (صلى الله عليه وآله): (**فإني نذيرٌ لكم بين يديْ عذاب شديد**)[٢]، فالاستعارة في لفظة (اليدين)؛ إذ (استعار لفظ اليدين للعذاب وكنّى ببين يديه عن الوقت المتقدم على عذاب الآخرة المشارف له. ووجه المشابهة أنّ الإنذار بالمخوف يكون من ذي سطوة بأس شديد فكأنه نزل العذاب الشديد بمنزلة المعذب فاستعار له يدين وجعل الإنذار والتخويف منه متقدماً له بين يديه وذلك من الجواذب اللطيفة)[٣].

في بعض الأحيان يلتقط الإمام (عليه السلام) صورة ما من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) ثم يبني على شاكلتها صورة أخرى مُبقياً ما يدلّ على أنّ الصورة مأخوذةٌ من الخطبة النبويّة الشريفة.

فالنبي (صلى الله عليه وآله) يقول في إحدى خطبه: «**والنساء حِبالة الشيطان**»[٤]، أو في رواية أخرى «**والنِّساءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ**»[٥]، وهذه الصّورة (من أحاسن

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٣٣، ١٣٤.
(٢) تاريخ الطبري: ٢/ ٣١٩.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٢/ ٢٩٢.
(٤) كتاب المغازي: ٣/ ١٠١٦.
(٥) نثر الدر: ١/ ١٢٦.

الاستعارات، وذلك أنه عليه الصلاة والسّلام جعل النساء من أقوى ما يصيد به الشيطان الرجال، فهن كالحبائل المبثوثةَ، والأشراك المنصوبة؛ لأنهن مظانّ الشهوات، ومقاود الخطيئات، وبهن يُسْتَحَفّ الركينُ، ويُسْتَخْون الأمين)[١]، ويبدو أنّ هذه الصورة النبويّة أثّرتْ بالإمام (عليه السلام) وظهرتْ بصماتها في قوله (عليه السلام): «**والبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ**»[٢]، فدقّة هذه الصّورة ونسيجها النظامي دلّتْ على أنّها من إرث خطب النبي (صلى الله عليه وآله)، ولاسيّما لفظة (حبالة) التي حفظتْ على هذا الأثر، وهي الإشعاعة التي تربط الصّورتين.

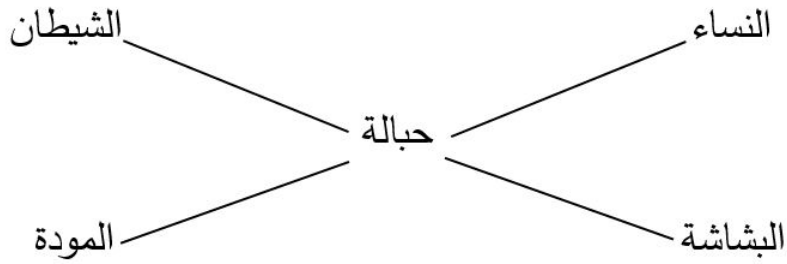

فإذا ما قابلنا الصّورتين نجد عدّة آثار لخطب النبي (صلى الله عليه وآله) في صورة الإمام (عليه السلام) لكنّ الذي يعنينا هو أثر الصورة، فالإمام (عليه السلام)، كما لحظ أنّ للشيطان حبالة وهي النّساء التي يستميل بها الرجال، رأى أنّ للبشاشة حبالة، إذ لا يمكن بعبوسة الوجه أن يُستمال الآخرون؛ فلذا عمد (عليه السلام) لبشاشة الوجه واستعار لها لفظ الحبالة وهي ما يقتنص الصياد بها صيده لكنّ اقتناصه يكون بالمحبّة والصداقة وبابتسامة وجه[٣].

(١) المجازات النبوية: ١٩٢.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥٠٣.
(٣) ظ. شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٥/ ٢٢٦.

ومن خلال تتبّعي لنهج البلاغة هذا السفْر الخالد وجدتُ الإمام (عليه السلام) استثمر هذه اللفظة (حبالة) لبناء أكثر من صورة، ولا استبعدُ من حسباني أنّ منشأ هذه الصّور هو خطب النبي (صلى الله عليه وآله)، فضلاً عن تأثّره هذا جعله يتوسّع في الكلام ويتفنّن من خلال إبداعه صوراً عديدة .

ومن هذه الصورة ما قاله (عليه السلام) في كتابٍ له إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري: «**إِلَيْكِ عَنِّي! يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَ أَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ**»[1]، فإذا ما وقفنا عند صورة (وأفلتّ من حبائلك) ففيها من روعة التصوير بمنتهى الدقّة، إذ أنّه (عليه السلام) جعل للدنيا حبائل يصتاد بها الإنسان كما جعل النبي (صلى الله عليه وآله) للشيطان حبائل، وأنّه (عليه السلام) (كنّى بهذا الوصف المستعار عن كونها تصيد قلوب الرجال بشهواتها الوهمية فهي لها كحبائل الصائد)[2].

وفي صورة أخرى للإمام (عليه السلام) يتبيّن أثر صورة النبي (صلى الله عليه وآله) (والنساء حبالة الشيطان) أو (والنساء حبائل الشيطان) أكثر، وأوضح، إذ يقول (عليه السلام) في مستهلّ إحدى خطبه (عليه السلام) محذّراً من الفتن: «**وَأَحْمَدُ اَللهَ وَ أَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ اَلشَّيْطَانِ وَ مَزَاجِرِهِ وَ اَلِاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَ مَخَاتِلِهِ**»[3]، فنراه (عليه السلام) يحمد الله ويستعين به على مداحر الشيطان ومزاجره، ويعتصم بالله من حبائله ومخاتله، ويقول ابن أبي الحديد عن هذه الحبائل: (وحبائل الشيطان مكائده وأشراكه التي يُضلَّ بها. ومخاتله: الأمور التي يُختِل بها، بالكسر: أي يخدع)[4]،

(١) نهج البلاغة، محمد عبده:٣/ ٤٥٠.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٥/ ١٠٨.
(٣) م. ن: ٢/ ٢٣٦.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/ ١٣٨.

وحبائل الشيطان ومخاتله هنا (هي الشهوات واللّذات الدنيوية، واستعار لها لفظ الحبائل وهي أشراك الصائد لمشابهتها إياها في استلزام الحصول فيهما للبعد عن السلامة والحصول في العذاب)[١]؛ ولذا حمد الله، وتمسّك واستعان واعتصم من حبائل الشيطان، ومخاتله؛ لأنّها موجبة للعذاب والبعد عن رحمة الله، فالصورة هذه ما هي إلّا امتداد للصّورة النبويّة الشّريفة، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ مناسبة خطبة الإمام (عليه السلام) هذه توثّق أكثر من قوّة أثر الصورة الفنيّة النبويّة في خطبةِ الإمام (عليه السلام)، فالخطبة جاءت في التحذير من الفتن، وكذلك صورة النبي (صلى الله عليه وآله) (والنساء حبالة الشيطان) توحي بذلك، بل إنّ جميع مقاطع الخطبة النبويّة التي ضمّت هذه الصورة توحي بالتحذير والموعظة، وهذا ممّا يشدّد من تقوية الأثر النبوي في كلام الإمام علي (عليه السلام).

في صورة أخرى نرى الإمام (عليه السلام) يسبغ عليها شيئاً آخر ممّا يشدّد من قوّة معناها وتلك في قوله (عليه السلام) من خطبةٍ له: «**وَ آخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَ لَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ، وَ أَضَالِيلَ مِنْ ضُلاَّلٍ، وَ نَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ**»[٢]، ففي هذه الصّورة تبدو فنيّة الإمام (عليه السلام) أكثر، إذ عمد إلى إضفاء للصّورة مسحة فنيّة جديدة من خلال لفظة (أشراك) ممّا زادت من قوّة الصورة ومعناها، فضلاً عن أنّ الإمام (عليه السلام) أبان نوعَ هذه الحبالة بأنّها غرّارة، فلفظة (الشِّراك) هي أيضاً حبائل الصائد ومفردها شركة[٣]، لكن مصاحبتها لفظة (حبائل) منحتْ الصّورة رصانة وروعة فضلاً عن أنّها

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٣/ ٢٠٨.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ١٣٦.
(٣) ظ. لسان عرب: مادة (شرك)

كشفت براعة صاحب النصّ.

جدير بالاعتبار من هذه الصّورة أنّ للإمام (عليه السلام) طاقات كامنة وجبّارة، وكان أكبر مسبّب لإخراج هذه الطاقات - كما أرى - هو النبي (صلى الله عليه وآله)، ولا سيّما أثر خطبه (صلى الله عليه وآله) في كلامه (عليه السلام).

ثمّة نكتة دقيقة في صورة (حبائل غرور)، إذ تفتح لنا هذه الصّورة مجالاً للسؤال وهو هل هناك حبائل لا تغرّ؟! حتى ذكر لنا الإمام (عليه السلام) هذا التعبير، فالجواب نعم، وهذا ما ستكشفه النّصوص الشريفة في نهج البلاغة، فكما أنّ هناك حبائل شيطانيّة غرّارة وخدّاعة حذّرنا الإمام (عليه السلام) منها، ثمّة حبائل إلهيّة يأمرنا الإمام (عليه السلام) بالتمسّك بها.

يقول (عليه السلام) في خطبةٍ له في بيان صفات المتّقين وصفات الفاسقين: «**عِبَادَ اَللهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اَللهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ اَللهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ اَلْحُزْنَ وَ تَجَلْبَبَ اَلْخَوْفَ... وَ اِسْتَمْسَكَ مِنَ اَلْعُرَى بِأَوْثَقِهَا وَ مِنَ اَلْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا**»[1]، فصورة (استمسك من العُرى بأوثقها ومن الحبال بأمتنها) خبر أُريد منه إنشاءٌ طلبيٌّ فكأنّه (عليه السلام) يأمرنا بالتمسّك بهذه الحبالة؛ لأنّه (عليه السلام) (أراد بأوثق العّرى وأمتن الحبال سبيل الله وأوامره)[2]، ومن المعلوم أنّ هذه الحبال تُوصل بالإنسان إلى الله سبحانه وتعالى وهي هنا صورة (استعارة ووجه المشابهة أنّ العروة كما تكون سبباً لنجاة من تمسك بها، وكذلك الحبل، وكان أجودها ما ثبت وتمتن ولم ينفصم كذلك طريق الله المؤدّي إليه

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ١٣٥

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٢/ ٣٠٤

يكـون لزومـه والتمسّـك بأوامـره سـبباً للنجـاة مـن أهـوال الآخـر وهـي عـروة لا انفصـام لهـا وأوامرهـا حبـال لا انقطـاع لهـا)[١]. ومثلـه قولـه (عليه السلام) في خطبـةٍ لـه يعـظ النـاس ويأمرهـم بالتقـوى: «**فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اَللهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُـهُ**»[٢]، فبهـذه الصّـورة الاسـتعاريّة يأمرنـا الإمـام (عليه السلام) التمسّـك بحبـل التقـوى عندمـا جعـل للتقـوى حبـلاً توصلنـا إلى الله عـزّ وجـلّ، فقـد تبـيّن بعـد دراسـة النّصـوص السـابقة أنّ الإمـام (عليه السلام) يقتبـس الصّـورة كاملـةً مـن خطبـة النبـي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومـرّة أخـرى يسـتثمرها لإنشـاء صـورة جديـدة، وثالثـة يسـبغ عليهـا مسـحات فنيّـة جديـدة، وأخـرى أنّـه (عليه السلام) يبـدع أشـياء جديـدة مـن الصّـورة المقتبسـة كـما رأينـا آنفـاً، فمـن براعـة الإمـام (عليه السلام) الفنيّـة أنّـه تـارة يعمـد إلى التقـاط صورتـين نبويّتـين ويوظّفهـما في خطبتـه، بحيـث كلّ صـورة مسـتمدّة مـن خطبـة أو مـن خطبـة وحديـث، وهنـا يتجـلّى مقـدرة الإمـام (عليه السلام) الفنيّـة بكيفيّـة جمعـه الصورتـين المتباينتـين في خطبـة واحـدة مـن دون إخـلال في الصـورة ودلالتهـا، ففـي خطبـةٍ لـه (عليه السلام) يـوصي بالتّقـوى ويحـذّر مـن الدنيـا فيقـول: «**فَـإِنَّ اَلْمَـوْتَ هَـادِمُ لَذَّاتِكُـمْ، وَ مُكَـدِّرُ شَـهَوَاتِكُمْ، وَ مُبَاعِـدُ طِيَّاتِكُـمْ، زَائِـرٌ غَـيْرُ مَحْبُوبٍ، وَ قِـرْنٌ غَـيْرُ مَغْلُـوبٍ، وَ وَاتِـرٌ غَـيْرُ مَطْلُـوبٍ. قَـدْ أَعْلَقَتْكُـمْ حَبَائِلُـهُ، وَ تَكَنَّفَتْكُـمْ غَوَائِلُـهُ، وَ أَقْصَدَتْكُـمْ مَعَابِلُـهُ**»[٣]، فالصّورتـان الاسـتعاريتان (فـإنّ المـوت هـادم لذّاتكـم) و(قـد أعلقتْكـم حبائلـه) كلّ واحـدةٍ منهـما سـاق بهـا الإمـام (عليه السلام) إحداهمـا مـن الأحاديـث، وثانيهـما مـن الخطـب، فـالأولى مأخـوذة مـن قـول النبـي (صلى الله عليه وآله وسلم):

(١) م. ن: ٢/ ٣٠٤

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ١٣٥

(٣) م. ن: ٢/ ٣٨٠.

«**أَكْثِرُوا مِن ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ**»[١]، ويقول السيّد الشريف (رحمه الله) في تعليقه على هذه الصّورة: (وهذه استعارة، والمراد أن اللّذات بالموت تتلاشى وتبطل وتَمَحَّق، وتَضْمَحِلُّ كما يَضْمَحِلُّ البناء بَهَدْمِهِ ويبطل بتعفية رسمه، والهدم في الأصل هو الإبطال للشيء، فإذا قالوا: هدم فلان البناء، فإنما يريدون أنه أزاله وأبطله)[٢]، وهذا المعنى الذي كان يقصده الإمام (عليه السلام) عندما اقتبسه أي عبّر بهادم اللذات عن الموت، وهكذا عندما يقف ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) شارحاً هذا المقطع فيقول: (وهو ظاهر، ونحوه قول الرسول (صلى الله عليه وآله): «أكثروا من ذكر هادم اللذات»)[٣]، أمّا الصّورة الثانية فقد بناها باستعارة (لفظ الحبائل للأوهاب والأمراض البدنية التي هي داعية الموت ومؤدية إليه كحبالة الصائد)[٤]، وهذه هي المقدرة الفنيّة والاستثمار الدّقيق، وذلك بجعله (عليه السلام) الحِبال مرّة للبشاشة، وأخرى للموت، وثالثة للدّنيا وهكذا.

ومن الصّور النبويّة التي تأثّر بها الإمام (عليه السلام)، واستثمرها لإنشاء صور جديدة لتناسب موقفه الفنّي قولِ النبي (صلى الله عليه وآله): (**بعثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْن**)[٥]، ومثلها كما ينقل السيّد الشريف (رحمه الله) في مجازاته (**بُعِثْتُ فِي نَفَسِ السَّاعَة**)[٦]، ولعلّ هذا من قبيل إذابة أكثر من صورة وإنشاء صورٍ أخرى منها وفي القول استعارة، إذ أنّه (صلى الله عليه وآله) (جَعل لِلسَّاعةِ نَفَساً كنَفَسِ الإنسان. وقال: بُعثت في وقت

(١) المجازات النبوية: ٣٦٦.
(٢) م. ن: ٣٦٦.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٤/ ٩٣.
(٤) م. ن: ٤/ ٩٣.
(٥) صحيح مسلم: ٣٣٥.
(٦) المجازات النبوية: ٢٨.

أُحِسُّ فيه بِنَفَسِها وقُرْبِها كما يُحِسُّ الإِنسان بِنَفَسِ الإِنسان إِذا قَرُبَ من شَخْصِهِ، وسَمِعَ مَجْرَى نَفَسِه)[١]، وهذه الصّورة لبستْ ثوب الاستعارة المكنيّة إذ كنّى بها(عليه وآله السلام) قرب قُدوم السّاعة وهي يوم القيامة، ولعلّ الإمام (عليه السلام) حفظ هذه الصّورة جيداً حتى ظهرت آثارها في كلامه، فمن خطبةٍ له (عليه السلام) يحثّ فيها على التقوى يقول: (**فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ اَلزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ**)[٢]، ففي الصّورة العلويّة تأثّرٌ دقيقُ المسلك بالصورة النبويّة: أوّلاً من جهة الاستعارة المكنيّة ثم جعْله (عليه السلام) السّاعة حادياً يحدو الإنسان كسائق الناقة يسوقها بالزجر، ويمكن أنْ نعدَّ آيات تأثّر الإمام (عليه السلام) هنا بالصورة النبويّة من خلال:

١- التقاطه لفظة (السّاعة) مريداً منها يوم القيامة، وتوظيفه في الصّورة الاستعارية.

٢- جعله السّاعة قريبةً، وذلك بجعله حادياً لها كسائق النوق الذي يكون بالقرب منها دائماً، كما جعل النبي (عليه وآله السلام) للسّاعة نَفَساً إشارةٌ لقربها.

وبناءً على ما سبق أنّ دلالة (السّاعة) في كلام الإمام (عليه السلام) قد يوحي باختلاف عن دلالة (السّاعة) في خطبة النبي (عليه وآله السلام)، فالسّاعة عند النبي (عليه وآله السلام) يوم القيامة، والسّاعة عند الإمام (عليه السلام) هي الموت بحكم السياق، وهذا من آيات الإبداع عند الإمام (عليه السلام).

ثمّة أكثر من صورة استعاريّة في نهج البلاغة التقت شكلاً و مضموناً بصورة النبي (عليه وآله السلام)، السابقة التي درستها، الأولى في خطبةٍ له (عليه السلام) يقول:

---

(١) م. ن: ٢٨، ٢٩.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٤٧.

«**فَإِنَّ اَلْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَ إِنَّ وَرَاءَكُمُ اَلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ. تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ**»[١]، فعندما يعلّق السيّد الشريف الرضي -رحمه الله- على هذه الصورة يقول: (إنَّ هذَا الكَلَامَ لَوْ وُزِنَ بَعْدَ كَلَامِ الله سُبْحَانَهُ، وَبَعْدَ كَلَامِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عليه آله بِكُلِّ كَلَامٍ لَمَالَ بِهِ رَاجِحَاً، وَبَرَّزَ عَلَيْهِ سَابِقَاً)[٢]، والصورة الثانية في قوله (عليه السلام) من خطبةٍ له: «**وَ إِنَّ اَلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ**»[٣]، ولعلّ الموقف استدعى الإمام (عليه السلام) إلى إعادة الكلام، وفي كلها كانت الصّور مولودة من رحم خطب النبي (صلى الله عليه وآله)، وثمّة صورة ثالثة وهي ما قالها (عليه السلام): «**فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ اَلزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ**»[٤].

ومن مظاهر تأثّر الإمام (عليه السلام) بخطب النبي (صلى الله عليه وآله) أنّك تجده (عليه السلام) أحياناً يصوّر تصويراً استعاريّاً إلاّ أنّ أصل الصّورة تشبيهٌ في خطبةِ النبي (صلى الله عليه وآله)، من تلك ما قالها (عليه السلام) في خطبةٍ له: «**وَ اَلدُّنْيَا كَاسِفَةُ اَلنُّورِ، ظَاهِرَةُ اَلْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اِصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَ إِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَ إِعْوَارٍ اِغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا**»[٥]، فهذه الصورة استعارة؛ إذ (رشّح تلك الاستعارة بذكر الكسوف، وعبّر به عن عدم ذلك النور منها ملاحظة، لشبهها بالشمس)[٦]، وهذه الصّورة الاستعاريّة مستوحاةٌ من تشبيه النبي (صلى الله عليه وآله) الدّنيا باليوم الذي لم يبقَ منها إلّا

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ٥٦.
(٢) م. ن: ١/ ٥٦.
(٣) م. ن: ٢/ ٢٦٩.
(٤) م. ن: ٢/ ٢٤٧.
(٥) م. ن: ١/ ١٣٩.
(٦) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٢/ ٣٢٢.

كما بقي الشمس على أطراف سعف النخيل في خطبته (ﷺ) التي قال فيها: «**إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا**»[١]، كما مرَّ بنا في مبحث التشبيه.

إذن أصل الصّورة الاستعاريّة للإمام (عليه السلام) هو تشبيه عند النبي (ﷺ) إلّا أنّ الإمام (عليه السلام) التقطها وصوّر لنا هذا المشهد بالصورة الاستعارية ليكشف لنا شيئين:

الأوّل: أنّه (عليه السلام) سار على منوال النبي (ﷺ) وأنّه على إرث من تراثه.

الثاني: أبان براعته، وتفنّنه بالكلام إذ قلب التشبيه إلى الاستعارة محافظاً على دلالته.

والجدير بالذّكر أنّ الإمام (عليه السلام) جاء يصوّر مشهداً وفيها إشارة إلى صورة النبي (ﷺ)، فصورة (على حين اصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها، واغورار من مائها)، إشارة إلى خطبةِ النبي (ﷺ)، فـ(لفظ الاصفرار لتغير تلك الزينة)[٢] أي زينة الدّنيا واستعارته (عليه السلام) لفظ الثمرة للدّنيا لمتاعها، وعنى بالأياس من ثمرها انقطاع آمال العرب[٣]، وهذا المعنى يذكّرنا، ويأخذنا إلى صورة النبي (ﷺ) كيف أنّه (ﷺ) شبّه الدّنيا ببقايا الشّمس قبيل الغروب.

ويجدر بنا أنْ نذكر أنّه (عليه السلام) ذكر في هذه الخطبة ما يجعلنا نجزم أنّه تأثر بخطبة النبي (ﷺ)؛ وذلك عندما قال (عليه السلام) في الخطبة نفسها: «**وَ اَللهِ مَا**

(١) إعجاز القرآن: ٩٤.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٢/ ٣٢٢.
(٣) ظ. م. ن: ٢/ ٣٢٣.

أَسْمَعَكُمُ اَلرَّسُولُ شَيْئاً، إِلاَّ وَ هَا أَنَا ذَا اَلْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ»[1]، ويزاد على جملة الأدلّة التي استدللت بها على تأثّر الإمام (عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ مناسبة خطبة الإمام (عليه السلام) جاءت في الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبلاغ الإمام عنه، وهذا ما نقلها لنا جامع النهج السيد الشريف - رحمه الله - .

ثالثاً ـ الصّورة القائمة على فنّ الكِناية:

تعدّ الصّورة الكنائيّة كسابقتيها، سبيلاً آخر من السُبل التي يستعين بها المبدع في تعبيره عن أفكاره، وإيصالها إلى متلقّيه، وإحداث التأثير المطلوب فيهم، إذ إنّ الكناية أبلغ وأوقع في النفس من الإفصاح، ممّا جعلها ركيزة من ركائز التصوير الفني في النصّ؛ لأنّها تكوّن صورة مجازيّة، يتوسّع من خلالها المعنى، والدّلالة كما رأينا في صورتي التشبيه والاستعارة.

تعدّ الصّورة الكنائيّة في خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونهج البلاغة من الصور المهمّة في النصّ الخطابي، ولكنّ اللّافت للنّظر أنّه من خلال تتبّعي الخطب النبوية الشريفة، ودراستي نهج البلاغة ألفيتُ استعمال الصورة الكنائيّة أقلّ من الصورة الاستعاريّة والتشبيهيّة، ويبدو لي هذا ظهور أوّل أثر لخطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في نهج البلاغة بحيث رأى الإمام (عليه السلام) نزر استعمال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الكناية، واللجوء إليها فآثر (عليه السلام) أنْ يقتصَّ أثر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الأمر، ولكن يحسب الباحث أنّ اقتفاء الإمام (عليه السلام) أثر الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الشأن لم يكنْ مجرّد تقليد أو هوى من النفس؛ بل في القضيّة استدلال عقليّ، فالذي جعل الإمام (عليه السلام) ينحو نحو الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الشأن هو أنّ الصّورة

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٤٠.

الكنائيّة تستدعي جُملة من الاستدلالات للوصول إلى المعنى، بينما الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وظيفته إبلاغ الرّسالة السماويّة للأمّة؛ فلذا آثر (صلى الله عليه وآله) أن يبلّغ للمتلقّي من أقصر طريق لا من خلال جُملة من القرائن والاستدلالات كما هي الحال في الصّورة الكنائيّة، فلعلّ هذا ما جعل النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) يقلّلان من استعمالها.

وهذا لا يعني سلْخ الصّورة الكنائيّة من ثوبها المجازي والجمالي، فهي تؤدي دوراً فنيّاً في غاية الرّوعة والجمال في الخطب النبويّة، وعلى إثْرها سار الإمام (عليه السلام) ليكشف لنا مدى تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله)، فضلاً عن إبداعاته الفنيّة.

وردت في نهج البلاغة صورٌ فنيّة جاءت بالصّورة الكنائيّة ممتدّة الجذور إلى الخطب النبويّة، فمن هذه الصّور قوله (عليه السلام) من خطبةٍ له وفيها يعظُ الناس بالتقوى: «**فَاللهَ اَللهَ -عِبَادَ اَللهِ- فَإِنَّ اَلدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ، وَ أَنْتُمْ وَ اَلسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ، وَ كَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَ أَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَ وَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا، وَ كَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلاَزِلِهَا، وَ أَنَاخَتْ بِكَلاَكِلِهَا**»[1]، فالصّورة الكنائيّة المحوريّة التي تدور حولها الصور وتساند في تعميق معناها هي (وأنتم والسّاعة في قرن)، فالسّاعة هنا هي القيامة، وأراد الإمام (عليه السلام) أنْ يعظ سامعيه ويحذّرهم فأتى بهذه الصورة التي هي (كناية عن قربها القريب منهم حتى كأنهم معها في قرن واحد)[2]، وإذا ما تتبّعنا جذر هذه الصّورة نجده ممتدّاً إلى خطب النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ الإمام (عليه السلام) استمدّها من خطبة النبي

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٣٠٨.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٤/ ١٨٩.

(صلى الله عليه وآله) التي جاءت في التحذير عن البِدع، والتي قال فيها(صلى الله عليه وآله): «**بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»[١]، فالمقصود من (هاتين) هو كما يقول راوي الخطبة الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري (صلى الله عليه وآله) في صفة النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته الشريفة كان: (يَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى)[٢]، فالصّورة بمنتهى الدقّة والحيويّة، وهي أدقّ من صورة الإمام (عليه السلام)؛ لأنّ التصوير كان حيّاً وحاضراً أمام السامعين، ويبدو أنّ دقّة الصّورة تكمن في قرب الإصبعين السّبّابة والوسطى بحيث يُلفت النظر إلى نسبة قرب السّاعة والتي هي القيامة من النّاس بهذا القدر الذي هو بين الإصبعين اللّتين قُرنتا! وهذا التصوير بالإشارة (نوع كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يستخدمه، لأنه يشدّ السامعين إلى المتكلِّم، ويقرّب للأذهان البعيد، ويمثل المعنى المجرد بصورة حسيّة، فالرسول الكريم بعث هو والساعة متلازمين متجاورين كما تلازم السبابة الوسطى وكما تجاورها)[٣].

فلا شكّ في أنّه (صلى الله عليه وآله) بهذه الصّورة (يقرر أنّ بعثته مقاربة لقيام الساعة)[٤]. يتراءى من هذه الصّورة أنّ دقّة استعمال الصّورة الكنائيّة النبويّة بهذه الإشارة هي التي أثّرتْ في نفسيّة الإمام (عليه السلام) وجعلتْه يحاكي الصّورة النبويّة بدليل أنّك تراه (عليه السلام) يُلحّ على مدى اقتراب السّاعة من النّاس بدءاً من صورته هذه، ثمّ متفرّعاً بصور عديدة وكلها تساند هذه الصورة، فضلاً عن تأكيده

(١) صحيح مسلم: ٣٣٥.
(٢) م. ن: ٣٣٥.
(٣) التصوير الفني في الحديث النبوي: ١١٢ .
(٤) م. ن: ٥٢٦.

عليها في خطبٍ أخر له (عليه السلام)، ففي هذه الخطبة تجد الصورة التشبيهيّة (وكأنّها قد جاءت بأشراطها، وأزفت بأفراطها، ووقفت بكم على صراطها، وكأنّها قد أشرفت بزلازلها، وأناخت بكلاكلها)، فهذه الصّور كلها تثبيت معنى الصّورة التي استمدّها (عليه السلام) من النبي (صلى الله عليه وآله)، فضلاً عن تشديده بالقضيّة من خلال سوقه أفعال الماضي لتدُلّ أنّها جاءت وليس على قيد المجيء، بل إنّه (عليه السلام) (أكد ذلك التشبيه بقد المفيدة لتحقيق المجيء)[1]، فلصورة النبي (صلى الله عليه وآله) الكنائيّة أثرٌ في الصّورة الكنائيّة للإمام علي (عليه السلام) من جهة تشابه الظروف في كثيرٍ من الأحيان، وتشابه الهدف والمضمون، فضلاً عن أثرٍ آخر هو احتفاظه (عليه السلام) ببعض كلمات النبي (صلى الله عليه وآله) مثل (السّاعة)، لتدلّ على تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله).

ثمّة صور كنائية أخرى للنبي (صلى الله عليه وآله) استفاد منها الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة؛ بل إنّه (عليه السلام) يعمد أحياناً إلى مزجِ أكثر من صورة للنبي (صلى الله عليه وآله) مولّداً منها صوراً كنائيّةً أو تشبيهيّةً أو استعاريّةً حسب ملاءمة موقفه الفنّي وظروفه.

من هذه الصّور النبويّة ما قاله (صلى الله عليه وآله) في خطبةٍ له بعد حمْدٍ وثناءٍ على الله عزّ وجلّ ذاكراً (صلى الله عليه وآله) علّة بعثته الشريفة، فيقول (صلى الله عليه وآله): «**وأشهد أن لا إله إلّا الله وحدَه لا شريك له، وأنّ محمَّداً عبدُه ورسوله؛ أرسله بالهُدى والنور والموعظة،على فَتْرَة من الرسل وقلَّةٍ من العلم، وضلالةٍ من النَّاس، وانقطاع من الزمان، ودُنُوٍّ من الساعة،وقُرْب من الأجل**»[2]، فصورة (دنوٌّ من الساعة وقرب من الأجل) كنايةٌ عن اقتراب يوم القيامة وما يسبقها من موت حتمي.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٤/ ١٨٩.
(٢) تاريخ الطبري: ٢/ ٣٩٤، ٣٩٥.

وفي نهج البلاغة تجد الإمام (عليه السلام) يستثمر هذه الصورة بانياً منها صوراً أخرى، إذ يقول (عليه السلام): «**وَ إِنَّ غَداً مِنَ اَلْيَوْمِ قَرِيبٌ يَذْهَبُ اَلْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ اَلْغَدُ لاَحِقاً بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ اِمْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ اَلْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَ مَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَ مَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَ مَفْرَدِ غُرْبَةٍ! وَ كَأَنَّ اَلصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَاَلسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ اَلْقَضَاءِ**»[1].

فالصّورة (وإنّ غداً من اليوم قريب) مستمدّة من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولاسيما من صورة (دنوَّ من الساعة وقرب من الأجل)، والصورة العلوية يبدو لي فيها احتمالان:

الأوّل: قصدَ بها الإمام (عليه السلام) يومَ القيامة، وفي هذه الحالة أقول إنّ الإمام (عليه السلام) تأثّر بالصّورة النبويّة معنىً ودلالة.

الثاني: ما ذهب إليه ابن ميثم البحراني أنّ الإمام (عليه السلام) بهذا التعبير(كنى به عن وقت الموت)[2]، وبهذه الحالة يمكن القول: إنّ الإمام (عليه السلام) استثمر صورة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بدلالةٍ أخرى وفي كلتا الحالين يكشف لنا (عليه السلام) تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم بعد ذلك أصبحت هذه الصّورة العلويّة المستمدّة من الصّورة النبويّة تستخرج كلَّ إمكانات الإمام (عليه السلام) وطاقاته في هذه الخطبة، إذ صارت شرارةً لتفصيل أكثر للإمام (عليه السلام)، إذ إنّه (عليه السلام) بدأ بعدها يبالغ في التحذير والموعظة بصور رهيبة بنزول كلٍّ بمنزل وحدته ومحطّ حفرته.

---

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٤٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٣/ ٢٥٥.

و(كنى به عن القبر، ووصفه بالأوصاف الموحشة المنفرة المستلزمة للعمل لحلوله ولما بعده)[١]، ثم تبدأ الصورة بالصّعود الفنّي، فضلًا عن الصّعود التحذيري حتى تصل ذروتها في صورة (وكأنّ الصّيحة قد أتتكم والساعة قد غشيتكم)، وفيها إشارة للصورة النبوية (ودنوّ من السّاعة) إلّا أنّ الإمام (عليه السلام) قد شدّد أكثر بإتيانه (قد) التحقيق، فضلاً عن إتيانه (عليه السلام) بتركيبة (غشيتْكم) قد شدّدتْ أكثر فأكثر، إذ يكون معنى الصورة: الساعة قد غطّتكم، وأنّ لِلفظة الغشاء فيها من دقّة التصوير يوحي بها الإمام (عليه السلام) إلى قرب الساعة؛ لأنّ ما ورد في اللسان أنّ الغشاوة تكون في القلب وهي الجلدة الملبسة[٢]، والمعلوم أنّه لا تُرى جلدة على القلب بمعنى أنهّا ملاصقة إلى حدٍّ لا تُرى، أي أنّها قريبةٌ جدّاً منه، وعلى هذا الأساس استثمر الإمام (عليه السلام) هذا المعنى ليدلّ بها على اقتراب الساعة، ليُوقع في النفوس تأثيراً شديداً.

ومن الصّور الكنائيّة للنبي (صلى الله عليه وآله) التي تأثّر بها الإمام (عليه السلام) هي قوله (صلى الله عليه وآله) في خطبةٍ له جاءت في فضل الجهاد: «**واعْلَمُوا أنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوف**»[٣]، وهذه الصّورة قد أوردها صاحب اللّسان وعلّق عليها قائلًا: (كناية عن الدُّنو من الضراب في الجهاد في سبيل الله حتى يعلوه السيف ويصير ظله عليه)[٤].

(١) م. ن: ٣/ ٢٥٥.
(٢) ظ. لسان العرب: مادة (غشا).
(٣) صحيح البخاري: ٥٤٤.
(٤) لسان العرب: مادة (ظلل).

يبدو أنّ الإمام (عليه السلام) قد استثمر هذه الصورة استثماراً جيّداً إلى أنْ قال (عليه السلام) لأصحابه في كلامٍ له في ساحةِ الحرب: «**الجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي**»[١]، والعوالي يقصد بها الإمام (عليه السلام) الرِّماح وهي جمع عالية[٢]، فهذه الصورة مأخوذة من الصورة النبويّة لاعتبارات منها:

اتّفاق المناسبتين بين خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكلام الإمام (عليه السلام) أي أنّ خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاءت في فضل الجهاد، وكذلك كلام الإمام (عليه السلام) جاء في ساحة الحرب، وهذا يعني أنّه (عليه السلام) كان يحضُّ سامعيه على القتال في سبيل الله.

٢- إيراده (عليه السلام) صورةً على شاكلة صورة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومحاكاته (عليه السلام) الصّورة النبويّة حتى من ناحية التركيب الجملي أي أنّه (عليه السلام) بدأ بالجملة الاسمية كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وترتيبه النحوي فضلاً عن احتفاظه (عليه السلام) ببعض كلمات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كـ (الجنة) و(تحت) ليدلّ بها على تأثّره بصورة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(صورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم)	الجنة	تحت	ظلال	السيوف
(صورة الإمام عليه السلام)	الجنة	تحت	أطراف	العوالي

يبدو أنّ الإمام (عليه السلام) استفاد كثيراً من الصورة النبويّة هذه بحيث بنى الإمام (عليه السلام) صوراً أخرى بدلالة مغايرة، في قوله (عليه السلام): «**أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ**»[٣]، ففي هذه الصّورة كنى (عليه السلام) بـ (أبلغ التعبير في الحذر

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٨٠.
(٢) ظ. شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٣/ ١١٦.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥٤٦.

من الانقياد للمطامع مهما كانت برّاقة شواقة)[1]، فكما يظهر لا ارتباط لهذه الصّورة بالصّورة النبويّة(الجنة تحت ظلال السيوف) دلاليّاً، لكنْ ثمّة شيء آخر جعل الإمام (عليه السلام) يستفيد منه لبناءِ هذه الصّورة، وهو الصّياغة الواردة في صورة النبي (صلى الله عليه وآله) بدليلِ أنّه (عليه السلام) أبقى أشياء عدّة في الصورة تومئ إلى الصورة النبويّة منها بعض المفردات كـ (تحت)، واسميّة الجملة، وترتيبها، وحتى عدد مفردات الصورتين كادت أن تكون متساوية.

(صورة النبي صلى الله عليه وآله) الجنة تحت ظلال السيوف

(صورة الإمام عليه السلام) مصارع العقول تحت بروق المطامع

وثمّة أمرٌ آخر في صورة الإمام (عليه السلام)، وهو تركيزه (عليه السلام) على العِلّة والسببيّة في الصورة كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله)، فكما أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) علّل دخول الجنّة تحت ظلال السيوف علّل الإمام (عليه السلام) مصارع عقول الناس تحت بروق المطامع.

هذا وفضلاً عن أنّ شدّة تأثّر الإمام (عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله) يبدو بإتيانه (عليه السلام) كلمة (بروق) لتقابل بها (ظلال) الموجودة في صورة النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ أنّ كلاً من (بروق) و(ظلال) محسوستان بحاسّة واحدة وهي (البصر) فحسب، وهذا دليل على تأثّره (عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله) وإنْ كانت دلالة كلّ صورة توحي بشيء آخر، بمعنى أنّ دلالةَ صورة النبي (صلى الله عليه وآله) تدور حول الجهاد، ودلالة صورة الإمام (عليه السلام) تدور حول قضيّة أخلاقيّة وهي الطمع.

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٢/ ٣٣٧.

ومن الصّور الكنائيّة النبويّة التي تأثّر بها الإمام (عليه السلام) قوله (صلى الله عليه وآله) في خطبةٍ له في فضل الجهاد: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ**)[1]، فصورة (لقاء العدو) كنايّة عن الحرب، وكذلك الإمام (عليه السلام) تجده في نهج البلاغة يقول في أكثر من موضع مكنيّاً عن الحرب باللِّقاء.

فمن كلام له (عليه السلام) يقول لأصحابه في ساحة الحرب: (**وَ أَيُّ اِمْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اَللِّقَاءِ**)[2] فأراد(عليه السلام) عن (اللقاء) الحرب، والذي يستدلّ به على تأثّر الإمام (عليه السلام) بالصورة النبويّة من خلال:

١- تشابه مناسبتي خطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، وكلام الإمام (عليه السلام).

٢- إيراده (عليه السلام) الصورة الكنائيّة مشابهة بصورة النبي (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن أنّه صورة الإمام (عليه السلام) تكاد تتّفق مع صورة النبي (صلى الله عليه وآله) شكلاً ومضموناً.

ولفظة (اللقاء) كما هي الماثل للعيان أنّها حقيقيّة، لكن استعمال النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) لها هنا جاء على غير ما هو عليه وأنّهما صلوات الله عليهما أخفيا شيئاً تحت ثوب هذه اللفظة، وتجدر الإشارة إلى أنّ أيّ لفظٍ (إذا انحرف به الاستعمال في مجال آخر، فأثار في الذهن غرابة أو طرفة قيل حينئذٍ إنه من المجاز)[3].

ومثله قوله (عليه السلام) في كلام له يحضُّ النّاس على الجهاد: «**وَ اَللهِ لَوْ لاَ رَجَائِي اَلشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي اَلْعَدُوَّ -وَ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ- لَقَرَّبْتُ رِكَابِي ثُمَّ شَخَصْتُ**

(١) صحيح مسلم: ٧٢٣.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٠٧ .
(٣) دلالة الألفاظ: ١٣٠.

عَنْكُمْ فَلاَ أَطْلُبُكُمْ مَا اِخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَ شَمَالٌ»[١]، فصورة (لقائي العدو) صورة كنائيّة يراد منها، كما يقرّر السياق، تصوير مشهد الحرب، وما يقع فيه عند اللقاء.

ومن الصّور الكنائيّة للإمام (عليه السلام) التي أجد فيها نَفَساً نبويّاً هي ما قاله (عليه السلام) في كتابٍ له إلى معاوية: «**وَ كَانَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه إِذَا اِحْمَرَّ اَلْبَأْسُ، وَ أَحْجَمَ اَلنَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ، فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ اَلسُّيُوفِ وَ اَلْأَسِنَّةِ**»[٢]، فصورة (احمرّ البأس) صورة كنائيّة عكس ملامح لوحةِ الحرب عند (اشتداد القتال، والوصف لما يسيل فيه من الدماء)[٣]، إذ إنّ في هذه الصورة بصمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

في خطبةٍ للرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خطب يوم بدر قال فيها (صلى الله عليه وآله وسلم): «**وإن الصبرَ في مواطن البأس ممّا يفرّج الله به الهمَّ، ويُنجي به من الغَمَّ**»[٤]، تجد صورة (مواطن البأس) صورة كنائيّة أُريد بها رسم مشاهد الحرب وما يقع فيها ممّا يتوجب الصبر والثبات.

وفي موضعٍ آخر يقول (عليه السلام): «**كُنَّا إِذَا اِحْمَرَّ اَلْبَأْسُ اِتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اَللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى اَلْعَدُوِّ مِنْهُ**»[٥]، فصورة (احمرّ البأس) مستمّدة من الصّورة النبويّة التي خطب بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بيوم حُنين

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢ / ٢٠٠.
(٢) م. ن: ٣/ ٣٩٧.
(٣) م. ن: ٣/ ٣٩٧ (الهامش).
(٤) كتاب المغازي: ١/ ٥٩.
(٥) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥٥٧.

في حرب هوازن (**الآن حمي الوطيس**)[١]، ولعلّ السيّد الشريف -رحمه الله- أحسّ في قول الإمام (عليه السلام) أثر صورة النبي (صلى الله عليه وآله) هذه ممّا دفعه إلى أنْ يقول في شرح صورة الإمام (عليه السلام): (كِنَايَةٌ عَنِ اشْتِدَادِ الأَمْرِ. وَقَدْ قِيلَ فِي ذلِكَ أَقْوَالٌ أَحْسَنُهَا: أَنَّهُ شَبَّه حَمْيَ الْحَرْبِ بِالنَّارِ الَّتِي تَجْمَعُ الحَرَارَةَ وَالْحُمْرَةَ بِفِعْلِهَا وَلَوْنِهَا، وَمِمَّا يُقَوِّي ذلِكَ قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَآلِه مُجْتَلَدَ النَّاسِ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَهِيَ حَرْبُ هَوَازِنَ: ((حمي الوطيس)))[٢]، فبهذه الصّورة الكنائيّة شبّه النبي (صلى الله عليه وآله) ما استحرّ من قتال القوم باحتدام النار[٣]، ويُذكر أنّه (أول من قال: ((الآن حمي الوطيس)) النبي (صلى الله عليه وآله) يريد الحرب)[٤].

وقد صاغ الإمام (عليه السلام) من هذه الصّورة صوراً عديدةً، ومشابهةً لها منها ما قاله في ذمّ أصحابه، ووصف أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**وَ اَللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ اَلْوَغَى وَ حَمِيَ اَلضِّرَابُ قَدِ اِنْفَرَجْتُمْ عَنِ اِبْنِ أَبِي طَالِبٍ اِنْفِرَاجَ اَلْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا**»[٥]، فـ (حمس الوغى) و(حمي الضراب) صورتان كنائيّتان صوّرتا اشتداد الحرب، وهاتان الصّورتان ما هما إلّا امتداد للصورة النبويّة التي نقلها لنا الشريف الرضي في نهج البلاغة.

ومثله في كتابٍ له (عليه السلام) إلى أهل الأمصار يقصُّ فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين قائلاً: «**حَتَّى جَنَحَتِ اَلْحَرْبُ، وَ رَكَدَتْ، وَ وَقَدَتْ نِيرَانُهَا، وَ**

(١) مسند أحمد: ٣/ ٢٩٨.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥٥٧.
(٣) ظ. م. ن: ٤/ ٥٥٧.
(٤) أمالي ابن الشجري: ٤/ ٢١٥، ٢١٦.
(٥) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١٦٥.

حَمِسَتْ»[١]، فصورة (وقدت نيرانها وحمستْ) صورة كنائيّة أخرى أُريد بها اطّلاع المتلقّي على نشوب الحرب واشتدادها ممّا يجعله يتأثّر بها، وينفعل لأحداثها، ممّا يجعله يتّخذ موقفاً منها، ورأياً فيها.

من مظاهر التأثّر أيضاً أنّ الإمام (عليه السلام) يعمد أحياناً إلى قلب الصّورة النبويّة من صورة تشبيهيّة إلى صورة كنائيّة فيجعل المتلقّي، لما فيها من عمق الخيال، منفعلاً ومتأثراً فيها.

من ذلك قوله (عليه السلام): «**مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ**»[٢]، ففي هذه الصّورة كنّى (عليه السلام)عن الموت ورحلة البرزخ بالسفر، وهي مستقاة من الخطبة النبويّة الشريفة التي عندما صوّر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأموات بصورة السفر في خطبة له (صلى الله عليه وآله وسلم) قال فيها: «**كأن الذي يشيّعون من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون**»[٣]، فكما تبدو الصّورتان في قمّة أدائهما الفنّي، إذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوعظ ويحذّر سامعيه بصورة تشبيهيّة بأنّ الأموات سلكوا سبيلاً لا رجوع فيها، وهذا السبيل هو السفر الأخروي، بينما الإمام (عليه السلام) يعبّر عن هذا المشهد بصورة كنائيّة لبست ثوب الحقيقة، فالكلام كما يبدو أوّل وهلة ليس فيه فنيّة ومجاز، إذ كلّ من يتذكّر بُعد السفر والطريق البعيد يستعد ويعدَّ عُدَّة السفر، ثم بتدقيق النظر، واستجلائه ينكشف هذا السحر الفنّي من كبد الحقيقة، فالعقل يسأل ما هو هذا السفر البعيد؟ وكم هو بعيد؟ وكيف نستعدّ؟ وماذا نعُدُّ؟ فأجوبة هذه السؤالات مختبئة كلها في رداء كلام الإمام (عليه السلام) هنا.

(١) م. ن : ٣/ ٤٨١.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤ / ٥٦٣.
(٣) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٤٢٧.

وفي مثل هذا المعنى يقول (عليه السلام) في موضعٍ آخر: «**تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اَللهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ**»[١]، ففي هذا المقطع من كلامه (عليه السلام) يرسم صورةً مَنْ وقفوا منتظرين ليُنادى فيهم بالرّحيل مستفيداً من دلالةِ الفعل (تجهّزوا)، لوعظهم وتحذيرهم وحثّهم على تجهيز عُدّة الرحلة التي تؤدّي فيهم وهي (الموت)، والعُدَّة كما هي تبدو (بالعمل الصالح والتقوى)[٢]، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾[٣].

ومن الصّور الكنائية للإمام (عليه السلام) والتي استقاها من خطب النبي (صلى الله عليه وآله) قوله (عليه السلام) في خطبةٍ له لمن رماه بأنّه حريصٌ بالمُلك: «**وَ قَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَى هَذَا اَلْأَمْرِ يَا اِبْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ، فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَ اَللهِ لَأَحْرَصُ وَ أَبْعَدُ، وَ أَنَا أَخَصُّ وَ أَقْرَبُ، وَ إِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي، وَ أَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ، وَ تَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ**»[٤]، فصورة (وأنتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه) صورة كنائيّة صوّرت (منعهم منه ودفعهم له عنه)[٥]، ويريد بها (عليه السلام) الخلافة التي منعوها عنه ودفعوها عنه وهو أحقُّ بها، فالصّورة (تضربون وجهه دونه) التقطها (عليه السلام) من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، والتي جاءت في دعاءٍ له على أهل الأحزاب قائلاً (صلى الله عليه وآله): «**اللهمَّ اضربْ وجوههَم وأَكل سِلَاحَهُمْ**»[٦]، فهذه صورة كنائية التقت مع صورة الإمام (عليه السلام) لالتقاء المناسبتين، إذ النبي

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٣٤٧.
(٢) منهاج البراعة في شرح البلاغة: ٢٢ / ٧٨.
(٣) سورة البقرة: آية ١٩٧.
(٤) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٧٣.
(٥) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠/ ١١٣.
(٦) نثر الدر: ١/ ١٨٠، المستطرف في كل فن مستظرف: ٥٤٧.

(ﷺ) يدعو على أعدائه والإمام (عليه السلام) يشتكي من ظُلامةٍ ويستعين بالله على ظالميه كما ورد في الخطبة، فمّما لا شكّ فيه أنْ يكون الأثر حاصلاً.

ومن الصّور الكنائيّة الأخرى للإمام (عليه السلام)، والتي تابع فيها النبي (ﷺ) دلاليّاً، وتلك في قوله (عليه السلام) في ذمّ أصحابه: «**وَ أَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ اَلْجُهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ، وَمُؤَدِّبُهُمُ اِبْنُ اَلنَّابِغَةِ**»[1]، يريد (عليه السلام) بابن النابغة (عمرو بن العاص وطوى عن ذكر اسمه تحقيراً وتعريضاً على خسته ودناءته، وقدحاً في نسبه)[2]، والمراد من هذا التحقير، والقدح في نسب عمرو هو إرشاد الأمّة الضالّة الذين يتّبعون عمرو بن العاص ومعاوية، وإلّا ليس من أخلاق أمير المؤمنين (عليه السلام) الشتم والسبّ؛ بل أراد بيان حالهم أي مثل هؤلاء لا يصلحون أنْ يكونوا قادة الأمّة الإسلامية، وقد استعان (عليه السلام) بهذه الصورة الكنائيّة لأداء وظيفتين: دلالية، وتأثيريّة ممّا جعلها تستقرّ في الأذهان، ويمتدّ تأثيرها إلى أعماق النفوس، هذا فضلاً عن تعريف نفسه (عليه السلام) بضدّه، وقد ورد مثل هذا الاستعمال في القرآن الكريم عندما وصفوا النبي (ﷺ) بالأبتر فردّ عليهم عزّ وجلّ في القرآن الكريم قائلاً: ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ﴾[3].

وهنا يظهر أنّ أخلاق علي بن أبي طالب (عليه السلام) هي مزيج من أخلاق القرآن الكريم، وأخلاق النبي (ﷺ) هذا من جانب، ومن جانب آخر أنّه (عليه السلام) احتذى حذو الرّسول (ﷺ) في استعماله هذه الصّورة وهذا الأسلوب، إذ إنّه (عليه السلام) رأى الرّسول (ﷺ) يستعمل هذه الصورة بهذه الدلالة فلم يَخفْ

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٨٦.
(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٢٤٣.
(٣) سورة الكوثر: آية ٣.

عندئذٍ من لومة لائم؛ لذا عمد (عليه السلام) فاستعمل هو أيضاً.

ففي خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) التي ذكر فيها فيما أصاب قوم صالح من عذاب فقال (صلى الله عليه وآله): «**ثم جَاءَتْهم الصَّيْحَةُ، فأَهْلَكَ اللهُ من كَانَ منهم بينَ السَّماءِ والأَرْضِ إلا رَجُلاً كَانَ في حَرمِ الله، فمَنَعَه حَرَمُ الله من عذاب الله**»[1]، فـ (**قالوا يا رسول من هو قال أبو رعال قيل ومن أبو رعال قال جد ثقيف**)[2]، يستشف من استعمال النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه جاء للذمّ والتحقير بدليل أنّ المقام مقام عذاب، وأنّ العذاب كان ممّن يشمل أبا رعال؛ ولذا لا يُفهم غير ذلك، ومثله ما ورد في القرآن الكريم في مورد الذمّ وذلك في قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[3]، وهذا مما يشير إلى أنّ الإمام (عليه السلام) استعمل (ابن النابغة) استعمال النبي (صلى الله عليه وآله) لـ (أبي رعال) رمزاً للذم للتحقير.

والجدير بالذكر أنّ هذه النتيجة تعدّ ردّاً على كلِّ مَن استدلّ وأراد النيل من نهج البلاغة كون هذا الكتاب احتوى شتائم لا تليق بأخلاق علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد تبيّنت أنّها ليست شتائم؛ بل بيان حال أعدائه كما بيّن القرآن الكريم والنبي (صلى الله عليه وآله) مثل ذلك.

(١) المعجم الأوسط: ٩ / ٣٧.
(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٦ / ١٩٤.
(٣) سورة المسد: آية ١.

الفصل الثالث

الإيقـــاع

نشير في بداية هذه المباحث إلى أنّه بدا لنا أثر الخطب النبويّة الشريفة في نهج البلاغة في الإيقاع، إذ إنّ الإمام (عليه السلام) قد تربّى في أحضان الرّسالة المحمديّة فكان الرسول (صلى الله عليه وآله) للإمام (عليه السلام) قدوةٌ حسنةٌ في كلّ شيء؛ لذا فما قيل في هذه المباحث نعّده أثراً تركته الخطب النبويّة في نهج البلاغة.

يرد مصطلح الإيقاع ومفهومه في الشعر أكثر من النثر، حتى توهّم بعض الباحثين أنَ الإيقاع مختصٌّ بالشعر فحسب، فقال بعض منهم: (إنما الشعر كلام موزون تتم فيه المقابلة الإيقاعية بين مكوناته، بخلاف النثر فهو كلام غير موزون لعدم شيوع المقابلة الإيقاعية بين عباراته)[1]، في حين أنّ الإيقاع في النثر موجود كما هو في الشعر، بل إنّ الإيقاع له (أثر فاعل في شعرية النص النثري لا يقلّ شأناً من عناصر الشعرية الأخرى التي أشار إليها النقاد)[2]، إلاّ أنّ إيقاع النثر ينبغي التنبّه عليه أنّه غير الإيقاع في الشعر من جهة التفعيلة والوزن، ففي النثر يكون الإيقاع من طريق وحدة النغمة على نحوٍ من توالي الحركات والسكنات بشكل منتظم في فقرات الكلام[3]، فضلاً عمّا يُحدثه من استجابة نفسيّة لدى المتلقي - وهي التوقّع - وما ترتبه

(١) البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، بحث في تجليات الإيقاع تركيباً ودلالة وجمالًا: ١٧.
(٢) الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته، دراسة تحليلية : ٨٨.
(٣) ظ. النقد الأدبي الحديث: ٤٦١.

على هذه الاستجابة النفسيّة من أثر انفعال أو فعل[١]. (أمّا الإيقاع في الشعر فتمثله التفعيلة في البحر العربي)[٢]، ويكون من خلال تعاقب هذه التفعيلات و(نعني بذلك خاصية التردد هي بعينها ما يحدد معنى الإيقاع)[٣].

أمّا النثر فيرى أرسطو أن كلّ (خطاب يجب أن يكون له إيقاع ما ولا يكون له وزن وإلا كان شعراً)[٤]، كما يرى أنّ (جمال الكلمات وقبحها ينشأ عن جرسها أو معناها)[٥]، يزاد على ذلك أنْ ثمة أمراً لعله فات بعض الباحثين الذين رأوا أنّ الإيقاع مختصّ بالشعر دون غيره، وهو أن ثمّة محسنّات بلاغيّة تجعل النصّ موسقاً كالسجْع، والجناس، والمزاوجة، والتوازن، والتكرار، وهذه كلها موجودة في النثر كما هي موجودة في الشعر فلماذا إذن يختصّ الإيقاع بالشعر فحسب؟!.

يقول أرسطو: (إنّ من جمال الأسلوب ما يستعان فيه بالألفاظ وجرسها ونظامها كما في المزاوجة والسجع)[٦]، ويقول قدامة بن جعفر (ت ٣٧٧هـ): (وأحسن البلاغةِ: التّرصيعُ، والسَّجعُ، واتّساقُ البناء، واعتدالُ الوزن، واشتقاقُ لفظٍ من لفظ والمبالغة في الرصف بتكرير الوصف، وتكافؤ المعاني في المقابلة، والتوازي، وإرداف اللواحق)[٧]، وهذا القول إشارة إلى الإيقاع وإنْ

(١) ظ. نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد: ٢٣٥.
(٢) النقد الأدبي الحديث: ٤٦١.
(٣) تحليل النص الشعري: ٧٠.
(٤) الخطابة: ٢٠١.
(٥) النقد الأدبي الحديث: ٢٥٢.
(٦) م. ن: ٢٥٣.
(٧) جواهر الألفاظ: ٣.

لم يكنْ مصرّحاً به، فالإيقاع موجود في النثر كما هو موجود في الشعر إلّا أنّ لكلٍّ إيقاعه الخاص به، وهذا يوحي إلى موسيقيّة اللغة العربية، وجرس ألفاظها؛ إذ إنّ لجرس الألفاظ قيمة حسيّة، وأنّ حسن تأليفها، وسبكها، واختيار أعذبها تأثيرٌ في قلب السامع وشديد الوقع نفسه وإثارة انفعالاته[١]، وهذا يوحي إلى جماليّة الموسيقى الداخلية للنصّ، ومنبّهاتها المثيرة للانفعالات؛ لذا تؤثر على المتلقّي؛ لذا قال القاضي الجرجاني (ت٣٦٦هـ): (وإنما الكلام أصوات محلها من الاستماع محل النواظر من الأبصار)[٢]، وهذا معناه أنّ للصوت صورة سمعيّة شديدة التأثّر على مخيلة المتلقّي.

وقد مثّل الإيقاع في القرآن الكريم سرّاً من أسرار الإعجاز القرآني كونه (ليس عملاً فنياً مقصوداً لذاته، بل هي وسيلة من الوسائل التي يسخرها القرآن لتحقيق الغرض الديني وتفعيل أسلوب الدعوة وتعميقه عن طريق الإمتاع والتأنيس)[٣].

فالقرآن الكريم كما مرّ في التمهيد يصوّر مشاهد النار فيدخل إلى النفوس الرهبة، وينتابها الخوف والهلع، ويصوّر الجنة ونعيمها، فتستقر به الروح وتطمئن، وكأنّ المشاهد مجسّدة أمام المتلقّي، ويبدو أنّ مردّه إلى دقّة التصوير الإيقاعي، وقد تنبّهت إليه الدراسات النقدية الحديثة من أنّ الأديب المبدع يستطيع من خلال الاستعانة بموسيقى الألفاظ للإيحاء والتعبير عما في داخله[٤]،

(١) ظ. بديع القرآن: ١٦٦، ظ. جرس الألفاظ: ٢٠.
(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤١٢.
(٣) جمالية التلقي في القرآن الكريم، أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً: ٣٠.
(٤) ظ. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: ١٠٢.

وهذا يعني وجود علاقة وثيقة بين الإيقاع والمعنى؛ إذ إنّ للعمل الفني وجهين (وجه المضمون والغاية والمعنى، ثم وجه التعبير والتجلي، والواقع الخارجي)[١]، ويبدو أنّ علاقة الشكل بالمضمون هي التي تحقق الوقع الجميل عند المتلقي؛ لأنّ الإيقاع في التعبير الأدبي هو (سلسلة من الأصوات ينبعث عنها المعنى)[٢] تحت تأثير الانفعال.

وسيكون مفهوم الإيقاع أكثر وضوحاً بتطبيقه ودراسته في نصوص خطب النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وتتبع أثره في نهج البلاغة - إن شاء الله تعالى -

أولا - السَجْع.

يعد السجع من الفنون البديعية التي تكسب التعبير الأدبي إيقاعاً؛ لأنّه يحقّق التوازن و(الاعتدال في مقاطع الكلام)[٣]، ويكون أشدّ وقعاً في الخطابة لما يخلقه (من إيقاع صوتي أثناء إلقاء الخطبة أو حتى قراءتها، فيشعر السامع بحركة تسود نص الخطبة)[٥]، وما هي إلا حركة صوتية منتظمة تشده إلى النصّ موسيقيا، فالسجع كما هو معروف (تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على طرف واحد)[٦]، ولا شكّ في أنّ توارد هذا الحرف مكرّراً يكسب النصّ جوّاً موسيقيّاً داخليّاً، وعلى هذا الأساس عُدَّ السجع من ضمن التشكيل الموسيقى الداخليّة في النصّ الأدبيّ.

(١) فلسفة الجمال والفن عند هيجل: ٦١.
(٢) نظرية الأدب: ٢٠٥.
(٣) المثل السائر: ١/ ١٩٣.
(٥) الحجاج في الخطابة النبوية: ١٥٧.
(٦) المثل السائر: ١/ ١٩٠ .

ويكون السجْع محموداً وممدوحاً إذا كان تابعاً للمعنى، أي غير مقصود وبلا تكلّف، أو تصنّع فيه، بل إنّه يعدّ من المحاسن البلاغية، أمّا ما كان منه تكلّفاً بحيث تقع المعاني تابعة له وليس بالعكس فيعدُّ مذموماً ومعيباً كما يراه ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦ هـ)[١]، وهذا معناه أنّ هناك سجْعاً محموداً، وآخر مذموماً، وليس كله مذموماً بدليل أنّ (جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج)[٢]، وكذلك خطاب النبي (ﷺ) كثيراً ما تجد فيه سجعاً، بل (كان **(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّم)** ربما غيّر الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ وإتباع الكلمة وأخواتها، كقوله **(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّم)**: «أعيذه من الهامّة، والسّامّة وكل عين لامّة». وإنما أراد «ملمّة». وقوله عليه السلام: «ارجعن مأزورات، غير مأجورات». وإنما أراد «موزورات» من الوِزْرِ. فقال مأزورات، مكان مأجورات قصداً للتوازن وصحة التسجيع)[٣]، كلّ هذا دليل على قيمة السّجْع الإيقاعية وفضيلته في النصّ الأدبي شريطة خلّوه من التكلف، والتعسّف، والقصد المستهجن[٤].

وعلى هذا الأساس لا تجد في جميع نصوص النبي (ﷺ) خطباً وأحاديث (لفظاً اجتُلِب من أَجل السجع، وتُرك له ما هو أحقُّ بالمعنى منه وأبرّ به، وأهدَى إلى مَذْهبه)[٥]، وعلى هذا السبيل تابعه الإمام (عليه السلام)، وإذا ما تابعت

(١) ظ. سر الفصاحة: ١٧١،١٧٢.
(٢) كتاب الصناعتين: ٢٦٠.
(٣) م. ن: ٢٦١.
(٤) ظ. م. ن:١٦١.
(٥) أسرار البلاغة: ٢٠.

نصوصهما الشريفتين تجد السجْع فيها كعقدِ لؤلؤٍ جمان منتظم لا تجد لفظاً مستهجناً، ولا تكلّفاً، بل يُنسي المتلقّي متابعته للذّة نغمته، ووثاقة المعنى بإيقاعه وملائمته.

ويعد السجْع من أوسع المظاهر الإيقاعية في خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأكثرها حظّاً وتجد كذلك في النصوص العلويّة، ولعلّ هذا بروز أوّل أثرٍ يظهر لي في هذا المبحث.

ففي خطبة الاستسقاء للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تجده يقول: «**اللهم اسْقِنَا وأغثنا، اللهم اسْقِنَا غَيثاً مُغيثاً، وَحَيّاً ربيعاً، وَجَدَاً طبقاً غدقا مغدقاً**»[1]، فتجد هذا السجْع من النوع القصير قد أدّى سيلاً من الموجات الإيقاعية مع ملاءمته الغرض المقصود وهو طلب الدعاء بالسّقيا.

يبدو لي أنّ استعمال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الفاصلة الإيقاعية القصيرة حقّقت أشياء عديدة:

الأوّل: التذاذ المتلقّي بسماعها.

الثاني: ورود الألفاظ على نسقٍ واحدٍ، ووزنٍ واحدٍ، ومعظمها على الوزن الصرفي (فَعَلَنْ، فَعْلَنْ) نحو(غدقاً، طبقاً، ديماً، درراً) و(غيثاً)، ونحن نعلم أنّ هذا الوزن بسرعته دلَّ على شيء وهو هول القضية وهي (القحط)؛ فلذا عمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى استعمال هذا السجع القصير والسريع ليدلَّ على طلب سرعة الإجابة من الله عز وجل، وهذا ما حدث فعلاً، فقد استجاب الله تعالى دعوة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) في ساعته، إذ يروى ما ردّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يده إلى نحره حتى

(١) نثر الدر: ١/ ١٥٦.

ألقت السماء وابلها ممّا دفع الناس إلى أنْ يأتوا رسول الله (ﷺ) مهرولين منادين الغرق الغرق يا رسول الله[١].

فالإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة ينحو هذا النحو مضيفاً إبداعه الفني، ففي الموضوع نفسه والظروف نفسها يخطب أمير المؤمنين (عليه السلام) داعياً الله تعالى بطلب السقيا قائلاً: (**اَللهُمَّ قَدِ اِنْصَاحَتْ جِبَالُنَا، وَ اِغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَ هَامَتْ دَوَابُّنَا، وَ تَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا، وَ عَجَّتْ عَجِيجَ اَلثَّكَالَى عَلَى أَوْلاَدِهَا، وَ مَلَّتِ اَلتَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا، وَ اَلْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا. اَللهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ اَلآنَّةِ، وَ حَنِينَ اَلْحَانَّةِ. اَللهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَ أَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا. اَللهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اِعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ اَلسِّنِينَ، وَ أَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ اَلْجُودِ، فَكُنْتَ اَلرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ، وَ اَلْبَلاَغَ لِلْمُلْتَمِسِ، نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ اَلْأَنَامُ، وَ مُنِعَ اَلْغَمَامُ، وَ هَلَكَ اَلسَّوَامُ، أَلاَّ تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَ لاَ تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا، وَ اُنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ اَلْمُنْبَعِقِ، وَ اَلرَّبِيعِ اَلْمُغْدِقِ، وَ اَلنَّبَاتِ اَلْمُونِقِ، سَحّاً وَابِلاً تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَ تَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ. اَللهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً، مُرْوِيَةً، تَامَّةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيعَةً، زَاكِياً نَبْتُهَا، ثَامِراً فَرْعُهَا، نَاضِراً وَرَقُهَا، تُنْعِشُ بِهَا اَلضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَ تُحْيِي بِهَا اَلْمَيِّتَ مِنْ بِلاَدِكَ**)[٢].

ثمّة عدّة آثار لخطبة النبي (ﷺ) في هذه الكلمات العلويّة فضلاً عمّا أضفى عليها(عليه السلام) من قضايا كشفت عن إبداعاته الفنيّة والإيقاعيّة، أوّلها بدؤه (عليه السلام) كالنبي (ﷺ) بنداء(اللهم) فاتحاً خطبته الشريفة، ومن ثمّ التزامه

(١) ظ. الأمالي: ٥٦.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ١٩٥، ١٩٦.

(عليه السلام) كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله) بحرف الألف ليكون تواطؤ الفواصل الإيقاعيّة في كلامه، لكن الذي يلفت النظر هو أنّه (عليه السلام) إتيانه هذا الحرف بالمدَّ الصوتي كان لغاية، وهي ما أراه أنّه دلَّ على استغاثة العبدِ بمولاه البارئ عزّ وجلّ بـ(اللهم)، والمدّ الصّوتي هو أكثر ملاءمة لهذا المعنى وأقصد الاستغاثة، فالإبداع الفنّي الإيقاعي للإمام (عليه السلام) يكمن في محافظته على حرف الألف ليكشف عن تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله)، وإضفائه هذا المدّ الصوتي من دون أن يختلّ الإيقاع.

ثم أنّه (عليه السلام) بعد ذلك سارع من حركة الإيقاع من البطء إلى السرعة كما كان الإيقاع سريعاً في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن الفواصل القصيرة كما في سجْع النبي (صلى الله عليه وآله) فألفاظ الإمام (عليه السلام) (سقيا، محيية، مروية، تامة، عامة، طيبة، مباركة، هنيئة، مريعة) محاكاة لسجْع النبي (صلى الله عليه وآله)، ومن اللافت للنظر أن الإمام (عليه السلام) حاكى سجْع النبي (صلى الله عليه وآله)هنا بغير حرف الإلف، وهو حرف (التاء)، لكن إتيانه هذا الحرف بحركةٍ منصوبةٍ منوّنةٍ إذ تشابهتْ فواصله كلّياً فواصل النبي (صلى الله عليه وآله) جعل المتلقّي ينسى هذا الأمر - وهو اختلاف حروف الفواصل - ليخلق جوّاً إيقاعيّاً، وهذا من جليل الأثر.

ومن مظاهر التأثّر الإيقاعي عند الإمام (عليه السلام) إيراده فواتح خطبه على شاكلة افتتاحات خطب النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ كان معظم خطب الرسول (صلى الله عليه وآله) تفتتح بقوله (صلى الله عليه وآله): **(الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا. من يهد الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، ونشهد أن لا اله إلا الله؛ وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يَدَيِ**

الساعةِ. من يطع الله ورسوله فقد رَشد، ومن يعصهما فقد غَوَى)[١]، فتجد أنّ حرف (الهاء) كيف شكّل سلسلةً إيقاعيةً تتلقّاها أُذن المتلقّي.

أما الإمام (عليه السلام) تجده في النهج يقول: «**أَحْمَدُهُ اِسْتِتْماماً لِنِعْمَتِهِ، وَ اِسْتِسْلاَماً لِعِزَّتِهِ، وَ اِسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَ أَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لاَ يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَ لاَ يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ، وَ لاَ يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ، فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وَ أَفْضَلُ مَا خُزِنَ. وَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلاَصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا... وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ اَلْمَشْهُورِ، وَ اَلْعَلَمِ اَلْمَأْثُورِ، وَ اَلْكِتَابِ اَلْمَسْطُورِ**»[٢]، فإذا ما وازنتَ بين الخطبتين الشريفتين تجد جرساً إيقاعيّاً واضح الأثر لمفتتح خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مفتتح خطبة الإمام (عليه السلام)، وقعاً ومعنىً، وذلك بالتزام الإمام (عليه السلام) حرف(الهاء) ليكون فاصلَ سجعٍ لكلامه، فضلاً عن إيراده هذا الحرف مضموماً كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ممّا شكّلَ تشابها إيقاعيّاً، أمّا من جهة المعنى الذي لازم الإيقاع فأن إتيانه (عليه السلام) معاني مفتتح خطبة الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) متسلسلةً، متكاملةً، متماثلةً له فتراه (عليه السلام) يحمد الله أولاً كما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثمّ يستعين به ويستغفره، ومن ثمّ يشهد الشهادتين مثل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

والجدير بالذكر أنّه (عليه السلام) حوَّل الفاصلة من حرف (الهاء) إلى حرف (الراء) في (أرسله بالدين، والعلم المأثور، والكتاب المسطور) وهو في هذا متأثّر بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما حول السجع من الفاصلة(الهاء) إلى (الراء)

(١) تفسير القرطبي: ١٨/ ٧٥.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ٣١.

المنصوب المنوّن وكِلا الحرفين مسبوقان بالمدّ الصوتي وهو (الياء) في خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) و(الواو) في خطبة الإمام (عليه السلام) فدلَّ هذا أيضاً على أثر آخر.

ومن معالم تأثّر الإمام (عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله) في السجْع أنّك تراه صاغَ مقطعاً من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) فجعله انطلاقة كلامه أو محطّ توسّعه في القول، فمن ذلك قوله (عليه السلام): (**إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ، وَ إِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وَ إِنَّ لِلْإِسْلاَمِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ، وَ أُخْرُجُوا إِلَى اَللهِ مِمَّا اِفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَ بَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ**)[1]. تجد الإمام (عليه السلام) أخذ (إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، وإن لكم علماً فاهتدوا بعلمكم) من خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله): (**أيها الناس، إنَّ لَكَمْ مَعَالِمَ؛ فَانْتَهُوا إلى مَعَالِمِكُمْ، وإنَّ لَكُمْ نِهايةً، فانْتَهُوا إلى نهايتكم**)[2]، وهنا يبدو الأثر واضحاً بأنّ الإمام (عليه السلام) عمد إلى أخْذ معاني خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) وصاغ بعض جملها ليتوسّع من خلالها وأبقى على أشياء دلّت على تأثّره (عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله) منها: التزامه (عليه السلام) بفاصلة السجْع وهي (الميم)، ومن ثمّ اتفاق المعاني دلّ على أنّ الإمام (عليه السلام) هو الآخذ من النبي (صلى الله عليه وآله)، ومن الأثر أيضاً حفاظه (عليه السلام) على أبنية الكلمات النبوية الشريفة كالـ (نهاية – فانتهوا) كشف عن تأثّره (عليه السلام) وزيادة على ذلك أنّ السجْع في قول الإمام (عليه السلام) هو من النوع الطويل كما كان في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) وهذا يدلّ أيضاً أنّه (عليه السلام) احتذى حذو النبي (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن أنّ الإمام (عليه السلام) يبدو أنّه أدرك جماليّة الإيقاع في كلام النبي (صلى الله عليه وآله) باستعماله هذا السجْع فآثر أنْ يتبعه (عليه السلام) بذلك.

---

(١) م. ن: ٢/ ١٧٩.

(٢) نثر الدر: ١/ ١١٠.

والجدير بالذكر أنّ الإمام (عليه السلام) إنّما أتى بمعاني كلام النبي (صلى الله عليه وآله) بهذا الإيقاع الجميل ليخدم بها ما يريد أن يقوله (عليه السلام)، ولا شكّ في أنّه (عليه السلام) رأى أن هذه المعاني تتلاءم مع ما يريده، وهذا ما حصل فعلاً؛ لذا قال بعده: (وإن للإسلام غاية فانتهوا إلى غايته واخرجوا إلى الله بما افترض عليكم من حقه، وبيّن لكم من وظائفه) فتجد هذا المقطع متلاحم مع سابقه في المعنى وإنْ حلّ اختلاف في السجْع بانتقاله من (الميم) إلى (الهاء) لكنّه (عليه السلام) حفظ على نوعه وهو السجْع الطويل حفاظاً على تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله) أولاً وبإيقاع النصّ ثانياً.

ومن مظاهر تأثّره (عليه السلام) بالسجْع النبوي إتّباعه (عليه السلام) السجْع المعتدل كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله) في بعض خطبهِ.

ففي خطبة له (عليه السلام) يقول في افتتاحه: «**اَلْحَمْدُ لله غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَ لاَ مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَ لاَ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَ لاَ مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ**»[1]، فتجد الفاصلة السجّعية في كلام الإمام (عليه السلام) لا قصيرة ولا طويلة، وإنما معتدلة الفواصل، ويبدو في هذا متأثّراً بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) التي قال في مفتتحها: «**الحمد لله المحمودِ بِنِعْمَتِهِ، المعْبودِ بقُدْرتِهِ، المرْهُوبِ من عَذَابه، المرغوب فيما عِندَهُ، النافِذِ أمْرُهُ في سَمائِهِ وأرضِهِ، الذي خَلَقَ الخلق بقُدْرَتِهِ، وميَّزَهُم بأحكَامِهِ، وأعزَّهُمْ بِدينِهِ، وأكْرَمَهُمْ بنبيَه مُحَمَّدٍ**»[2]، إذ تجد هذا الاعتدال في السجْع النبوي قد احتذاه الإمام (عليه السلام)، والدليل على ذلك أنّه (عليه السلام) جعل

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ٨٧.
(٢) نثر الدر: ١/ ١٣١.

مفتتح خطبته بالحمد لله كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله)، ومن ثمّ متابعته النبي (صلى الله عليه وآله) في الفاصلة نفسها وهي (الهاء)، فضلاً عن اعتدال السجع في كلتا الخطبتين الشريفتين، فكلّ هذا دليل على أنّ الإيقاع في السجع العلوي متأثّر بإيقاع النبي (صلى الله عليه وآله) من خلال استعماله هذا السجْع المتوازن المعتدل. قد يجد الناظر في أوّل وهلة أنّه لم يكن هناك توافقٌ دلاليّ بين الخطبتين باختلاف ظروف ومناسبة الخطبتين؛ لأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) ألقى خطبته الشريفة هذه بمناسبة تزويج ابنته سيدة النساء فاطمة الزهراء (**سلام الله عليها**) من أمير المؤمنين (عليه السلام)، في حين أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) ألقى خطبته في عيد الفطر، لكن لو دقّقت النظر لوجدتَ أنّ كلتا المناسبتين مناسبة فرح (الزواج - العيد)، وهذا التوافق الدلالي الذي أخذه الإمام (عليه السلام) بنظر الاعتبار.

- الموازنة (التوازن)

ترد الموازنة في منظوم الكلام ومنثوره، ولا شك في أنّ هذا ممّا يخلق الإيقاع؛ وذلك لكون (ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في أوزانها)[١] وكون (صدر البيت الشعري وعجزه وتساوي الألفاظ وزنا، ومتى كان الكلام في المنظوم والمنثور خارجاً على هذا المخرج كان متسق النظام، رشيق الاعتدال)[٢]، وهذا الانتظام في الكلام والاعتدال بين الفواصل هما يحققان الإيقاع في النص، يزاد على ذلك أنّ الموازنة كما يرى بعض علماء البلاغة هي أحد أنواع السجْع ومن هؤلاء العلماء الإمام العلوي في طرازه[٣].

(١) الطراز: ٤١٦.
(٢) م. ن: ٤١٦.
(٣) ظ. م. ن: ٤١٦.

وقد ورد هذا النوع من السجع في كتاب الله العزيز، وفي خطب وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله)، وعلى هذا النهج سار الإمام (عليه السلام).

ففي خطبة للنبي (صلى الله عليه وآله) قال فيها: «**مَنْ أَقام الصلَاة كان مسلِماً، ومن آتى الزكَاةَ كان مُحْسِناً، ومن شهد أن لا إلَهَ إلا الله كان مُخْلِصاً**»[1]، فتجد الفواصل (مسلماً، محسناً، مخلصاً) مختلفة الأعجاز لكنها على زنةٍ واحدةٍ ممّا حققت الإيقاع في النصّ الشريف.

ويقول الإمام (عليه السلام): من كلام له في المعنى نفسه: «**تَعَاهَدُوا أَمْرَ اَلصَّلَاةِ وَ حَافِظُوا، عَلَيْهَا وَ اِسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَ تَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً، وَ إِنَّهَا لَتَحُتُّ اَلذُّنُوبَ حَتَّ اَلْوَرَقِ، وَ تُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ اَلرِّبَقِ، وَ شَبَّهَهَا رَسُولُ اَللهِ (صلى الله عليه وآله) بِالْحُمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ اَلرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي اَلْيَوْمِ وَ اَللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ اَلدَّرَنِ**»[2]، فـ(الورق، الربق) مختلفتان في اللفظ لكنّهما متساويتان في الوزن ممّا خلق في النصّ إيقاعاً، وفي الكلام نفسه يقول (عليه السلام) عن الزكاة: «**ثُمَّ إِنَّ اَلزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ اَلصَّلَاةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ اَلْإِسْلَامِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ اَلنَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَ مِنَ اَلنَّارِ حِجَازاً وَ وِقَايَةً، فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَ لَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ**»[3]، فالكلمتان (نفسه، لهفه) مختلفتان في اللفظ، متساويتان في الوزن ممّا اكتسب النصّ إيقاعاً يشعر به المتلقّي، وثمّة أشياء عديدة يمكن أنْ نستدلّ بها على تأثّر الإمام (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في هذا الفن (التوازن)، منها أنّ كلتا

(١) نثر الدر: ١/ ١٥٣.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٣٤٣.
(٣) م. ن : ٢/ ٣٤٤.

القضيتين تدور على الصّلاة، زد على ذلك أنّ الإمام (عليه السلام) ذَكَرَ في كلامه ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشأن الصّلاة وتشبيهها بنهرٍ جارٍ يغتسل منه المسلم في اليوم خمس مرات، وهذا ممّا يقوّي دليل تأثّره (عليه السلام)؛ لإيراده ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله) وكلامه.

وقد يأخذ (عليه السلام) معنى ما من خطب النبي (صلى الله عليه وآله) ثم يبدأ يفصّل فيه جاعلاً النصّ ذا إيقاع جميل، وذلك بتوازن الكلمات في فقرات المقاطع.

ففي خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) السابقة التي قال فيها: «**ومن شهد أن لا اله إلا الله كان مخلصا**»[1]، تجد الإمام (عليه السلام) أخذ هذا المعنى مفصّلًا فيه القول مثلا: «**أَحْمَدُ اَللهَ وَ أَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ اَلشَّيْطَانِ وَ مَزَاجِرِهِ، وَ اَلِاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَ مَخَاتِلِهِ. وَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللهُ، وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ نَجِيبُهُ، وَ صَفْوَتُهُ لاَ يُؤَازَى فَضْلُهُ، وَ لاَ يُجْبَرُ فَقْدُهُ، أَضَاءَتْ بِهِ اَلْبِلاَدُ بَعْدَ اَلضَّلاَلَةِ اَلْمُظْلِمَةِ، وَ اَلْجَهَالَةِ اَلْغَالِبَةِ، وَ اَلْجُفْوَةِ اَلْجَافِيَةِ، وَ اَلنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ اَلْحَرِيمَ، وَ يَسْتَذِلُّونَ اَلْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ، وَ يَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ**»[2]، فالإمام (عليه السلام)، في هذه الخطبة يبيّن ماهيّة الشهادة المخلصة لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله)، والتي كان يقصد بها النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته، وهذا المعنى الذي أخذه الإمام (عليه السلام) من النبي (صلى الله عليه وآله)، وأضفى عليه هذه الفنيّة الإيقاعيّة بعد أنْ عبّر عنها بتعبير فني جميل، إذ الإيقاع يكمن بتوازن الكلمات بين فقر المقاطع فضلاً عن توازن الكلمات التي رُصفت جنباً إلى جنب ممّا أدّت إلى تقوية الإيقاع، فإذا فتّشت

(١) نثر الدر: ١/ ١٥٣.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٣٦.

عن فواصل الكلمات فأنّك لا تجد اتّفاقاً لفظيّاً بين (مزاجره، ومخاتله) مثلاً، ولا بين (فضلُه، وفقدُه)، ولا بين (الغالبة، والجافية) وإنّما تجد اتّفاقاً في الوزن هو الذي جعل النصّ ممسوقاً، ولم يكتفِ بهذا التوازن الإيقاعي فحسب بين الفواصل؛ بل عمد إلى خلق توازن بين الكلمات في داخل فقرة واحدة كما بين (حبائله، ومخاتله)، و(الضلالة، والجهالة)، فضلاً عن السجْع في آخر النصّ زاد من جمالية الإيقاع بتلوينه وذلك في تواطؤ الفصول في (الحريم - الحكيم)، و(فترة - كفرة).

ومثله قوله (عليه السلام): «**وَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللهُ، غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ، وَ لاَ مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَ لاَ مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَ لاَ مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَ صَفَتْ دِخْلَتُهُ، وَ خَلَصَ يَقِينُهُ، وَ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ**»[1]، فالمعنى متأثّر بمعنى خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ ولذا تراه يبين (عليه السلام) معنى إخلاص الشهادة الذي ذكره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبته الشريفة، وبعد ذلك تأثره بهذا بدأ (عليه السلام) يصوغ كلامه بتعبير فني جميل ذي إيقاع مرهف من خلال سوقه الكلام بتوازن الكلمات في فصوله، إذ أنك لن تجد اتفاقاً لفظياً بين (نيته، ودخلته)، وإنّما ثمّة اتفاق في وزن الكلمات ممّا أضفى على النصّ إيقاعاً يلتذّ به المتلقّي.

ثانياً ـ الجناس (التجنيس):

وهو من الأساليب البديعيّة التي يقوم على إثراء النصّ الأدبي بالإيقاع نتيجة (تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً تطرب له الإذن وتهتز له أوتار القلوب)[2].

---

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٨٣، ٢٨٤ .

(٢) علم البديع، بسيوني عبد الفتاح: ١٤٨.

وحدّه (أن يُوردَ المتكلم كلمتين تجانس كلُّ واحدةٍ منهما صاحبتها في تأليف حروفها)[١]، أو بعبارة أخرى (هو أن يكون بعض الألفاظ مشتقاً من بعض إن كان معناهما واحداً أو بمنزلة

المشتق إن كان معناهما مختلفاً، أو تتوافق صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى)[٢]، وقد سمّي الجناس بهذا الاسم؛ لأنّه يصلح(لمعنيين مختلفين)[٣]، ويعدّ الجناس (من ألطف مجاري الكلام ومن محاسن مداخله)[٤].

والجناس مثل السجْع منه ما كان محموداً ومنه ما كان مذموماً ومستهجناً، فإذا كان موقع معنى اللفظتين المتجانستين من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن المرمى المقصود بينهما بعيداً كان الجناس ممدوحاً[٥]، وإلاّ كان مذموماً، بعبارة أخرى (لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سَجعاً حَسَناً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده به بدلاً، ولا تجد عنه حِوَلاً، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقُّه بالحُسْن، وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه)[٦].

وهذه الفضيلة لا يتم للتجنيس (إلا بنُصْرةِ المعنى، إذ لو كان باللفظ وَحْدَهُ لما كان فيه مستحسنٌ، ولما وُجد فيه معيبٌ مُسْتهجَن، ولذلك ذُمَّ الاستكثار

(١) كتاب الصناعتين: ٣٢١.
(٢) سر الفصاحة: ١٩٣.
(٣) الطراز: ٣٧٢ .
(٤) م. ن: ٣٧٢.
(٥) ظ. أسرار البلاغة: ١٦ .
(٦) م. ن: ١٨.

منه والوَلُوعُ به. وذلك أن المعاني لا تَدِين في كل موضع لما يَجْذبها التجنيس إليه إذ الألفاظ خدم للمعاني)[١].

وكل ما ورد من الجناس في الخطب النبويّة كما ذكر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) من النوع المحمود وتابعه على ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة.

يقول النبي (صلى الله عليه وآله) في إحدى خطبه الشريفة: «**وإنّ الصبر في مواطن البأس مما يفرّج الله به الهمَّ، ويُنجي به الغَمَّ**»[٢]، فاللفظتان (الهمّ، الغمّ) متجانستان قد شكّلتا إيقاعاً صوتياً منسجماً، وهذا النّوع من الجناس يسمّى عند البلاغيّين بالناقص، وسمّاه العلوي بالجناس الناقص المضارع ويقصد به (وهو أن يجمع بين كلمتين هما متجانستين لا تفاوت بينهما إلا بحرف واحد سواء وقع أوّلا أو آخرا أو وسطا حشواً)[٣].

وفي نهج البلاغة تجد الإمام (عليه السلام) يقتصّ أثر النبي (صلى الله عليه وآله) بهذا النوع من الجناس فتراه يقول (عليه السلام) في وصف المؤمن: «**اَلْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَ حُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وَ أَذَلُّ شَيْ ءٍ نَفْساً، يَكْرَهُ اَلرِّفْعَةَ، وَ يَشْنَأُ اَلسُّمْعَةَ، طَوِيلٌ غَمُّهُ، بَعِيدٌ هَمُّهُ**»[٤]، فالتجنيس الواقع نتج من اللفظتين (غمه، همه)، ويبدو لي أنّ هذا التجنيس يشير إلى تأثّر الإمام (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله). يزاد على ذلك أنّ متابعة الإمام (عليه السلام) إيقاع النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكنْ من طرفِ اللفظ فحسب، وإنّما ثمّة علاقة دلاليّة بين الخطبتين وهي أنّ الحديث في كلا

(١) م. ن: ١٦، ١٧.
(٢) كتاب المغازي: ١/ ٥٩.
(٣) الطراز: ٣٧٧.
(٤) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥٧٢.

النصّين يدور حول (المؤمن)، فلا يظنّ الظانّ أنّ كلام النبي (صلى الله عليه وآله) لا يمتّ صلة بالمؤمن، بل على العكس أنّ المقصود من كلام النبي (صلى الله عليه وآله) هو أنّ الذي يصبر في مواطن البأس أي الشدّة كالحرب وغيرها لا ريب أنّه من الإيمان ممّا يفرّج الله به الهمّ وينجي به الغمّ، وعليه فإنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أيضاً يذكر صفات المؤمن، فلعلّ على هذا الأساس تابع الإمام (عليه السلام) النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك.

ومثله يقول (عليه السلام) في حكمة له: (الْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ)[١]، فالجناس حاصل بين (الهم، الهرم)، ومن البلاغيّين من يسمّي هذا النوع من الجناس الناقص؛ لأنّ (اختلف فيه اللفظان في عدد الحروف)[٢]، وسمي ناقصاً؛ (لأن أحد اللفظين ينقص عن الآخر حرفاً أو حرفين)[٣]، وهنا حرف (الراء)، والباحث لا يرى كذلك؛ لأنّه لم يكنّ هناك نقص في عدد الحروف، فـ (الهمّ) ثلاثي و(الهرم) ثلاثي؛ بل هناك اختلاف في نوع الحروف بين (الميم)، و(الراء).

ومن الضروب الأخر للجناس التي استعمله النبي (صلى الله عليه وآله) وعلى أثره سار الإمام (عليه السلام) هو جناس الاشتقاق، وهذا النوع (يكثر في كلام القدماء شعره ونثره، وفي النظم الكريم والحديث الشريف كثير منه)[٤] سيما في الخطب النبوية الشريفة، والمقصود بهذا النوع هو(أن يرجع اللفظان إلى أصل واحد في اللغة)[٥].

---

(١) م. ن: ٤/ ٥٣٢.
(٢) علم البديع، بسيوني عبد الفتاح: ٢٤٠.
(٣) م. ن: ٢٤٠.
(٤) علم البديع، بسيوني عبد الفتاح: ٢٤٤.
(٥) م. ن: ٢٤٤.

ففي خطبة الغدير للنبي (ﷺ) يقول (ﷺ): «**فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ من والاه وعادِ من عاداه**»[١]، فتجد النبي (ﷺ) يكسي النصّ حُلّةً إيقاعيّةً باستعماله مرّتين هذا النوع من الجناس وذلك في (وال والاه، عاد عاداه)، فبهذا الاستعمال كسب النصّ صبغةً إيقاعيّةً تتناغم مع أُذن السامع وتلتذّ به.

أمّا في نهج البلاغة نجد الإمام (عليه السلام) يستعمل الجناس نفسه كاشفاً لنا تأثره بالنبي (ﷺ)، إذ يقول (عليه السلام): «**وَ وَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَ اِسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ اَلدِّينُ بِجِرَانِهِ**»[٢]، فيبدو أنّه (عليه السلام) تابع النبي (ﷺ) باستعماله الجناس في (وليهم وال)، وهذا النوع سمّاه العلوي بالمختلف أي (المختلف بالأحرف وتتفق الكلمتان في أصل واحد يجمعهما الاشتقاق)[٣]، فالنكتة في كلام الإمام (عليه السلام) هي أنّه (عليه السلام) لم يتّبع النبي (ﷺ) باحتذائه هذا الجناس فحسب؛ بل بيّن حقيقة الوالي الذي دعا له النبي (ﷺ)، ونصّبه وجعله خليفة من بعده، وهو المقصود (عليه السلام)، إذ وضّح أنّ الوالي الذي ولّاه النبي (ﷺ) يقيم ويستقيم، فهذه حقيقته (عليه السلام) التي أراد أن يبيّنها للناس، فضلاً عن تأثّره بخطب النبي (ﷺ).

ومن لطيف الإشارة أنّ الإمام (عليه السلام) تابع النبي (ﷺ) باستعماله الجناس مرّتين ليقابل كلامه وذلك في (وليهم وال، أقام واستقام) كلام الرسول (ﷺ) في (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) وهذا كما يبدو يدلّ على تأثره (عليه السلام) بالنبي (ﷺ).

---

(١) مسند أحمد: ٢/ ٢٦٩.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥٩٧ .
(٣) الطراز: ٣٧٤.

أحياناً يعمد الإمام (عليه السلام) إلى أخْذ معنى ما من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) بحيث يتلاءم مع موقفه ثم يجعل منه جناساً لتقوية المعنى الذي يريده من خلال إيقاعية هذا الفن، فمن ذلك قوله (عليه السلام): «**مَا كَذَبْتُ، وَ لاَ كُذِبْتُ، وَ لاَ ضَلَلْتُ، وَ لاَ ضُلَّ بِي**»[1]، فالجناس الواقع بين (كذبت كُذّبتُ) جناس ناقص مختلف[2] وقد شكّل إيقاعاً قويّاً تلتذّ به أذن المتلقّي فضلًا عن دعمهِ المعنى بهذا النفي المكرّر بأكثر من مرّة، ويبدو أنّ الإمام (عليه السلام) قد أخذه من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) التي قال فيها: «**إن الرائد لا يكذِب أهله والله لو كَذَبْتُ الناسَ جميعاً ما كَذَبْتكم**»[3]؛ فتشابه الظروف جعل الباحث أنْ يقول بتأثّر الإمام (عليه السلام)؛ لأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) ألقى هذه الخطبة في أوّل جمعة في المدينة، فلا يستبعد في بادئ الأمر أنّه يوجد شاكٌّ بالنبي (صلى الله عليه وآله)، ولاسيما أنّ المنافقين كانوا موجودين، فهذا مدعاة بأنْ يدفع النبي (صلى الله عليه وآله) عن نفسه الكذب بهذه النظرية القاطعة، إذ الرائد محال أن يكذب أهله، وكذلك ظرف الإمام (عليه السلام)، يُروى أنّه قال هذه الكلمة أكثر من مرّة منها في وقعة النهروان، والمعلوم أنّ أهل النهروان هم أكثر الناس شكّاً بالإمام (عليه السلام)، حتى انشقّوا من صفّه وخرجوا عليه؛ لذا سمّوا بالخوارج، وهذا التشابه بين الظرفين ممّا جعل الإمام (عليه السلام) يتأثّر بكلام النبي (صلى الله عليه وآله)، ويصوغ منه كلامه (عليه السلام) هذا بهذا الوقع الجميل.

وهذا النوع من الجناس (الاشتقاقي) الوارد في خطب النبي (صلى الله عليه وآله) تردّد أثره في نهج البلاغة، والذي يراه بعض البلاغيين (ما أُخْرِجَ شَيءٌ مِنْ شيءٍ يُناسِبُهُ في

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥٤٠.
(٢) ظ. الطراز: ٣٧٣.
(٣) نثر الدر: ١/ ١٧٨.

اللَّفْظِ والمَعْنَى)[١]. بعبارة أخرى (أن يجمع اللفظين الاشتقاق، بمعنى أن يرجع اللفظان إلى أصل واحد في اللغة)[٢]، وقد ورد هذا النوع في خطب النبي (ﷺ) واقتفى أثره الإمام (عليه السلام)، ففي خطبة الوداع يقول النبي (ﷺ): «**أيها الناس؛ إنّ الله قد قسم لكلِّ وارثٍ نصِيبَه مِنَ الميراث**»[٣]، فترى أنّ اللفظتين (وارث وميراث) جونسا وأصلهما واحدٌ وهو(ورث)، وهذا التكرار بين حروف (وارث وميراث) الناشئ من الاشتقاق قد خلق جواً إيقاعياً في النصّ.

تجد لمثل هذا الاستعمال في نهج البلاغة، إذ يقول (عليه السلام): «**وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَآلِهِ رَجَمَ اَلزَّانِيَ اَلْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَ قَتَلَ اَلْقَاتِلَ وَ وَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وَ قَطَعَ يَدَ اَلسَّارِقِ وَ جَلَدَ اَلزَّانِيَ غَيْرَ اَلْمُحْصَنِ**»[٤]، فترى تجانساً بين (ورّث، وميراثه) ممّا شكّل إيقاعاً في النصّ، هذا التأثّر من جهة الإيقاع، أمّا من جهة المعنى، بيّن الإمام (عليه السلام) حقّ أهل الزاني المحصن المرجم، والمقتول القاتل بالوراثة؛ لذا تجد جناساً اشتقاقياً آخر قد شفع النصّ إيقاعيّاً وهو(قتل، القاتل) زاد من إيقاع النصّ ممّا جعل المتلقّي ينتبه أكثر ويشعر بلذة موسيقيّة في النصّ، فضلاً عن بيانه من كلام النبي (ﷺ) (إنّ الله قد قسم لكلّ وارثٍ نصيبه من الميراث).

والجدير بالذكر أنّ رَفْعَ الإمام (عليه السلام) هذه العلوم التي أخبر بها المسلمين إلى النبي (ﷺ) هو أثر بحدَّ ذاته.

---

(١) بلوغ الأرب في علم الأدب (علم الجناس): ١٨٨.
(٢) علم البديع، بسيوني عبد الفتاح: ٢٤٤.
(٣) نثر الدر: ١/ ١٣٧.
(٤) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢١١، ٢١٢.

ومن الجناس الاشتقاقي الذي استعمله النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبه وتابعه الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة ما قاله النبي (صلى الله عليه وآله): «**وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين**»[١]، فترى التجانس بين (جاهدوا وجهاده) إذ أصلهما واحد، وهذا التكرار في الحروف عند اشتقاق أحد اللفظين عن الآخر حقّق إيقاعاً في النصّ.

وللإمام (عليه السلام) كلام مثل ذلك في وصيّة له (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام) حينما قال: «**وَجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ**»[٢]، فقد جونس (جاهد) مع (جهاده)، وحدث إيقاعاً يشعر به المتلقي، فهذا الأثر الإيقاعي تولّد من اقتباس الإمام (عليه السلام) كلام النبي (صلى الله عليه وآله) وتوظيفه في وصيّته لابنه الحسن (**عليهما السلام**)، ويبدو أنّ الذي جعل الإمام (عليه السلام) يتأثر بهذا الكلام هو تشابه الظروف.

ومن الجناس الاشتقاقي الذي ورد في خطب النبي (صلى الله عليه وآله) وتابعه الإمام (عليه السلام) بذلك، فمن هذا ما قاله النبي (صلى الله عليه وآله): «**اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، اتقوا الله حق تقاته**»[٣]، فالجناس -الموقع- حصل بين (اتقوا، تقاته).

والجدير بالذكر ثمّة تكرار رائع في حروف(اتقوا الله حق تقاته) إذ تكرّر(التاء) ثلاث مرات، و(القاف) ثلاث مرات، وهذا ممّا زاد من إيقاعية النصّ وجماليّته.

---

(١) تاريخ الطبري: ٢/ ٣٩٥.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٣/ ٤٢٢ .
(٣) إعجاز القرآن: ٩١.

ثم تجد أنّ الإمام (عليه السلام) يقتبس الجملة نفسها لجماليّة إيقاعها و لملاءمتها الدلاليّة وتأثيرها في النفس فيقول: «**وَ مَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ اَلْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ اَلْيَوْمَ رَجْعَتُهُ، اَلرَّجَاءُ مَعَ اَلْجَائِي، وَ اَلْيَأْسُ مَعَ اَلْمَاضِي فَاتَّقُوا اَللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَ لاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**»[١]، ويقول (عليه السلام) أيضاً: «**اِتَّقِ اَللهَ بَعْضَ اَلتُّقَى وَ إِنْ قَلَّ، وَ اِجْعَلْ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اَللهِ سِتْراً وَ إِنْ رَقَّ**»[٢]، فالجناس الاشتقاقي الحاصل بين (اتق – التقى) حقّق أيضاً إيقاعاً في النصّ ويبدو أنّ كلّ استعمالات الإمام (عليه السلام) الجناس الاشتقاقي بهذا النمط أنّه (عليه السلام) أفاد من النبي (صلى الله عليه وآله).

ثالثاً ـ التكرار :

يعدّ التكرار من الأساليب الفنيّة في التعبير الأدبيّ والذي يثري النصّ إيقاعاً ويرفع من درجة تأثيرها[٣]، وكثيراً ما يقع (في الألفاظ دون المعاني)[٤].

والتكرار يحدث عند تناوب الأصوات، أو الألفاظ، أو الجمل وإعادتها في النصّ الأدبي تتشكّل من خلالها نغماً موسيقياً[٥].

ويرد التكرار في الشعر والنثر(ليقوى به جرس الألفاظ وأثرها)[٦]، كما يرد (للتوكيد أو لزيادة التنبيه أو التهويل أو للتعظيم أو للتلذذ بذكر المكرر)[٧]،

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٣/ ٤٢٢.
(٢) م. ن: ٤/ ٥٥٠.
(٣) ظ. المرشد إلى فهم أشعار العرب: ٢/ ٥٣.
(٤) العمدة في صناعة الشعر ونقده: ٢/ ٦٩٨، ظ. العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٢/ ٢٥.
(٥) ظ. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٣٩.
(٦) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٥٩.
(٧) أنوار الربيع في أنواع البديع: ٣٤ .

وغالباً ما يفيد تثبيت فكرة مقصودة في ذهن المتلقي، وقد أثبتت الدراسات الحديثة لعلماء النفس مدى أهمية التكرار في عملية التعليم[١] .

وكثيراً ما يلجأ الشاعر إلى التكرار، ويعني به (لتقوية ناحية الإنشاء (أي ناحية العواطف، كالتعجب، والحنين، والاستغراب وما إلى ذلك) من طريقة التكرار)[٢].

وعلى هذا الأساس (يتجلى التكرار في النص الأدبي باعتباره إِحداثاً لمبدأ التنظيم على المستوى الوقعي)[٣].

وقد ورد التكرار كثيراً في القرآن الكريم، وخطاب النبي (صلى الله عليه وآله)، وعلى هذا السبيل سار الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة، وسيبدو التكرار أكثر وضوحاً عند دراسته في خطب النبي (صلى الله عليه وآله) وتتبّع أثره في كلام الإمام (عليه السلام) المجموع في نهج البلاغة.

أ ـ تكرار (اللفظة)

كلّ نصٍّ أدبي عبارة عن معمار قائم على ألفاظ وجمل وحروف التي تعدّ أركان هذا المعمار، وكلّ ركنٍ من هذه الأركان له أثرٌ في بناء هذا النصّ، فمن هذه الأركان نذكر تكرار اللفظة، وأثره في التعبير الأدبي، فكلّ فللفظة (وظيفتها ودلالتها داخل النص الأدبي الذي يحتويها، فإذا ما كررت لفتت إليها الانتباه وأكّدت ما جاءت من أجله أول مرّة، فضلاً عن خلق تناغم

(١) ظ. التكرار في القصص القرآني: ١٧.
(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب: ٢/ ٤٥.
(٣) تحليل النص الشعري: ٦٣.

موسيقي بين أجزاء النص الأدبي، فيعمل هذا التناغم على التنسيق بين الألفاظ ومعانيها؛ لتحقيق الغاية التي يريد المبدع إيصالها إلى الآخرين)[١].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ سبب خلق اللفظة جوّاً إيقاعياً في النصّ كما يرى بعض اللغويين إذ يرجع إلى أنّ للفظةِ الواحدة صورة تحمل عنصرين أوّلهما نواة المعنى المعجمي، وثانيهما الوحدة الصوتية التي تؤدي إلى الإيقاع[٢]

ويعدّ تكرار اللفظة ظاهرة بارزة في الخطابة النبويّة ممّا أدّت إلى تشكيل نغمةٍ إيقاعيّةٍ في النصّ الشريف ثم تحلّل أثرها إلى نهج البلاغة عندما احتذى الإمام (عليه السلام) حذوها لمّا كان لهذا الإيقاع من وقع جميل وتأثيره على نفسية المتلقّي، ففي خطبة للنبي (صلى الله عليه وآله) التي قال في الاعتبار بالموت: «**طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاس، وأَنْفَقَ مِنْ مالٍ كَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيةٍ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذُّلِّ والْمُسْكَنَةَ وخَالَطَ أَهل الفِقْه والحِكْمَة. طُوبَى لِمن عَمِلَ بعلِمْهِ، وأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وأَمْسَكَ الفضل مِنْ قَوْلِهِ**»[٣]، فتجد تكرار لفظة(طوبى) في النصّ الشريف مرّتين مدعوماً بتكرار(لمن) معها قد شكّل نغمةً إيقاعيّةً منبّهة للمتلقّي، ومن الجدير بالذكر أنّ اتحاد (طوبى) مع (لمن) يشكل تفعيلة(مستفعلن) التي لها الأثر الكبير في موسيقى الشعر.

فإذا ما جئت إلى نهج البلاغة تجد صدى استعمال هذا الإيقاع، وذلك في قول الإمام (عليه السلام): «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ،**

(١) القيم الجمالية في الحديث النبوي الشريف، أطروحة دكتوراه: ٤٥.
(٢) ظ. في اللسانيات، الأصوات والبنية والتركيب والدلالة: ٧٤، ٧٥.
(٣) نثر الدر: ١/ ١٢٤.

وَ طُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَ أَكَلَ قُوتَهُ، وَ اِشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ»[١]، فتكرار لفظة (طوبى) في كلام الإمام (عليه السلام) اكسب النصّ جوّاً إيقاعيّاً فضلاً عن اقتباسه (عليه السلام) الجملة الأولى من كلامه من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) ليزيد من شدّة تأثره (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، ويزاد على ذلك أنّ التكرار في نصّ الإمام (عليه السلام) أيضاً شكّل على تفعيلة (مستفعلن) في (طوبى لمن)، وكذلك أتى بالتكرار ثنائيّاً مثل النبي (صلى الله عليه وآله)، ولعلّ احتذاءه (عليه السلام) بالتكرار الزوجي في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) أثر آخر في كلامه (عليه السلام)، ومثله لتكرار المفردة التي اتّبع بها الإمام (عليه السلام) نهج الرّسول (صلى الله عليه وآله) في خطبه، ما قاله (عليه السلام) في خطبة له: «**جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً، وَ لِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً، وَ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً**»[٢]، فتجد تكرار (كل) مرّتين، وتكرار (قدر) مرّتين، وتكرار (أجل) مرّتين قد خلق جواً إيقاعيّاً في النصّ، فضلاً عمّا أضفى على النصّ من اتّفاق التوازن بين الكلمات جعل النصّ أكثر وقعاً في أُذن المتلقّي، إذ تجد الاتفاق في فواصل (قدراً، أجلاً، كتاباً)، وتوازناً بين (قدر، أجل) وفي هذا الإيقاع تجده (عليه السلام) متأثّراً بكلام النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبة له (صلى الله عليه وآله) إذ قال فيها: «**فأمرُ الله يجري إلى قضائه وقضاؤه يَجْري إلى قَدَرِهِ، ولِكُلِّ قَضَاءٍ قَدَرٌ، ولِكُلِّ قَدَرٍ أَجَل ولكلِّ أجلٍ كتاب**»[٣]، فتجد تكرار (كلّ) مرّتين، وتكرار(قدر) مرّتين، وتكرار (أجل) مرّتين قد شكّل إيقاعاً في النصّ ممّا انبهر بها الإمام (عليه السلام) وآثر أنْ يحتذي حذوه، غير أنّ حركة الفواصل مختلفة وذلك لاختلاف الحركة الإعرابيّة فحسب.

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٨٢.
(٢) م. ن: ٢/ ٢٩٣.
(٣) نثر الدر: ١/ ١٣١.

ومن مظاهر التأثّر في التكرار اللفظي عند الإمام (عليه السلام) أنّه يعمد أحياناً إلى أخذ تكرار لفظي من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمعنى معيّن ثمّ يقلبها إلى معنى آخر مع حفاظه على أصل البناء اللفظي للكلمة، وهذا من آيات إبداع الإمام (عليه السلام) فضلاً عن تأثّره (عليه السلام) بخطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

من ذلك قوله (عليه السلام): «**اَلْفَقِيهُ كُلُّ اَلْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ اَلنَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اَللهِ، وَ لَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اَللهِ، وَ لَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اَللهِ**»[1]، فتكرار لفظة (الفقيه) مرّتين في قول الإمام (عليه السلام) ممّا لفت النظر والانتباه لإيقاعه. تجد الإمام (عليه السلام) في هذا الكلام قد أفاد من كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبته التي قال فيها: «**رب حامل فقه لا فقه له**»[2]، فيبدو أنّه (عليه السلام) استثمر تكرار لفظة (فقه) في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعل منه تكراراً في كلامه لكنّ بمعنى آخر، ولكن حفاظه (عليه السلام) على أصل البناء اللفظي لكلمة (الفقيه) التي تمتد جذورها إلى خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فضلاً عن بيانه، وموازنته بين غير الفقيه في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والفقيه الحقيقي في كلامه جعل ما نجزم على تأثره (عليه السلام) بخطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولاسيما مدار الحديث واحد وهو الفقيه الحقيقي وغير الحقيقي وبيان حالهما.

ومن مظاهر التأثّر أيضاً عند الإمام (عليه السلام) تجده يستثمر معاني خطب الرّسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) جاعلاً منه تكراراً إيقاعيّاً مع حفاظه على بعض كلمات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لتدلّك على أنّه (عليه السلام) متأثّر بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ففي إحدى خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورد: «**من يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السرِّ والعلانية، لا ينوي بذلك إلّا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل**

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥١٩.
(٢) إعجاز القرآن: ٩٣.

أمره، وذُخْراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يَوَدُّ لَوْ أَنّ بيْنها وَبينهُ أَمَداً بعيداً»[١]، وبالمعنى نفسه يقول الرّسول الأعظم في ذيل هذه الخطبة: «**فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يَكْفه الله ما بينه وبين الناس**»[٢].

فتجد النبي (صلى الله عليه وآله) يضغط على قضيّة الإصلاح، ففي هذا القول يتراءى لنا واضحاً أثر الخطاب النبوي في قول الإمام (عليه السلام): «**مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اَللهِ، أَصْلَحَ اَللهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اَلنَّاسِ، وَ مَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ، أَصْلَحَ اَللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَ مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اَللهِ حَافِظٌ**»[٣]، فتجد الإمام (عليه السلام) بعد أنْ استثمر معاني النبي (صلى الله عليه وآله) بنى منها تعبيراً فنيّاً مكسباً النصّ نغمةً إيقاعيةً من خلال تكرار لفظة (أصلح) أربع مرّات.

ومثله قوله (عليه السلام): «**مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اَللهُ عَلاَنِيَتَهُ، وَ مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اَللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَ مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اَللهِ أَحْسَنَ اَللهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اَلنَّاسِ**»[٤]، فتجد في هذا القول أيضاً تكرار (أصلح) مرّتين ممّا شكّل إيقاعاً، هذا فضلاً عن المعاني النبويّة التي أخذها (عليه السلام).

ومن مظاهر التأثّر عند الإمام (عليه السلام) تجده يأخذ معنى ما من خطب النبي (صلى الله عليه وآله) فيعمد إلى تكرار ذلك المعنى باللفظة ليثير الانتباه من خلال إيقاعيّة تكرار تلك اللفظة.

---

(١) تاريخ الطبري: ٢/ ٣٩٥.
(٢) م. ن: ٢/ ٣٩٥.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥١٩.
(٤) م. ن: ٤/ ٥٨٩.

ففي خطبة النبي (ﷺ) التي خطب في معركة أُحد وأوصى بالجهاد والصبر بالقول: «**فافتتحوا أعمالَكم بالصَّبْر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم**»[١]، فترى النبي (ﷺ) يرغّب المجاهدين في سبيل الله بلغةٍ مباشرةٍ لإيصال ما يريد إيصاله إليهم.

أما الإمام (عليه السلام) فإنك تجده في نهج البلاغة يلتقط هذا المعنى ويضغط على القضية بتكرار لفظة الجهاد فيقول (عليه السلام): «**الجِهَادَ الجِهَادَ عِبَادَ الله**»[٢]، فتكرار (عليه السلام) لفظة الجهاد أحدث إيقاعاً ينتبه إليه المتلقّي بعدما كان أَمراً اعتاديّاً في خطبة النبي (ﷺ)، وكأنّه (عليه السلام)، بهذا التكرار، يؤكّد على دعامة من دعائم الإسلام، وهذا ما دعا إليه الرّسول الأعظم (ﷺ).

وفي المعنى نفسه يقول (عليه السلام) في وصيّةٍ له لابنيه الحسن والحسين (عليهما السلام): «**اَللهَ اَللهَ فِي اَلْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ، وَ أَنْفُسِكُمْ، وَ أَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اَللهِ!**»[٣]، فتجد تكرار لفظ الجلالة (الله) لفت النظر، وأكد على قضية الجهاد مع إكسابه النص إيقاعاً يشعر به المتلقي.

ومثله قوله (عليه السلام) في وصيةٍ له أيضاً: «**اَللهَ اَللهَ فِي اَلْقُرْآنِ! لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ**»[٤]، فتكرار لفظ الجلالة (الله) أكّد قضية التمسّك بالقرآن، ولا سيما الظرف هو الوصية من الإمام (عليه السلام)، فضلاً عن أنّ التكرار هذا أكسب النصّ إيقاعاً، ولعلّ الإمام (عليه السلام) أخذ هذا المعنى من النبي (ﷺ) عندما

(١) كتاب المغازي: ١/ ٢٢٢.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٩٢.
(٣) م. ن: ٣/ ٤٥٣.
(٤) م. ن: ٣/ ٤٥٣.

قال في خطبته: «**إنّ أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس**»[١]، فالنبي (صلى الله عليه وآله) تراه يؤكّد على التمسّك بالقرآن الكريم.

من خلال خطبته الشريفة هذه بلغةٍ مباشرةٍ، أخذ الإمام (عليه السلام) هذا المعنى وصاغ منه تعبيراً فنيّاً ذا إيقاع جميل مع حفاظه على معنى الرّسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، وهذا من لطائف إبداعات الإمام (عليه السلام)، وتأثّره بخطب النبي (صلى الله عليه وآله).

ب ـ تكرار (الجملة).

وقد ورد تكرار الجملة في الخطب النبوية الشريفة وتخلّل أثرها في نهج البلاغة ويبدو لي أنّ تكرار الجملة أكثر وقعاً من غيره من التكرارات سواءً اللفظية أو تكرار حروف وغيرهما؛ لأنّ الجملة لها الإمكانيّة والطاقة الكبيرة للضغط على قضيّة معينة أكثر من الحرف واللفظة ممّا يجعل المتلقي أكثر انتباهاً ممّا عليه في الحرف أو اللفظة أو الصيغة، و(لتكرار الجملة أثره الكبير في موسيقية النصوص الأدبية؛ لما يمثله من خاصية صوتية تعتمد على كمَّ من المقاطع يُحدث تكرارها ترددات نغمية تضفي على النص بهاءً وجمالاً)[٢].

فمن خطبة للنبي (صلى الله عليه وآله) يقول فيها: (**أيّها الناس، إني رأيت في منامي رؤياً؛ رأيت كأنّي في درْعٍ حصينة، ورأيت كأنّ سيفي ذا الفَقار انفصم من عند ضُبته، ورأيتُ بقراً تُذبَح، ورأيتُ كأنّي مردفٌ كبشاً**)[٣]، فتجد تكرار جملة (رأيت)

(١) إعجاز القرآن: ٩١.
(٢) القيم الجمالية في الحديث النبوي الشريف، أطروحة دكتوراه: ٥٦، ٥٧.
(٣) كتاب المغازي: ١/ ٢٠٩.

في النصّ الشريف خمس مرّات أحدث نغماً تتلذّذ بها أذن السامع، فضلاً عن أن النبي (ﷺ) عمد إلى إتيان خمس كلمات وفي كلّ كلمة حرف (الراء) قد شفع في تقوية تكرار جملة (رأيت).

رأيت ـــــــــــــــــــــ رؤيا

رأيت ـــــــــــــــــــــ درع

رأيت ـــــــــــــــــــــ ذا الفقار

رأيت ـــــــــــــــــــــ بقراً

رأيت ـــــــــــــــــــــ مردفٌ

فهذه (الراءات) الخمس قد أحدث توازناً موسيقيّاً لتكرار جملة (رأيت). والجدير بالذكر أن حرف (الراء) نفسه هو (صوت مكرر)[١] يحدث عند (التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في النطق بها، كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرفاً لينا يسيراً مرتين أو ثلاثا لتتكون الراء العربية)[٢]، ولعلّ تكراريّة الحروف العربية دفعت علماء العربية إلى القول: بأنّ كلّ حرف من الحروف العربية له ظلٌ وإشعاع وله صدى وإيقاع[٣].

وإذا ما نأتي إلى نهج البلاغة نرى الإمام (عليه السلام) متأثّراً بهذا الإيقاع النبوي الجميل؛ لذا يقول (عليه السلام) في خطبة له لما بويع بالخلافة، وقد تحدّث على الناس

(١) الأصوات اللغوية: ٦٧.
(٢) الأصوات اللغوية: ٦٧.
(٣) ظ. دراسات في فقه اللغة: ١٤٢.

في أمر مقتل الخليفة الثالث عثمان: (**فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَ فِرْقَةٌ تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَ فِرْقَةٌ لاَ تَرَى هَذَا وَ لاَ ذَاكَ**)[1]، فتجد الإمام (عليه السلام) كالنبي (صلى الله عليه وآله) يكرّر(ترى) ومشتقاتها خمس مرات مشفوعة بتكرار(فرقة) ثلاث مرات.

ويتراءى لي من هذا التكرار أنّ الإمام (عليه السلام) كرّر(ترى) ومشتقاتها خمس مرات، ووضع خمس راءات ذاتيّة في قبال تكرار(ترى) و(ترون)، فضلاً عن تكرار لفظة (فرقة)، أي كالآتي:

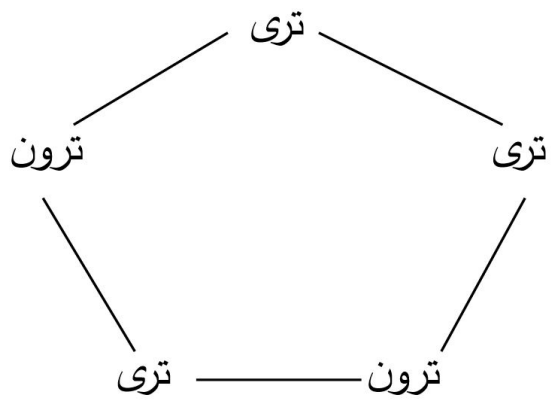

بمعنى أنه (عليه السلام) حاول كالنبي (صلى الله عليه وآله) أن يضع خمس كلمات وفي قبالها خمس كلمات أخرى وفي كلّ كلمةٍ حرف يقابل تكرار (ترى)، والذي يدلّ على هذا الأمر هو تناوب تكرار (ترى) و(ترون)، والشيء الآخر هو عندما شفع الإمام (عليه السلام) هذا الإيقاع وبالذات التكرار الخماسي في (ترى)، أضاف تكرار لفظة (فرقة) الثلاثي لتقوية الإيقاع والمعنى، ثمّ بدا لي في هذا أثر آخر في استعمال النبي (صلى الله عليه وآله) التكرار الخماسي، إذ أنّه (عليه السلام) لما رأى النبي (صلى الله عليه وآله) واستعماله الفردي للتكرار فآثر(عليه السلام) أنْ يقتصّ أثر النبي (صلى الله عليه وآله) فعمد

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٧٠.

إلى استعمال التكرار الفردي أيضاً، والجدير بالذكر أنّ هذه الجملة المكررة كانت جملة فعلية، وقد لوحظ أنّ (تكرار الجملة الفعلية أكثر من الاسمية في العربية، وهذه الكثرة ربما تعود إلى أنّ الفعلية تعبّر عن الحدث والحدث يتسم بالتكرار)[١].

ومن معالم التأثر في تكرار الجملة عند الإمام (عليه السلام) تجده (عليه السلام) يقول في دعاء له: «**اَللهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ، اَللهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي، اَللهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي، اَللهُمَّ اِغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ اَلْأَلْحَاظِ، وَ سَقَطَاتِ اَلْأَلْفَاظِ، وَ شَهَوَاتِ اَلْجَنَانِ، وَ هَفَوَاتِ اَللِّسَانِ**»[٢]، فتجد تكرار (اللهم اغفر لي) في النص العلوي أربع مرّات، وهذا ما شكّل إيقاعاً منتظماً نسج معاني النصّ بكامله أي بمعنى لو قالها الإمام (عليه السلام) مرّةً واحدةً لما بقي للنصّ من إيقاع، ولما بقي لهذه المعاني من رابط قويّ، ويبدو أنّه (عليه السلام) في هذا التكرار متأثّر بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما قال في خطبته الشريفة: «**اَللَّهُمَّ اغفرْ لي ولأُمّتي، اَللَّهُمَّ اغفرْ لي ولأُمّتي، أستغفر الله لي ولكم**»[٣]، فتجد تكرار جملة(اللهم اغفر لي ولأمتي) شكّل إيقاعاً ينتبه إليه المتلقّي، ولعلّ هذا التكرار قد أثّر بالإمام (عليه السلام) فالتقطه وجعله يتوسّع بالدّعاء من خلال تكراره هذا، فأكسب النصّ إيقاعاً. وقد دلّ على تأثّر الإمام (عليه السلام) بتكرار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أنّه (عليه السلام) بدأ يردّد الجملة الدعائيّة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسها ويكرّرها وإلّا كان

(١) جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم: ٣٨٧.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ١١٦.
(٣) كتاب المغازي: ٣/ ١٠١٧.

بإمكان الإمام (عليه السلام) أن يقول مثلاً: ربّ اغفر لي أو غيرها من الجمل الدّعائية التي ليست بصعبة على سيد البلغاء (عليه السلام).

ج- تكرار (الأداة).

ومن مظاهر التكرار البارزة في الخطب النبويّة الشريفة تكرار أداة ما، كأنْ تكون أداة النّداء، أو الاستفهام، أو غير ذلك، وقد أدّت هذه الظاهرة إلى تشكيل نغمةٍ إيقاعيّةٍ في النصّ فعلى هذا الأثر سار الإمام (عليه السلام).

فمن خطبةٍ للنبي (صلى الله عليه وآله) يقول فيها: «**يَا بَنِي فُلانٍ! يَا بَنِي فُلانٍ! يَا بَنِي فُلان يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**»[1]، فتجد تكرار (يا) النداء مدعومة بتكرار (بني) قد شكّل نغمةً إيقاعيّةً ينتبه إليها المتلقّي من خلال أمرين:

الأول: أنّ صيغة النداء هي بالأساس مما تسترعي الانتباه.

الثاني: تكرار هذه الأداة خلق جوّاً موسيقيّاً جعل المتلقّي يلتذّ بإيقاعه.

وعلى هذا الأساس تجد الإمام (عليه السلام) ينحو نحو الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما قال: «**يَا أَشْعَثُ! إِنْ تَحْزَنْ عَلَى اِبْنِكَ، فَقَدِ اِسْتَحَقَّتْ ذَلِكَ مِنْكَ اَلرَّحِمُ، وَ إِنْ تَصْبِرْ فَفِي اَللهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ، يَا أَشْعَثُ! إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ اَلْقَدَرُ وَ أَنْتَ مَأْجُورٌ، وَ إِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ اَلْقَدَرُ وَ أَنْتَ مَأْزُورٌ. يَا أَشْعَثُ، اِبْنُكَ سَرَّكَ وَ هُوَ بَلاَءٌ وَ فِتْنَةٌ، وَ حَزَنَكَ وَ هُوَ ثَوَابٌ وَ رَحْمَةٌ**»[2]، فتجد

(١) صحيح مسلم: ١١٤.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٥٦٥.

الإمام (عليه السلام) يكرّر أداة النداء مدعومة باسم المنادى ثلاث مرات، ممّا شدّد من الوقع النغمي.

ومن أمثلة أخرى لتأثّر الإمام (عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في تكرار صيغة ما بالمعنى نفسه ما ورد عنه (عليه السلام) حينما قال: «**أَيْنَ اَلْعَمَالِقَةُ وَ أَبْنَاءُ اَلْعَمَالِقَةِ؟! أَيْنَ اَلْفَرَاعِنَةُ وَ أَبْنَاءُ اَلْفَرَاعِنَةِ؟! أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ اَلرَّسِّ اَلَّذِينَ قَتَلُوا اَلنَّبِيِّينَ، وَ أَطْفَئُوا سُنَنَ اَلْمُرْسَلِينَ، وَ أَحْيَوْا سُنَنَ اَلْجَبَّارِينَ؟! وأَيْنَ اَلَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ، وَ هَزَمُوا اَلْأُلُوفَ**»[1]، فتجد تكرار (أين) الاستفهامية المشفوعة بعدّة تكرارات مثل (العمالقة، والأبناء، والفراعنة)، فضلاً عن اتفاق الفواصل كما في (النبيين، والمرسلين، والجبارين)، وتوازن بعض كلمات الفواصل كـ(الجيوش، والألوف)، كلّ هذا حقّق إيقاعاً جميلاً في النصّ بحيث تشعر بقراءتك النصّ وكأنّك تقرأ قصيدةً موزونةً مقفّاةً، لكنّ الذي أريدُ أنْ أقوله إنّ الإمام (عليه السلام) بتكريره صيغة الاستفهام (أين) أربع مرّات لا بمعنى الاستفهام الحقيقي الذي أحدث في النصّ إيقاعاً قد استمدّه من استعمال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للاستفهام بالمعنى نفسه ومكرّراً إياه، ففي خطبة المِنى للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «**أَتَدْرُونَ أيُّ يومٍ هَذَا.... أَفَتَدْرُونَ أيُّ بَلَدٍ هَذَا.... أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ**»[2]، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كرّر صيغة الاستفهام (الهمزة) مشفوعة بتكرار (تدرون) ثلاث مرّات، ولم يعنِ به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الاستفهام الحقيقي، وهذا التكرار قد جعل السامع يشعر بإيقاع وينتبه أكثر.

---

(١) م. ن: ٢/ ٢٩٠.

(٢) صحيح البخاري: ٦٠٤٩.

وفي ذيل خطبة الإمام (عليه السلام) السابقة تجد يكرر صيغة الاستفهام نفسها بالمعنى نفسه كاشفاً لنا عن تأثّره باستعمال النبي (صلى الله عليه وآله) تكرار الاستفهام بمعناه غير الحقيقي فيقول (عليه السلام):

«أَيْنَ إِخْوَانِيَ اَلَّذِينَ رَكِبُوا اَلطَّرِيقَ وَ مَضَوْا عَلَى اَلْحُقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَ أَيْنَ اِبْنُ اَلتَّيِّهَانِ؟ وَ أَيْنَ ذُو اَلشَّهَادَتَيْنِ؟ وَ أَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ اَلَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى اَلْمَنِيَّةِ، وَ أُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى اَلْفَجَرَةِ؟»[1]، فتجد الإمام (عليه السلام) يكرّر أداة الاستفهام (أين) خمس مرّات ممّا شكّل إيقاعاً في النصّ علماً أنّ استعماله (عليه السلام) هذه الأداة ليس بمعناه الحقيقي كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله).

ومن استعمال تكرار الصيغة عند النبي (صلى الله عليه وآله)، والذي شكّل إيقاعاً في النصّ وتابعه الإمام (عليه السلام) في ذلك، ما ذكره النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبة له في تحريم مكّة: «**فَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا تَحِلُّ سَاقطَتُها إلا لِمُنْشِدٍ**»[2]، فتجد تكرار(اللاءات) قد شكّل إيقاعاً في النصّ؛ لأن (اللاءات) هذه، عبارة عن حركةٍ وسكونٍ المنتظمتين، وهذا ما جعل النصّ مفعماً بالموسيقى المنتظمة التي يحسّ بها المتلقّي، ولعلّ الإمام (عليه السلام) أدرك جماليّة هذا الإيقاع المكوّن من توارد(اللاءات) المنتظمة فجعلته أن يقول (عليه السلام) في مفتتح خطبة له (عليه السلام): (**لاَ يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَ لاَ يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَ لاَ يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَ لاَ يَصِفُهُ لِسَانٌ، لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ اَلْمَاءِ، وَ لاَ نُجُومِ اَلسَّمَاءِ، وَ لاَ سَوَافِي اَلرِّيحِ فِي اَلْهَوَاءِ، وَ لاَ دَبِيبُ اَلنَّمْلِ عَلَى اَلصَّفَا، وَ لاَ مَقِيلُ اَلذَّرِّ فِي اَللَّيْلَةِ اَلظَّلْمَاءِ**)[3]، فتجد تكرار أداة (لا)

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٩٢.
(٢) صحيح مسلم: ٥٣٥، ٥٣٦.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٨٣.

تسع مرّات خلال هذا المقطع القصير من الكلام، فهذا بالتأكيد ممّا يجعل النصّ موسيقيّاً؛ لاحتلاله مساحة كبيرة في هذا المقطع.

والجدير بالذكر أنّ الإمام (عليه السلام) لم يتّبع النبي (صلى الله عليه وآله) في مفتتح كلامه بتكرار صيغة (لا) فحسب؛ بل أردف في بادئ كلامه الفعل المضارع مع كل (لا) كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله)، ويبدو لي من هذا الإتباع باستمرارية الإيقاع في الكلام بتأثير الفعل المضارع الذي يدل على الاستمرارية، ومن ثم انتقاله (عليه السلام) بردف (لا) مع الاسم بعد مضي تكرار أداة (لا) خمس مرّات، فبدا لي ثبوت هذه الحركية، والاستمراريّة بتأثير (الأسماء) التي تدل على الثبوت، وهذا سرٌّ من أسرار إبداع أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي مردّه إلى النبي (صلى الله عليه وآله)؛ لأنّه باب من مدينة العلم.

رابعاً ـ الطباق.

يرى معظم الباحثين أنّ الطباق في التعبير الأدبي يشكّل ظاهرةً إيقاعيّةً حسيّةً للمتلقّي، وقد أشبعت الرسائل والأطاريح الجامعية بتناول هذا البحث.

أمّا ما يبدو لي، فلستُ أرى ثمّة إيقاع في الطباق إلّا في حالةٍ واحدةٍ وهي إذا ما توازن الوزن الصرفي بين الكلمتين المتضادتين؛ لأنّ الطباق كما هو معروف: هو أن تجمع بين كلمتين متضادين أو بين نقيضين[1]، وإلاّ أين الإيقاع في (الليل - النهار) و(السر - العلانية) وغيرهما بهذا النمط.

لكنّني أقول: يتشكّل الإيقاع إذا ما تمّ توازن هو بين الكلمة وضدها نحو(بياض - سواد)، (خير - شر) وهكذا.

(١) ظ. مفتاح العلوم: ٤٢٣، ظ. الطراز: ٥٦٤.

وعليه من خلال دراستي الطباق في الخطب النبوية الشريفة وأثره في نهج البلاغة لم أعدّ الطباق الذي لم يتوازن صرفيّاً من ضمن الدراسة الإيقاعية؛ لأنّه لا يشكّل ظاهرةً إيقاعيةً من وجهة نظر الباحث.

فمثلا في خطبةِ النبي (صلى الله عليه وآله) ورد: «**فَلَيْأْخُذِ العبدُ من نَفْسِهِ لنِفسه، وَمِنْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ، ومن الشَّبيبَةِ قَبْل الكِبَرِ، وَمِنَ الحَيَاةِ قَبْلَ المَوْتِ**»[1]، فالطباق الحاصل بين (دنياه – آخرته، الشبيبة – الكبر، الحياة – الموت) لا أرى أنّه شكّل ظاهرةً إيقاعيةً تستجلب الانتباه.

أما الطباق الذي شكّل إيقاعاً داخليّاً في النصوص الشريفة فهو ما سيكون محطّ دراستي إنْ شاء الله تعالى.

فمن خطبة للنبي (صلى الله عليه وآله) قال فيها: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ**»[2]، فتجد الطباق –المُوقِع– أكسب النصّ إيقاعاً داخليّاً بتوازنهما الصرفي؛ لأن كلاً من (الخير – الشر) على وزنٍ واحدٍ. ثمّ تجد صدى استعمال لهذا الفن في نهج البلاغة، وذلك في قول الإمام (عليه السلام): «**إِنَّ اَللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً، بَيَّنَ فِيهِ اَلْخَيْرَ وَ اَلشَّرَّ**»[3]، فتجد استعماله (عليه السلام) الطباق أحدث إيقاعاً داخليّاً تتلذّذ به أذن السامع، بسبب التوازن الصرفي بين (الخير – الشر)، ويضاف إلى ظرف الإمام (عليه السلام) شبيه بظرف النبي (صلى الله عليه وآله)؛ لأنّ الإمام (عليه السلام) ألقى هذه الخطبة في أوّل خلافته، فتجد مضمون الخطبة كله موعظةٌ، ودعوةٌ إلى الله سبحانه وتعالى، وكذلك خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) معانيها توحي بالموعظة.

(١) نثر الدر: ١/ ١١٠.
(٢) صحيح مسلم: ٤٠٣.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٦٨.

ومثله في قوله (عليه السلام) في خطبة وصف المتقين: «**اَلْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَ اَلشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ**»[١]، فمجيء (الخير والشر) على زنةٍ واحدةٍ شكل إيقاعاً داخليّاً في النصّ، فضلاً عمّا دعمه (مأمول - مأمون) المتجانستين والمتوازنتين، وهذه الخطبة كسابقتها جاءت معانيها في الموعظة.

أحياناً تجد الإمام (عليه السلام) يقتبس الجملة الإيقاعية نفسها من النبي (صلى الله عليه وآله)، وهذا ممّا ينَّم عن شدّة تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله)، فمن خطبةٍ له (عليه السلام) يقول: «**اَلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَ اَلشَّقِيُّ مَنِ اِنْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَ غُرُورِهِ**»[٢]، فالطباق - المُوقِع - الذي شكّل موسيقى داخليّة للنصّ أتى من استعمال(السعيد - الشقي) المتوازنتين صرفياً، ويبدو أنّ الإمام (عليه السلام) قد أخذه بالكامل من النبي (صلى الله عليه وآله) عندما خطب وقال: «**والسعيد من وعظ بغيره والشقي من شقى في بطن أمه**»[٣]، فالطباق الحاصل بين (السعيد - الشقي) كلاهما على زنةٍ واحدٍ قد شكّلا ظاهرة إيقاعيّة داخليّة في النصّ الشريف.

ومثله قوله (عليه السلام): «**فَيَعْلَمُ اَللهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي اَلْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَ قَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَ سَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ**»[٤]، فالطباق الذي أحدث إيقاعاً داخليّاً للنصّ مردّه إلى استعمال (شقي - سعيد) المتوازنتين صرفياً، وما هو إلّا صدى للإيقاع النبوي بدليل أنّ الإمام (عليه السلام) تجده في الأمثلة كلها قدّم (الشقي) على (السعيد) تأثّراً بالنبي (صلى الله عليه وآله)، وإلّا لو قلبها لما اختلَّ المعنى.

(١) م. ن: ٢/ ٣٣١.
(٢) م. ن: ١/ ١٣٤.
(٣) كتاب المغازي: ٣/ ١٠١٦.
(٤) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢١٤.

يزاد على ذلك أنّ الإيقاع كان في قول الإمام (عليه السلام)، قويّاً ومؤثراً؛ لأنّه أسند إيقاعه المتأثّر بالنبي (صلى الله عليه وآله) بإيقاعات أخرى نحو في استعمال الطباق بين (قبيح - جميل، سخي - بخيل)، وكلها جاءت على وزنٍ واحدٍ.

ومن مظاهر الطباق في الخطب النبوية التي تأثّر الإمام (عليه السلام) ما قاله النبي (صلى الله عليه وآله) في فتح مكة: «**يُجِيرُ عليهم أَدناهُمْ ويَرَدُّ عليهم أَقْصَاهُم**»[1]، فالطباق الذي منح النصّ إيقاعاً داخليّاً ناتج من (أدناهم - أقصاهم) المتوازنتين صرفيّاً.

تجد الإمام (عليه السلام) يردف النبي (صلى الله عليه وآله) في هذا الإيقاع فيقول في كتاب له (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه): «**فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ اَلَّذِي لِلْأَدْنَى**»[2]، فالإيقاع الحاصل من (الأقصى - الأدنى) لتوازنهما الصرفي، فضلاً عن تشابه الظروف؛ لأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) ألقى هذه الخطبة في فتح مكة، يعني أنّ السيادة أصبحت بيده (صلى الله عليه وآله)، وكذلك الإمام (عليه السلام) كتب هذا الكتاب لمالك الأشتر (رضي الله عنه) لمّا ولّاه مصر.

ومثله قوله (عليه السلام) في مفتتح إحدى خطبه: «**اَلْحَمْدُ لله اَلَّذِي عَلاَ بِحَوْلِهِ وَ دَنَا بِطَوْلِهِ**»[3]، فالطباق الإيقاعي نتج من (علا - دنا)؛ لتوازنهما الصرفي فضلاً عمّا دعمه الإمام (عليه السلام) بفاصلةٍ قصيرةٍ (حوله - طوله) ممّا جعلتا أكثر وقعاً، وهذا من بديع أسلوب الإمام (عليه السلام) بعد تأثّره بالنبي (صلى الله عليه وآله).

---

(١) مسند أحمد: ١١/ ٢٨٨.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبد: ٣/ ٤٧٠.
(٣) م. ن: ١/ ١٢٠.

ومن الطباق النبوي الذي أحدث إيقاعاً داخلياً في النصّ وعلى أثره سار الإمام (عليه السلام) ما ورد في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «**ومن أحسن مِن مسلم أو كافرٍ وقع أَجرُه على الله في عاجل دنياه آو آجل آخِرَته**»(١)، فالطباق - المُوقِع - حصل من استعمال(عاجل - آجل) المتوازنتين صرفيّاً، ولا أرى إيقاعاً داخليّاً في (دنياه - آخرته)، وإنْ كانت الكلمتين متضادتين لانعدام التوازن الصرفي بين الكلمتين.

أدرك الإمام (عليه السلام) هذا الطباق وتأثّر به وسلك به سبيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه باستعماله وسوقه بكلمتين متضادتين متوازنتين صرفيّاً وذلك في كتابٍ له (عليه السلام) يقول: «**وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اَللهِ أَنَّ اَلْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ اَلدُّنْيَا وَ آجِلِ اَلْآخِرَةِ**»(٢)، فالإيقاع حاصل في (عاجل - آجل).

ومثله كذلك في قوله (عليه السلام) من خطبةٍ له: «**آثَرُوا عَاجِلاً، وَ أَخَّرُوا آجِلاً**»(٣) فالطباق - الموقع - في (عاجلاً - آجلاً)، وكذلك في قوله (عليه السلام): «**وَ اَلْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ اَلْآجِلَةِ**»(٤)، فالإيقاع الداخلي للنصّ ناتج من استعمال الطباق (العاجلة - الآجلة).

والإمام (عليه السلام) بدا متأثّراً بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الأمثلة السابقة كلها غير أنّه (عليه السلام) تجده غيّر من بناء الكلمات المتأثّرة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن مظاهر التأثّر في الطباق الذي حقّق إيقاعاً في النصّ اقتباسه (عليه السلام) كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه، وذلك في قوله (عليه السلام): «**وَ أَنْفَقَ اَلْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَ**

(١) كتاب المغازي: ١/ ٢٢٢.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٣/ ٤١٢.
(٣) م. ن: ٢/ ٢٢٨.
(٤) م. ن: ١/ ١٩٢.

أَمْسَكَ اَلْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ»[١]، فاللفظتان (أنفق، أمسك) طباق حقّق إيقاعاً رائعاً في النصّ لتوازنهما الصرفي، فضلاً عمّا دعم من توازن بين طرفي الكلام في قول الإمام (عليه السلام)، وتوافق الفواصل في (ماله، لسانه)، وتكرار لفظة (الفضل)، فكلّ هذا كان لتقوية الإيقاع في النصّ، وإذا ما بحثتَ عن سرّ جمال هذا الإيقاع وجدتَ أصله من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، ولجماليّة إيقاعه وشدّة تأثره به اقتطفه (عليه السلام)، ووظّفه في كلامه لتشابه الظروف ومناسبة الكلام بين الخطبتين الشريفتين، إذ نقله (عليه السلام) من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في الاعتبار بالموت، والموعظة: «**طُوبَى لِمن عَمِلَ بعلِمْهِ، وأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وأَمْسَكَ الفضل مِنْ قَوْلِهِ**»[٢].

خامساً ـ المقابلة:

المقابلة كالطباق؛ (لأنها عبارة عن طباق متعدد، فالطباق إذا جاوز ضدين صار مقابلة)[٣].

وقد أورد الباحثون المقابلة في بحوثهم ودرسوها، كما درسوا الطباق وعدّوها ظاهرةً إيقاعيّةً داخليّة للنصّ دون استجلاء أي نظر لها، ولستُ أرى كلّ(مقابلة) تشكّل ظاهرة إيقاعيّة؛ لأنّها أوّلاً تعدّ من ضمن المحسّنات المعنويّة للكلام الأدبي في فنّ البديع، والمحسنّات المعنويّة أبعد ما تكون من تشكيل موسيقى داخليّة للنصّ قياساً بالمحسّنات اللفظيّة ولكنّي لا ألغي إيقاعيّة المقابلة إذا ما توازنت الكلمات المتضادات بين طرفي الكلام وتعادلتا صرفيّاً فعندها يتحقّق

(١) م. ن: ٤/ ٥٢٧.
(٢) نثر الدر: ١/ ١٢٤.
(٣) علم البديع، بسيوني عبد الفتاح: ١٢٦.

الإيقاع لاتّساق الكلام، وهذا ما سأحاول إثباته في هذا البحث.

لقد أورد الإمام (عليه السلام) مقابلة إيقاعيّة للنبي (صلى الله عليه وآله) في نهج البلاغة مستشهداً بها ثمّ يورد قوله (عليه السلام) بعدها ممّا نجزم تأثّره (عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله).

فمن خطبةٍ له (عليه السلام) يقول مستشهداً بقول النبي (صلى الله عليه وآله): «**إِنَّ اَلْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَ إِنَّ اَلنَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ**»(١)، فهذا الكلام يعود للنبي (صلى الله عليه وآله)، وقد استشهد به الإمام (عليه السلام)، وثمّة مقابلة إيقاعيّة لطيفة فيه، وذلك لاتساق طرفي الجملة.

إن..... إن

الجنة..... النار

حفت..... حفت

بالمكاره..... بالشْهوات

ثم يورد (عليه السلام) قوله المتأثّر بالنبي (صلى الله عليه وآله) فيقول (عليه السلام): «**مَا مِنْ طَاعَةِ اَللهِ شَيْءٌ إِلاَّ يَأْتِي فِي كُرْهٍ، وَ مَا مِنْ مَعْصِيَةِ اَللهِ شَيْءٌ إِلاَّ يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ**»(٢)، فالإمام (عليه السلام) هنا يظهر بأنّه متأثّر بالنبي (صلى الله عليه وآله) أولاً باستشهاده قول النبي (صلى الله عليه وآله)، وثانياً محاكاة معنى كلامه كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مع حفاظه على الإيقاع الداخلي للنصّ كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله)، وذلك باستعماله هذه المقابلة المتوازنة المتّسقة بين طرفي الجملة.

---

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٧٨.
(٢) م. ن: ٢/ ٢٧٨.

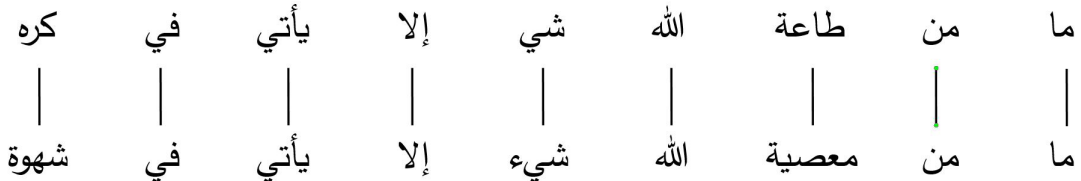

ومن المقابلات الإيقاعيّة للنبي (صلى الله عليه وآله) التي تأثّر بها الإمام (عليه السلام) واحتذى حذوه ما قالها النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبةٍ له (صلى الله عليه وآله): «**ومن كان همه الآخرة جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له**»[1]، فتجد المقابلة المذكورة في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) قد حقّقت إيقاعاً داخليّاً للنصّ لمعادلة طرفي الكلام.

تجد الإمام (عليه السلام) مثلما النبي (صلى الله عليه وآله) يقول بهذا المعنى: «**مَنْ طَلَبَ اَلدُّنْيَا طَلَبَهُ اَلْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا، وَ مَنْ طَلَبَ اَلآْخِرَةَ طَلَبَتْهُ اَلدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا**»[2]، فالإيقاع محقق من استعمال هذه المقابلة؛ لا تّساق ومعادلة طرفي الكلام في نصّ الإمام (عليه السلام).

ومن لطيف المقابلات البديعيّة التي تشكّل إيقاعاً داخليّاً للنصّ تجد الإمام (عليه السلام) أخذ معنى ما من خطبةِ النبي (صلى الله عليه وآله)، وصيّره إلى مقابلة ذات إيقاع تتلذذ به أُذن السامع بالمعنى نفسه، فمن ذلك قول الإمام (عليه السلام): «**مَرَارَةُ اَلدُّنْيَا حَلاَوَةُ اَلآْخِرَةِ، وَ حَلاَوَةُ اَلدُّنْيَا مَرَارَةُ اَلآْخِرَةِ**»[3]، إذ تجد طرفي الكلام

(١) إعجاز القرآن: ٩٣.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤/ ٥٩٠.
(٣) م. ن: ٤/ ٥٥١.

متعادلاً ومتوازناً ممّا جعل النصّ موسيقيّاً.

مرارة..... حلاوة

الدنيا.....الدنيا

حلاوة..... مرارة

الآخرة.....الآخرة

فقد أخذه (عليه السلام) من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله): (**ألا إنّ الدنيا خضرة حلوة**)[١].

ومن لطيف المقابلات الإيقاعيّة للإمام (عليه السلام) أيضاً أنّك نجده أحياناً يأخذ (طباق) من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) ويوظّفه في كلامه (عليه السلام) ويجعله (مقابلة) ذات إيقاع جميل.

إذ يقول (عليه السلام): «**فَخُذُوا نَهْجَ اَلْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَ اِصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ اَلشَّرِّ تَقْصِدُوا**»[٢] فالإيقاع الحاصل من هذه المقابلة اللطيفة تجد جذرها في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) عندما قال: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرَ بِالشَّرِّ**»[٣]، فـ (الخير - الشر) طباق إيقاعي هنا، ويبدو أنّ الإمام (عليه السلام) كانت شرارة انطلاقه التأثّري من الطباق (الخير - الشر) في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، وصيّره إلى (مقابلة) في كلامه (عليه السلام).

ومن المقابلات الإيقاعيّة للنبي (صلى الله عليه وآله) التي تأثّر بها الإمام (عليه السلام) وصاغ منها كلامه على شاكلتها ما ذكره النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبة له (صلى الله عليه وآله): «**فإنَّ الله مع**

(١) إعجاز القرآن: ٩٣.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٦٨.
(٣) صحيح مسلم: ٤٠٣.

من أطاعه، وإنَّ الشيطان مع من عصاه»[١]، فالإيقاع الداخلي متحقق من هذه المقابلة التي تساوى فيها طرفا الكلام.

فإن..... وإن

الله..... الشيطان

مع..... مع

من..... من

أطاعه..... عصاه

أمّا الإمام (عليه السلام) فإنك تجده في نهج البلاغة يقول بهذه الشاكلة في وصف المتقين: **(لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَ لاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ)**[٢]،

لا تضره..... لا تنفعه

معصية..... طاعة

من ..... من

عصاه..... أطاعه

فتجد فصول الكلمات وزنتها منسّقة ومتعادلة مما خلقت نغمةً إيقاعيّةً داخليّةً للنصّ جعلت المتلقّي يلتذّ بها.

ومن المقابلات الإيقاعيّة للنبي (صلى الله عليه وآله)، التي تأثّر بها الإمام (عليه السلام) وسلك سبيلها ما ذكره النبي (صلى الله عليه وآله): «**فإنّي أحثكم على ما حثّكم الله عليه، وأنهاكم**

(١) كتاب المغازي: ١/ ٢٢٢.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٣٢٩.

عما نهاكم الله عنه»[١]، فالاتّساق الكلامي والتوازن الوارد بين طرفي الكلام حقّق إيقاعاً داخليّاً للنصّ.

تجد الإمام (عليه السلام) يقول بهذا المعنى: «**وَ اَللهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلاَّ وَ أَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَ لاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلاَّ وَ أَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا**»[٢].

فالمقابلة في هذا الكلام العلوي أكسبت النصّ إيقاعاً يلتذّ بها السامع لاعتدال وتوازن بين طرفي الكلام في قول الإمام (عليه السلام)، غير أنّ وجود النَفَسِ النبوي في كلامه (عليه السلام) حاضر من تأثّره (عليه السلام) بكلام النبي (صلى الله عليه وآله).

يعمد الإمام (عليه السلام) أحياناً إلى أخذ معنى ما من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، ويصوغ منه جملةً بالمعنى نفسه، مضيفاً إليها إيقاعاً جميلاً، فمن ذلك ما قاله الإمام (عليه السلام): «**اَلْيَوْمَ عَمَلٌ وَ لاَ حِسَابَ، وَ غَداً حِسَابٌ وَ لاَ عَمَلَ**»[٣]، فتجد بهذا الكلام مقابلةً ذات إيقاع جميل تتلذّذ به أذن السامع لاتّساقه وتوازن طرفيه.

اليوم..... غدا

عمل..... حساب

ولا حساب..... ولا عمل

يبدو أنّه (عليه السلام) أخذ هذا المعنى من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) التي قال فيها: «**وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تعملون**»[٤]، فالنبي (صلى الله عليه وآله) بهاتين الكلمتين يشير إلى أنّ الحساب

(١) كتاب المغازي: ١/ ٥٨.
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢/ ٢٧٧.
(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ٨٦.
(٤) نثر الدر: ١/ ١٧٨، ١٧٩.

في الآخرة بمعنى لا حساب اليوم، وأنكم ستحاسبون على عملكم الذي تعملونه اليوم أي بمعنى عند المحاسبة قد تمّ انتهاء العمل.

لذا تجد الإمام (عليه السلام) يبيّن معنى ما أتى به النبي (صلى الله عليه وآله) بهذا التعبير الغني بالمعاني.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الشّائقة، والمباركة في رحاب النبي (ﷺ)، ونهج البلاغة، وصل الباحث من خلال تطبيقه المنهج الذي سار عليه في التمهيد والفصول الثلاثة إلى ما يأتي:

- كان النبي (ﷺ) أوّل من تأثّر بالقرآن الكريم، وبلغ الذّروة في الفصاحة والبلاغة في الخطابة نتيجة هذا التأديب الإلهي، وكذلك الإمام (عليه السلام) أوّل من تأثّر بالقرآن الكريم بعد رسول الله (ﷺ).

- تبيّن أنّ تأثّر الإمام (عليه السلام) بالقرآن الكريم سببه هو نشأته في بيت الوحي.

- شمل التأثّر في نهج البلاغة على مستوى أخذ اللفظة، والجملة الخبريّة، ومحاكاتها.

- كثيراً ما كان الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة يعمد إلى التفصيل في الكلام بعد تأثّره بالنبي (ﷺ)، بينما النبي (ﷺ) كان غالباً على إجمال من أمره في الخطابة، وهذا ما دفع المشكّكين في نهج البلاغة إلى القول بأنّ الخطب لم تكنْ طويلة في العصر الإسلامي ناسين الخطب النبويّة الطويلة كخطبةِ الوداع وغيرها من الخطب الطوال للنبي (ﷺ).

- كثُر أسلوب الخبر في الخطابة النبويّة قياساً إلى أساليب الإنشاء، وبدا لي سبب هذا، أنّ مهمّة الرّسول الكريم (ﷺ) تبليغية، والمعلوم أنّ أسلوب الخبر يؤدّي هذا الأمر أكثر من أساليب الإنشاء.

- تناوب استعمال أسلوب الخبر والإنشاء في نهج البلاغة في جملةٍ واحدةٍ.

- كان تأثّر الإمام (عليه السلام) في أسلوب الخبر والإنشاء على ثلاثة أنماط:

أ - أخْذ أسلوب الخبر من الخطب النبويّة وتحويله إلى أحد أساليب الإنشاء.

ب - أو أخْذ أحد أساليب الإنشاء من خطبة الرّسول (صلى الله عليه وآله)، فيصيّره إلى أسلوب الخبر.

ج - أو يتأثّر مُبقياً الأسلوب نفسه محاكياً له، أو مشبّهاً له.

- احتل أسلوب الأمر في نهج البلاغة أكبر مساحة قياساً إلى أساليب الإنشاء.

- قلّة استعمال الإمام (عليه السلام) (يا أيّها الناس) في خطبه مثلما النبي (صلى الله عليه وآله).

- كان الإمام (عليه السلام) يتوسّع في الكلام مُضيفاً إلى تأثّره إبداعاته، وذلك باختلاف الظروف، وبحسب مقتضى الحال.

- قلّة ورود أسلوب التمنّي في الخطب النبويّة، فكان صدى هذا الأثر حاضراً في نهج البلاغة أيضاً أي ورود هذا الأسلوب قليلاً.

- لم يقتصرِ الإمام (عليه السلام) في تأثّره بمحاكاة الأسلوب، أو احتذائه، وإنّما عمد إلى الاقتباس والاستشهاد بخطب الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ممّا يكشف هذا تأثّره الجازم، وليزيد من تأثير كلامه في نفوس سامعيه.

- تأثّر الإمام (عليه السلام) في التّصوير الفنّي على مستويات ثلاثة الأوّل تأثّره بالصّورة التشبيهيّة للنبي (صلى الله عليه وآله) وكانت نتيجة تأثّره الشديد بنى (عليه السلام) صورتين

احتلّتا مساحة واسعة في كلامه، الأولى: صورة الدّنيا، والثّانية: صورة الموت، فضلاً عن توليده صوراً جديدة مُبقياً على أثرٍ من آثار خطب النبي (صلى الله عليه وآله).

- تبيّن أنّ معظم الصّور التشبيهيّة للإمام (عليه السلام) مستمدّة من الخطب النبويّة، فضلاً عن إبداعاته الفنيّة، كان الطّرف الثّاني من الصّورة حسيّاً، وتبيّن أنّ اللجوء إلى هذا الأمر كانت فيه دلالة دقيقة، وهي أنّ التشبيه الحسّي أقرب وأكثر حضوراً في ذهن المتلقّي من التشبيه الخيالي أو الوهمي.

- تأثّر الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة في بناءِ صوره الاستعاريّة بالصّور الاستعاريّة النبويّة محاكاةً، وتشبيهاً، فضلاً عن قلبه الصّورة التشبيهيّة إلى الصّورة الاستعاريّة أو بالعكس.

- تأثّره (عليه السلام) في بنائه الصّور الكنائية بالنبي (صلى الله عليه وآله)، وكان أوّل تأثّره هو قلّة استعماله (عليه السلام) الصّورة الكنائيّة مثلما النبي (صلى الله عليه وآله)؛ لأنّ الصّورة الكنائيّة تستدعي جُملة من الاستدلالات للوصول إلى المعنى، بينما الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وظيفته إبلاغ الرّسالة السماويّة للأمّة؛ فلذا آثر (صلى الله عليه وآله) أن يبلّغ للمتلقّي من أقصر طريق لا من خلال جُملة من القرائن والاستدلالات التي قد تجهد المتلقي كما هي الحال في الصّورة الكنائيّة، وعلى أثره سار الإمام (عليه السلام).

- أمّا تأثّره (عليه السلام) في الإيقاع فقد توزع على محاور عديدة منها السجْع والتوازن، والتّكرار، والجناس، والطّباق، والمقابلة، فضلاً عن إبداعاته، وكان تأثره (عليه السلام) في هذه المباحث إمّا شكلاً، وإمّا مضموناً، أو شكلاً ومضموناً.

- تبيّن بعد كلّ هذه النتائج أنّ هذا التأثّر يثبت أنّ نهج البلاغة من كلام الإمام (عليه السلام)، إذ هذا ردٌ على كلِّ من زعم أنّ نهج البلاغة من وضع الشريف

الـرضي، فهـذا الأثـر النبـوي في كلام الإمـام (عليه السلام) بشـكل رصـين دليـلٌ عـلى أنّ هـذا الـكلام الخالـد مـن كلامـه (عليه السلام).

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، الناشر: دار المعارف، الطبعة الرابعة، (د. ت).

* الأثر القرآني في نهج البلاغة، دراسة في الشكل والمضمون، تأليف: الدكتور عباس علي حسين الفحام، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، (د. ط).

* أدب الكاتب، تصنييف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الكوفي، المَرْوَزِيّ، الدِّيَنَوري المولود بالكوفة في سنة ٢١٣ والمتوفى ببغداد في سنة ٢٧٦ من الهجرة، حقّقه، وضبط غريبه، وشرح أبياته، والمهم من مفرداته محمد محيي الدين عبد الحميد (عفا الله عنه)، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الرابعة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

* أدبية الخطابة الإسلامية، مدرسة نهج البلاغة نموذجاً، الدكتور علي مهدي زيتون، الناشر: دار الفارابي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٢ م.

* أساس البلاغة، تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السّود، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

* الاستعارة نشأتها وتطورها، الدكتور محمود السيد شيخون، أستاذ البلاغة والنقد وعميد كلية الدراسات الإسلامية – جامعة الأزهر، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

* أسرار البلاغة في علم البيان، تأليف: الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هندواي، مدرّس البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة، منشورات محمد بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

* الإسلام والأدب، تأليف الدكتور محمود البستاني، المكتبة الأدبية المختصة (١٦)، الناشر: المكتبة الأدبية المختصة، المطبعة: ستارة – قم، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ق.

* الإسلام والفن، الدكتور محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

* الأسلوبية والبيان العربي، تأليف: دكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دكتور محمد السعدي فرهود، دكتور عبد العزيز شرف، الناشر: الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

* الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تأليف ركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني (ت ٧٣٩ هـ)، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

* الأصوات اللغوية، تأليف الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة للطبع والنشر، الطبعة الرابعة ١٩٧١ م.

* إعجاز القرآن، تأليف القاضي أبي بكر محمد بن الطيِّب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، علق عليه وخرّج أحاديثه: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

* إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تأليف: مصطفى صادق الرافعي، راجعه وضبطه محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الثامنة ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥ م.

* الألفاظ والدلالة في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز أبادي، دكتور مصطفى محمد عبد المجيد خضر، الأستاذ الدكتور طاهر سليمان حمودة، أستاذ العلوم اللغوية والرئيس الأسبق لقسم اللغة العربية، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية، الطبعة الأولى ٢٠١٠ – ٢٠١١ م.

* أمالي الشجري، هبة الله علي بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي (٤٥٠ هـ – ٥٤٢ هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

* الأمالي، شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (رحمه الله)، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

* الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، تأليف : العلامة الفقيه المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

* أنوار الربيع في أنواع البديع، تأليف: السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (١٠٥٢ هـ – ١١١٩ هـ)، حققه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان – النجف الأشرف، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م.

* الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين، محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩ هـ – ١٣٣٨ م)، قدم له وبوّبه وشرحه: الدكتور علي بوملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٠ م.

* بحار الأنوار، العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي (قدس الله سره)، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، (د. ط. ت).

* بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري (٥٨٥ – ٦٥٤ هـ)، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، ماجستير في اللغة العربية وآدابها، مكتبة نهضة مصر بالفجالة للطبع والنشر، الطبعة الأولى ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٧ م.

* البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨ م.

* بصائر الدرجات في مناقب آل محمد (صلى الله عليه وآله)، محمد حسن الصفار، طليعة

النور للنشر – قم، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ .

* البلاغة والتطبيق، الدكتور أحمد مطلوب، الدكتور كامل حسن البصير، مطابع بيروت الحديثة، الطبعة الثالثة ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

* بلوغ الأرب في علم الأدب (علم الجناس)، جرمانوس فرحات (ت ١١٤٥ هـ – ١٧٣٢ م)، تحقيق: إنعام فوّال، دار المشرق – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م.

* البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، بحث في تجليات الإيقاع تركيباً ودلالة وجمالاً، الدكتور رشيد شعلال، أستاذ محاضر في اللسانيات، جامعة باجي مختار – الجزائر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد – الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠١١م.

* بهج الصياغة في شرح نهج البلاغة، العلامة المحقق الحاج محمد تقي التستري، الناشر: دار أمير كبير للنشر، إعداد وترتيب: مؤسسة نهج البلاغة، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ ش – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

* البيان المحمدي، الدكتور مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

* البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطبعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة السابعة ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

* تاج العروس من جواهر القاموس، الإمام مُحب الدين أبي فيضل السيد

محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ط. ت).

* تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، تأليف الدكتور شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، (د. ط. ت).

* تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، تأليف: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر (د. ط. ت).

* تاريخ الإسلام من العصر الجاهلي إلى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، مهدي بيشوان، تعريب: خليل زامل العصامي، إعداد: المعاونية الثقافية، دائرة الترجمة، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام للنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م.

* تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر (د. ت).

* تاريخ اليعقوبي، وهو تاريخ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنّا، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

* تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية، دراسة في نقد النقد، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - ٢٠٠٣ م، (د. ط).

* تحليل النص الشعري (بنية القصيدة)، يوري لوتمان، ترجمة وتقديم

وتعليق: الدكتور محمد فتوح أحمد، أستاذ الدراسات الأدبية، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، دار المعارف للنشر – القاهرة، (د. ط. ت).

* تراجم أهل بيت النبوة (عليهم السلام)، تأليف: محمد محمود إسماعيل، علق عليه وخرّج أحاديثه: سامي أنور جاهين، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

* الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تأليف: الحافظ أبي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي، المنذري (٥٨١ هـ – ٦٥٦ هـ)، حققه، وفصله، وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد (عفا الله تعالى عنه)، الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ م مصر.

* التصوير الفني في الحديث النبوي، تأليف: الدكتور محمد بن لطفي الصبّاغ، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م.

* التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام)، الدكتور عباس علي الفحام، مؤسسة الصادق الثقافية، طبع، نشر، توزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.

* التصوير الفني في شعر صلاح جاهين، أسامة فرحات، تصدير الأستاذ الدكتور محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧ م، (د. ط).

* التعريفات، تأليف: السيد الشريف أبي حسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (ت ٨١٦ هـ)، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السّود، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار

الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

* تفسير البيضاوي، المسمى أنوار التنزيل أسرار التأويل، تأليف: إمام المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٧٩١ هـ)، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

* تفسير القرطبي أو الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: سالم مصطفى البدري، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

* تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن محمد الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨ هـ)، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م.

* التكرار في القصص القرآني، تأليف جلال اليثربي، أنوار الهدى للنشر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، (د. ط).

* تلخيص العاني من ربقة جهل المعاني، تأليف: قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، تحقيق: الدكتور محمد زمري، الطبعة الأولى ١٤٣٠

هـ - ٢٠٠٩ م.

* تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢- ٣٧٠هـ)، إشراف: محمد عوض مرعب، علق عليها: عمر سلامي، عبد الكريم حامد، تقديم: الأستاذة: فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

* ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد، الدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف للنشر - القاهرة، الطبعة الخامسة ٢٠٠٨ م.

* جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، الدكتور ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، (د. ط. ت).

* جمالية التلقي في القرآن الكريم، أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً، شارف مزاري، سلسلة الدراسات (١٥)، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ٢٠٠٩ م، (د. ط)

* جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، دراسات جمالية في النص القرآني، دكتور أسامة عبد العزيز جاب الله، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب - جامعة كفر الشيخ، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ م، (د. ط).

* جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفى سنة

(٣٢١هـ)، ترتيب وتصحيح: عادل عبد الرحمن البدري، مراجعة: إبراهيم رفاعة، مؤسسة الطبع والنشر للآستانة الرضوية المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٢٦ ق - ١٣٤٨ ش.

* الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله (وآله) وسلم، تأليف: سعيد بن علي ثابت، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، (المكتبة الالكترونية الشاملة، الإصدار الثاني).

* جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تأليف: احمد الهاشمي، الناشر: انتشارات استقلال المطبعة: أمير - ألقم الطبعة الرابعة ١٣٧٩.

* جواهر الألفاظ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت ٣٧٧ هـ)، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المدرّس بالقسم الثانوي بالأزهر (عفا الله عنه)، المكتبة العلمية، (د. ط. ت).

* جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف: السيد أحمد الهاشمي (رحمه الله)، إشراف: صدقي محمد جميل، الناشر: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر - طهران، مطبعة أمير، الطبعة الأولى ١٣٧٩.

* حاشية الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠هـ) على مختصر السعد الإمام سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، (ت ٧٩٢هـ)، شرح تلخيص المفتاح للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة

والجماعة الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

* حاشية الصبان، الشيخ محمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦ هـ) على شرح الأشموني، الشيخ علي بن محمد بن عيسى الأشموني (ت ٩١٨ هـ) على ألفية ابن مالك، ضبطه وصححه وخرّج شواهده: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

* الحجاج في الخطابة النبوية، تأليف: عبد الجليل العشراوي، الناشر: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد - الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٢ م.

* الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠.

* الحيوان، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥ هـ)، بتحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

* الخصائص، تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، حققه محمد علي النجار، الأستاذ بكلية اللغة العربية، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية (د. ت).

* خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، دكتور محمد محمد أبي موسى، أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الطبعة السابعة ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٦ م.

* الخطابة، أرسطو، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق ٢٠٠٨م – المغرب (د٠ ط).

* الخطابة العربية في عصرها الذهبي، إحسان النص، دار المعارف، ١٩٦٣م، مكتبة الدراسات الأدبية (د. ط).

* الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته، دراسة تحليلية، الدكتور حسين العمري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٠ م.

* الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية نظرية، وتطبيقية، عبد الله الغَذّامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب للنشر، الطبعة السادسة ٢٠٠٦م.

* دراسات في فقه اللغة، تأليف الدكتور صبحي صالح، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة عشر، تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٠ م.

* دلائل الإعجاز، تأليف: الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (تغمده الله بغفرانه) (ت ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ)، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الشركة الدولية للطباعة، الطبعة الخامسة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

* ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، شرحه وضبط نصوصه وقدّم له الدكتور عمر فاروق الطبّاع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (د. ط. ت).

* الرسول المصطفى (ﷺ)، وصاياه وحكمه ومواعظه ونبذة من حياته، الشيخ نزيه القميحا، دار الهادي، بيروت – المريجة، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.

* سر الفصاحة، للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلي (ت ٤٦٦ هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

* سنن ابن ماجة، الإمام المحدّث أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصّار، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

* سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السّندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د. ط. ت).

* السيرة النبوية لابن هشام، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

* شرح الرضي على الكافية، طبعة جديدة، مصححة، ومذيلة بتعليقات مفيدة، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر الأستاذ بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، منشورات مؤسسة الصادق – طهران، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م، (د. ط).

* شرح نهج البلاغة، تأليف: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفى سنة ٦٧٩ هـ، منشورات دار الثقلين، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

* شرح نهج البلاغة، السيد عباس علي الموسوي، دار الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

* شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

* الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، شرح وتحقيق: السيد احمد صقر، الناشر: الفيصلية، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة - المعابد (د. ط. ت).

* صحيح البخاري، تصنيف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ)، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (د. ط).

* صحيح مسلم، تصنيف الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ هـ - ٢٦١ هـ)، اعتنى به: ابو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (د. ط).

* الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، الدكتور جابر عصفور، الناشر: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة ١٩٩٢ م.

* الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف: السيد الإمام يحيي بن حمزة بن علي بن أبراهيم العلوي اليمنيّ، مراجعه وضبط

وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

* عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للشيخ بهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧٣ هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

* علم البديع، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، (د. ط. ت).

* علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر، الطبعة الثانية ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

* علم المعاني، الدكتور عبد العزيز عتيق، منشورات دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، (د. ط. ت).

* علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود، أستاذ البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

* علم النفس المعملي، قياس التعلّم للدكتورة عفاف محمد عبد المنعم، قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعارف الجامعية، (د. ط. ت).

* علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع تأليف: أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، الطبعة الرابعة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

* العمدة في صناعة الشعر ونقده، تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفى سنة (٤٥٦ هـ) أو (٤٦٣ هـ)، حققه وعلق عليه وضع فهارسه الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان، أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات – جامعة الأزهر، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

* العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تأليف: الإمام أبي علي حسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

* عيون الأخبار، لابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، منشورات الشريف الرضي، إيران – قم، مطبعة أمير، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٣٧٣ .

عيون الحكم والمواعظ، تأليف: الشيخ كافي الدين أبي الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي (من أعلام الإمامية في القرن السادس)، تحقيق: الشيخ حسين الحسني البيرجندي: الناشر: دار الحديث – قم، المطبعة: دار الحديث، الطبعة الأولى ١٣٧٦ .

* الفروق اللغوية، تأليف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري

(المتوفى نحو سنة ٤٠٠ هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السّود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م.

* فصاحة الرسول المصطفى وبلاغته،عادل البدري، مطبعة مهشيد، الطبعة الثانية ١٣٨١.

* فلسفة الجمال والفن عند هيجل، الدكتور عبد الرحمن بدوي، دار الفارس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م.

* في الأدب الإسلامي والأموي، تاليف: د. عبد العزيز عتيق، منشورات دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

* في الأدب الجاهلي، طه حسين، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة التاسعة، (د. ت).

* في ظلال نهج البلاغة، محاولة لفهم جديد، شرح العلامة الشيخ محمد جواد مغنية، وثّق أصوله وحققه وعلق عليه: سامي الغُريري، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، (د. ط. ت).

* في اللسانيات، الأصوات والبنية والتركيب والدلالة، الأستاذ الدكتور محمد سعيد احديد، كلية الآداب – جامعة الفاتح، الدكتور علي حسن مزبان، كلية الآداب – جامعة الفاتح، دار شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م.

* قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للفقيه

المفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغاني، حققه ورتبه وأكمله وأصلحه: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، كانون الثاني ١٩٧٧ م.

* قضايا إسلامية معاصرة في السيرة والأدب النبوي الشريف، الدكتور شلتاغ عبود، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

* الكامل في التاريخ، للإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين، (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م.

* كتاب جمل من أنساب الأشراف، صنفه الإمام احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، (ت ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م)، حققه وقدم له: الأستاذ الدكتور سهيل زكّار، الدكتور رياض زركلي، بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

* كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تصنيف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (د. ط).

* كتاب المغازي، للواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، منشورات مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت -

لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

* كتاب نقد النثر لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، (د. ط).

* كشاف اصطلاحات الفنون، تأليف: الشيخ العلامة محمد علي بن محمد التهانوي الحنفي (المتوفى بعد سنة ١١٥٨ هـ)، ووضع حواشيه: أحمد حسن بسبح، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

* لسان العرب للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١ هـ، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تأليف ضياء الدين نصر الدين أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٧هـ)، حقق وعلق عليه: الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ومنشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م،

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، بتحرير: الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر، الناشر: دار الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.

* مجموعة متون في علم البيان، اعتنى بها إلياس قبلان، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٠ م.

* مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي الدكتور محمود البستاني، طهران ١٣٨١، الطبعة الأولى ١٣٨١، مطبعة مهر – قم.

* المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، تأليف: الدكتور عبد الطيب المجذوب، دكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ -١٩٥٥ م.

* المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تأليف: الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، ضبطه وصححه ووضع حواشيه: فؤاد علي منصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

* المستطرف في كل فن مستظرف، تأليف: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي (ت ٨٥٠ هـ)، شرحه ووضع حواشيه: الدكتور مفيد محمد قميحة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

* مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ هـ – ٢٤١ هـ)، شارك في التحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، عادل مرشد، إبراهيم الزيبق، محمد رضوان العرقسوسي، كامل الخرّاط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

* المطّوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم، تأليف: العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، مدرس البلاغة والنقد الأدبي والأدب والجماعة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

* معاني الحروف، لأبي الحسن علي بن عيسى الرُّماني النحوي (٢٩٦هـ – ٣٨٤ هـ)، حققه وخرّج شواهده وعلق عليه وقدم له وترجم للرماني وأرخ لعصره: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار ومكتبة الهلال – بيروت، دار الشروق – جدة للنشر والتوزيع والطباعة ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، (د. ط).

* معاني القرآن، تأليف: أبي زكرياء يحيي بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ)، بتحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٠ م.

* المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ هـ ٣٦٠ هـ)، قسم التحقيق بدار الحرمين، أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م، (د. ط).

* المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ هـ – ٣٦٠ هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: حميدي عبد المجيد السّلفي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي، رتبه: محسن بيدارفر، الناشر: بيدار – قم، الطبعة الرابعة ١٣٨١ هـ ش.

* المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، تأليف: محمد دشتي، سيد كاظم محمدي، الناشر: مؤسسة انتشارات مشهور – قم، الطبعة الأولى ١٣٨٠.

* معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، بتحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م (د. ط).

* مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف: الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هاشم الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، إيران – طهران، الطبعة الأولى ١٣٨٥.

* مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، تأليف: سيد محمد تقي النقوي القايني، الناشر: قائن – طهران، مطبعة زنبق، الطبعة الثانية ١٣٨٦ ش – ١٤٢٨ ق.

* مفتاح العلوم، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ)، ضبطه وشرحه: الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

* المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المكتبة التوفيقية، مصر – القاهرة، (د. ت. ط).

* منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تأليف العلامة المحقق الحاج ميرزا

حبيب الله الهاشمي الخوئي (قدس سره)، ضبط وتحقيق: علي عاشور، صنفها الفاضل البارع المحقق الشيخ حسن زاده الآملي، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

* مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح، تأليف: أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن يعقوب المغربي (ت ١١٢٨ هـ)، تحقيق: الدكتور خليل إبراهيم خليل، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م.

* موسوعة علوم اللغة العربية، إعداد: الأستاذ الدكتور إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

* الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

* النبي الأمي، العلامة الشهيد مرتضى المطهّري، ترجمة: محمد علي التسخيري، الدار الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

* نثر الدُّر في المحاصرات، تأليف: الوزير الأديب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١ هـ)، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٢م.

* النثر الفني في القرن الرابع ، تأليف: زكي مبارك، دكتور في الآداب من الجامعة المصرية ومن جامعة باريس، الطبعة الثانية (د. ت).

* نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنواظر، تأليف: الشيخ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

* النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دراسة عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٠ م، (د. ط).

* نظرية الأدب، رينيه ويليك، اوستن وارين، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة الدكتور حسام الخطيب، مطبعة خالد الطرابيشي، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م، (د. ط).

* نظرية البنائية في النقد الأدبي، الدكتور صلاح فضل، دار الشروق – القاهر، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

* نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، الدكتورة ألفت كمال الدروبي ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (د. ط. ت).

* النقد الأدبي الحديث، تأليف: الدكتور محمد غنيمي هلال، ليسانس ودكتوراه الدولة في الأدب المقارن من السوربون، أستاذ النقد والأدب المقارن المساعد بجامعة القاهرة، دار الثقافة، دار العودة، بيروت – لبنان، الطبعة

الثانيـة ١٩٦٢م.

* النقـد التطبيقـي والموازنـات، تأليـف: محمـد صـادق العفيفـي، أسـتاذ بجامعـة البـترول والمعـادن بالمملكـة العربيـة السـعودية، الناشر:مؤسسـة الخانجي بمـصر،١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م،(د. ط).

* نهـج البلاغـة، شرح الشـيخ محمـد عبـده، طبعـة جديـدة منقحـة مصححـة، خـرّج مصـادره فاتـن محمـد خليـل اللبـون، مؤسسـة التاريـخ العـربي للطباعـة والنـشر والتوزيـع بـيروت – لبنـان الطبعـة الأولى (د. ت).

* نهـج البلاغـة لمـن ؟، بقلـم الشـيخ محمـد حسـن آل ياسـين، دار الأنـوار للمطبوعـات – بغـداد، الطبعـة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

* الوجـوه والنظائـر في القـرآن الكريـم، هـارون بـن موسـى القـارئ (أواخـر القـرن الثـاني الهجـري)، تحقيـق: الدكتـور حاتـم صالـح الضامـن، رئيـس قسـم اللغـة العربيـة، كليـة الآداب – جامعـة بغـداد، ١٤٠٩ هـ، وزارة الثقافـة والإعـلام، دائـرة الآثـار والـتراث، سلسـلة خزانـة دار صـدام للمخطوطـات (٢)، (د. ط. ت).

* الوسـاطة بـين المتنبي وخصومـه للقـاضي عـلي بـن عبـد العزيـز الجرجـاني، تحقيـق وشرح: محمـد أبـو الفضـل إبراهيـم، عـلي محمـد البجـاوي، منشـورات المكتبـة العصريـة، صيـدا – بـيروت، (د. ط. ت).

الرسائل الجامعية:

* خطب الرسول الكريم محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّم)، دراسة توثيقية تحليلية، مصعب نوري محمود العزاوي، رسالة ماجستير، كلية التربية – ابن رشد – جامعة بغداد، ٢٠٠٤ م.

* القيم الجمالية في الحديث النبوي الشريف، حازم كريم عباس، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة القادسية ١٤٣٢ هـ – ٢٠١٢ م.

* النثر الفني في ثورة التوابين وإمارة المختار، دارسة أسلوبية، هاشم جبار صدام، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة الكوفة ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

المجلات:

* الأثر النبوي في كلام الإمام علي (عليه السلام)، عباس علي الفحام، مجلة ينابيع، مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، دار الهلال للطباعة والنشر والتوزيع، العراق – النجف الأشرف، العدد ١٨، ربيع الأول – ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ .

* التفسير الأدبي للقرآن الكريم، الدكتور أحمد مطلوب، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ١٠ * دور التشبيه الدلالي في نهج البلاغة، الدكتور علي زيتون، مجلة المنهاج، السنة الأولى، العدد ٢، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

* مسائل في النداء، الأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالي، مجلة الأزهر، الجزء الرابع، السنة الخامسة والخمسون.

المواقع، والمكتبات الالكترونية:

* الصياغة الفنية في خطبة النبي (ﷺ) في استقبال شهر رمضان أنموذجاً، الدكتور مرتضى الشاوي،
www. Alnoor.se/article-asp?id=124156

* **المكتبة الالكترونية الشاملة، الإصدار الثاني.**

اللهم صل على محمد
وآل محمد

المحتويات

المقدمة ١١

التمهيد: أثر القرآن الكريم في خطب النبي (ﷺ) ونهج البلاغة ١٧

الفصل الأوّل: أساليب الخبر والإنشاء ٤٣

أوّلاً- أسلوب الخبر ٤٤

- الخبر ٤٤

ثانياً - أساليب الإنشاء ٥٧

- الإنشاء ٥٨

أ - أُسلوب الأمر ٥٩

- المعنى الحقيقي للأمر ٦٠

- المعنى المجازي للأمر ٦٠

ب - أسلوب النّهي ٧٦

ج - أسلوب الاستفهام ٨٣

د - أسلوب النّداء ٩٢

هـ - أسلوب التمنّي ١٠٢

الفصل الثاني: التصوير الفنّي ١٠٥

أوّلاً- الصّورة القائمة على فنِّ التشبيه ١٠٦

- (صورة الدّنيا): ١٠٩
- (صورة الموت) ١١٧
ثانياً - الصورة القائمة على فنّ الاستعارة ١٢٢
ثالثاً - الصّورة القائمة على فنِّ الكِناية ١٣٦

الفصل الثالث: الإيقــاع ١٥١
أولا- السَّجْع ١٥٤
- الموازنة (التوازن) ١٦٢
ثانياً - الجناس (التجنيس) ١٦٥
ثالثاً - التكرار ١٧٣
أ - تكرار (اللفظة) ١٧٤
ب - تكرار (الجملة). ١٨٠
ج - تكرار (الأداة). ١٨٤
رابعاً - الطباق ١٨٧
خامساً - المقابلة. ١٩٢

الخاتمة ١٩٩

المصادر والمراجع. ٢٠٣